جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

الأَغْرَاضُ البَلَاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِير فِـــي الْقُرْآنِ الْكَرِيم

عِنْدَ الأَلُــوسِي مِـنْ خِـلَال كِتَــابِهِ رُوحِ المَعَانِــي

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: لغة ودراسات قرآنية

من إعداد الطالبين:
عبد الرؤوف بن علي
علي الساكر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الكريم حاقة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
العيد حذيق	**أستاذ محاضر أ**	جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي	رئيساً
عبد الكريم حاقة	**أستاذ محاضر أ**	جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي	مشرفاً ومقرّراً
إدريس ريمي	**أستاذ محاضر أ**	جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي	عضواً

السنة الجامعية: 1440–1441هـ / 2019 –2020م

جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

الأَغْرَاضُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِـي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

عِنْدَ الأَلُـوسِي مِـنْ خِـلَالِ كِتَـابِهِ رُوحِ المَعَانِـي

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: لغة ودراسات قرآنية

من إعداد الطالبين:
عبد الرؤوف بن علي
علي الساكر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الكريم حاقة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
العيد حذيق	**أستاذ محاضر أ**	جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي	رئيساً
عبد الكريم حاقة	**أستاذ محاضر أ**	جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي	مشرفاً ومقرراً
إدريس ريمي	**أستاذ محاضر أ**	جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي	عضواً

السنة الجامعية: 1440–1441هـ / 2019 –2020م

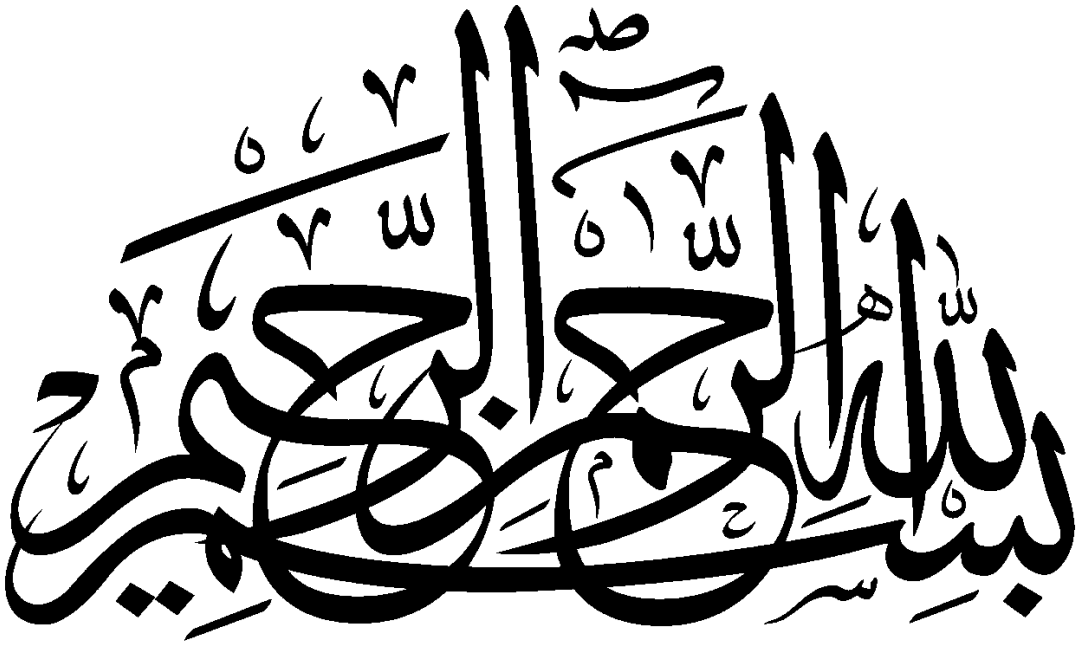
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء:88.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص:29.

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

بعد إتمام هذه المذكرة بتوفيق الله وحسن عونه، لا يسعنا إلّا أن نحمده سبحانه حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وله الحمد على ما أنعم في قديم أو حديث، أو عاجل أو آجل أو ظاهر أو باطن، أو حس أو معنىً، وله الحمد على كل حال، وله الحمد بالغدو والآصال.

ثم نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المحترم، والذي أشرف علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة، وما أفادنا به من ملاحظات وإضافات على هذا البحث الأستاذ الدكتور: **عبد الكريم حاقّة**. وقد جادت القريحة بأن نقول فيه:

شُكْراً لِمَنْ أَعَانَنَا فِي البَحْثِ * بِنُـصْـــحِهِ وَإِشْــرَافٍ وحـــــــثِّ**

فَـوَاجِبٌ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ مَنْ * أَسْدَى إِلَيْنَا مَعْـرُوفاً مِنْ غَيْرِ مَن**

لأَنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ حَـرِي * لَـمْ يَشْكُرِ الله كَمَا فِي الخَبَـــرِ**

والدُّكْتُورُ الفَاضِــلُ عَبْدُ الكَرِيمِ * حَاقَّةُ فَضْلُهُ عَلَيْنَا قَدْ نُمِـــــي**

جَزَاهُ رَبُّنَا عَلَيْنَا خَيْراً * فِي الدُّنْيَا والأُخْرَى جَزَى كَثِيـــــــــــــراً**

وإلى كافَّة أساتذة قسم الحضارة الإسلامية، الذين لم يبخلوا علينا بإفاداتهم وعطاءاتهم على مدار المواسم الدراسية. كما نشكر كل من ساعدنا ولو بالنزر اليسير من قريب أو بعيد، ونخص الامام الفاضل الأستاذ: **رمضان بونكانو**.

إِهْـــدَاءٌ

بعد الانتهاء من العمل على هذه المذكرة، نقوم بإهداء هذا العمل المتواضع إلى والدينا الأكرمين، أحياءً كانوا أو ميتين، سائلين الرحمة والغفران لمن مات منهم، ولمن أحبونا في الله وأحببناهم فيه، ولمن دعا لنا بإتمام هذه المذكرة، ولمشايخنا الفضلاء الذين علمونا القرآن، وحببوا إلينا خدمته، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء، وإلى أساتذتنا وكل من علمنا ولو حرفاً واحداً، كما لا ننسى كل من قدم لنا يد العون في إتمام هذه المذكرة من قريب أو من بعيد.

الطالبان: عبد الرؤوف بن علي.

الساكر علي.

ملخص البحث

فهذه مذكرة تحت عنوان: "**الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير عند الامام الألوسي من خلال كتابه روح المعاني**"، قد جمعنا فيها مجموعة من المواطن التي ذكر فيها الامام ظاهرة التقديم والتأخير، كما خصصنا في هذا البحث مبحثاً تحدثنا فيه عن الإمام وحياته الشخصية والعلمية، وأعطينا نبذة عن كتابه "روح المعاني"، وسبب تسميته، وأهم مصادره التي اِعتمد عليها الامام، وعالجنا فيها هذا الأسلوب حسب ما أورده الامام في تفسيره.

هذا وتعتبر ظاهرة التقديم والتأخير من الظواهر الأساسية في علم البلاغة العربية، ومبحثاً من أهم المباحث التي يقوم عليها علم المعاني، وذلك لاِرتباطها بقصد المتكلم، وأحوال المخاطب ومراعاة مقتضى الحال، ورتبة الكلمة المحفوظة وغير المحفوظة، وذلك من أجل الكشف عن الأسرار واللطائف البلاغية التي تكمن حولها.

ومن المعلوم أن لكل نظم ترتيبه وقواعده، ومواقع ألفاظه، ووضع كل كلمة في موقعها المناسب من الجملة، من أهم مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الألفاظ لو حدث عليها تقديم وتأخير في مواضعها لأخلت في إبلاغ المعنى، وإيصال الرسالة، أو لضاع جمالها ورونقها وهذا التقديم والتأخير لا يكون عبثاً، إنما يتم وفق ضوابط وقوانين وأسس وضعها علماء البلاغة وجب اِتباعها.

وقد تميز القرآن الكريم في نظمه بالدقة في اِختيار الكلمات، وتنسيق مواضعها، حتى قيل فيه أن كل كلمة تعشق موضعها، فلو فرضاً حاولت أن تغيرها –عياذاً بالله–لظهر الخلل والتقديم فيه والتأخير كان لحكمة لغوية، أو نكتة بلاغية، تليق بالسياق العام للآية. وقد أبدع الامام في طرحه لهذه الظاهرة في ثنايا كتابه، وبدورنا قمنا بِاستقراء بعضٍ من هذه المواضع من خلال تفسيره، من سورة آل عمران إلى غاية آخر القرآن، طرحنا فيها أقوال الإِمام ودعمناها ببعض أقوال المفسرين، إما للشرح، أو للتعليل والتفصيل.

وخلصنا في نهاية الدراسة إلى مجموعة من النتائج، وتركنا فيها بعض التوصيات لطلبة العلم، والباحثين في هذا الموضوع.

Research Summary

This is memoir entitled :''The Rhetorical purposes for the advancing and delaying according to Imam Alusi , through his book '' Spirit of Meanings '' '' We collected in it a set of positions that he mentioned to a phenomen of the advancement and the delaying , we also devoted in this research a topic in which we talked about the Imam and his personal and scientific life , we were given a brief account of his book "The Spirit of Meanings", the reason for its name, the most important sources he adopted and we dealt with this method according to what he stated in his explanation .

The phenomenon of advancing and delaying is considered one of the basic phenomena in Arabic rhetoric and an article of the most important detective on which the science of meanings is based ; this is due to its association with the intention of the speaker and the case of the listener and taking into account what the situation requires and the rank of the reserved and not reserved word , in order to reveal the secrets and rhetorical witticisms contained in them .

It is well known that all systems have their arrangement ,rules and word locations and put each word in its appropriate location ; among the most important elements of rhetoric and statement , many of the words if it happened to them to advance or delay in their places, the meaning would be disturbed or the message may be not conveyed

correctly , or lost its beauty and luster, this advancing and delaying are not absurd , Rather, it is carried out according to the rules, laws, and principles established by rhetoric scholars who they must be followed .

The Holy Qur'an has distinguished itself in its systems for its accurate selection of words and coordinating their positions until it was said that every word loves its position. If we assume that you tried to change it, God forbid , the defect appears because the advancing and delaying were for a linguistic purpose or rhetorical joke befitting the general context of the verse. The Imam was creative in his presentation of this phenomenon in the folds of his book , on our part, we have extrapolated some of these positions through its interpretation, from Surat Al-Imran to the end of the Qur'an, we put forward the imams 'statements and supported them with some of other explanators' statements, either for explanation or for detail . We concluded at the end of the study a set of results and we left some recommendations for students and researchers on this topic.

And upon Allah is the direction of the (right) way.

نَظْمُ المُلَخَّصِ:

حَمْـداً لِمَـنْ قَـدْ أَنْـزَلَ القُـرْآنَ ... عَلَـى النَّبِـي المُصْـطَفَى بُرْهَانـاً
فَهْـوَ حَبْـلُ اللهِ لَا يَنْفَصِـمُ ... لِمَـنْ تَمَسَّـكَ بِـهِ يَعْتَصِـمُ
فِيـه الهُـدَى فِيـه الشِّـفَاء مِـنْ بَـاسِ ... بِـهِ يُقَـامُ العَـدْلُ بَـيْنَ النَّـاسِ
مُعْجِـزَةٌ خَالِـدَةٌ لِلْأَبَـدِ ... لِكُـلِّ مُـؤْمِنٍ بِـهِ وَجَاحِـدِ
تَحَـدَّى الإِنْـسَ والجِـنَّ أَنْ يَـأتُوا ... بِمِثْلِـهِ فَعَجَـزُوا لَـوْ بَـاتُوا
وَلَـوْ بِآيَـةٍ لِـذَاكَ أَذْعَنَـا ... أَهْـلُ الفَصَـاحَةِ لِهَـذَا وَانْحَنَـى
وابْـنُ المُغِيـرَة أَتَـى لِلْمُصْـطَفَى ... تَـلَا عَلَيْـهِ فُصِّـلَتْ فَاعْتَرَفَـا
فَقَـالَ فِيـهِ كَلِمَـةً شَـهِيرَة ... سَـارَتْ بِهَـا الرُّكْبَـانُ فِـي الجَزِيـرَة
دَلَّـتْ عَلَـى بَلَاغَـةِ القُـرْآن ... وَمَـا اِحْتَـوَى عَلَيْـهِ مِـنْ بَيَـانِ
حَـارَتْ عُقُـولُ خُطَبَـاءِ العَـرَبِ ... والشُّـعَرَاءِ فِيـه وَهْـوَ عَرَبِـي
لِـذَا اِعْتَنَـى المُفَسِّـرُونَ بِبَيَـانِ ... مَـا فِيـهِ مِـنْ بَلَاغَـةٍ وَمِـنْ مَعَـانِ
فَاسْـتَخْرَجُوا الـدُّرَّ مِـنَ الأَصْـدَافِ ... كَـالبَحْرِ والبَيْضَـاوِي وَالكَشَّـافِ
وَمِـنْهُمُ العَلَّامَـةُ الأَلُوسِـي ... قَـدْ جَاءَنَـا بِبَهْجَـةِ النُّفُـوسِ
لَـدَى كِتَابِـهِ رُوح المَعَـانِي ... فِـي تَفْسِـير القُـرْآنِ والمَثَـانِي
فَأَبْـدَعَ فِيـه وَقَـدْ جَمَـعَ مَـا ... لِلْمُتَقَـدِّمِينَ مِـنْ قَـوْلٍ كَمَـا
غَرَضُـنَا مِـنْ ذَلِـكَ التَّفْسِـيرِ ... بَلَاغَـةُ التَّقْـدِيمِ وَالـتَّأْخِيرِ
ومَـا يَظْهَـرُ فِيهَـا مِـنْ أَغْـرَاضِ ... دُونَ تَكَلُّـفٍ وَلَا اِعْتِـرَاضِ
ولَسْـنَا نَـدَّعِي أَنَّـا أَتَيْنَـا ... بِشَـيْءٍ قَـدْ جَـدَّ وَمَـا اِهْتَـدَيْنَا
إِلَّا لِخِدْمَـةِ كِتَـابِ اللهِ ... كَـذَا دُخُـولِ سِـلْكِ أَهْـلِ اللهِ
ثُـمَّ اِعْتَـذَرْنَا لِأُولِـي الأَلْبَـابِ ... مِـنْ تَقْصِـيرٍ حَصَـلَ فِـي الخِطَـابِ
لِأَنَّنَـا كَتَبْنَـاهُ زَمَانَـا ... فِيـه أَتَـتْ جَائِحَـةُ كُورُونَـا
فَمَنَـعَ الوِصَـالَ بَـيْنَ النَّـاسِ ... والبَحْـثُ يَحْتَـاجُ إِلَـى أُنَـاسِ
ثُـمَّ صَـلَاةُ اللهِ مَـعْ سَـلَامِهِ ... عَلَـى النَّبِـي وَمُبْلِغِـي كَلَامِـه
مَـا بَقِيَـتْ مُعْجِـزَةُ القُـرْآنِ ... خَالِـدَةً لِآخِـرِ الزَّمَـانِ

مُقَدِّمَة

مُـــقَـــدَّمَـــــــة

الحَمْدُ لله الكَرِيمِ الوَهَّابِ، الذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَاب، هُدىً وَتَذْكِرَةً لِأُولِي الأَلْبَاب وَجَعَلَهُ أَعْذَبَ كَلَامٍ وَأَرْفَعَ خِطَابٍ، فَأَعْجَزَ بِهِ البُلَغَاءَ مِنَ الشُّيُوخِ والشَّبَابِ، وَأَذْهَبَ بِهِ الشَّكَ والاِرْتِيَاب، وَأَزَاحَ بِهِ عَنْ مِرْآةِ العُقُول الضَّبَاب، وَعَلَّمَ بِهِ الأَحْكَامَ والآدَاب، نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ كَثُرَ خَيْرُهُ وَطَابَ، أَشْهَدُهُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَفُوزُ بِهَا يَوْمَ المَرْجِعِ والمَئَابَ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه الأَوَّابُ، الذِي هَدَى إِلَى مَنْهَجِ الصَّوَابِ، فَصِيحِ اللِّسَان، كَرِيمِ الأَنْسَابِ، الذِي خَصَّهُ رَبُّهُ بِكِتَابٍ حَوَى العَجَبَ العُجَاب، صَلَّى الله وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه والأَصْحَابِ، الذِينَ أَثْنَى الله عَلَيْهِم فِي سُورَتَيْ الفَتْحِ وَالأَحْزَابِ، وَمَنْ نَهَجَ نَهَجَهُم واِهْتَدَى بِهَدْيِهِم إِلَى يَوْمِ القِيَامِ وَالحِسَابِ، أَمَّا بَعْدُ:

لَقَدْ شَاءَتْ إِرَادَةُ الله تَعَالى أَنْ تَكُونَ هَذِه الأُمَّةُ خَاتِمَةَ الأُمَم، وَخَاتَمُ الشَّيْءِ مُنْتَهَاهُ وَأَعْلَاهُ وأَنْ تَكُونَ رِسَالَتُهَا وَكِتَابُهَا خَاتَمَ الكُتُبِ، وَشَرِيعَتُها خَاتِمَةُ الشَّرَائِعِ، وَلِذَلِكَ اِخْتَارَ الله تَعَالى لَهَا صَفْوَةَ خَلْقِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ سَيِّدَنا مُحَمَّداً بْنُ عَبْدِ الله صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ هَيَّأَ الله تَعَالى لِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ رِجَالاً يَحْمِلُونَهَا وَيَقُومُونَ عَلَيْهَا بِالحِفْظِ وَالعِنَايَةِ والتَّبْلِيغِ مُنْذُ زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَة، فَكَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ الله والتَّابِعُونَ هُمْ خَيْرُ مَنْ حَمَلَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

وَلَمَّا كَانَ القُرْآنُ الكَرِيمُ كَلَامَ الله تَعَالى المُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّه أَشْرَفِ الخَلْقِ أَجْمَعِين، وَهُوَ بَحْرٌ مِنَ العُلُوم الذِي لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْفَدُ دُرَرُهُ، وَإِذْ كُنَّا طَلَبَةَ عِلْمٍ مُخْتَصِّينَ فِي الشَّرِيعَةِ والدِّرَاسَات القُرْآنِيَّةِ بِوَجْهٍ أَخَصُّ؛ بَاتَ لِزَاماً عَلَيْنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا دِرَاسَةٌ وَمُدَارسَةٌ، وَذِكْرٌ وَمُذَاكَرَةٌ فِي هَذَا الكِتَاب المُبِين، وَإِذَا فَاتَنَا وَعَسُرَ عَلَيْنَا أَنْ نَدْرُسَ مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ العَظِيم فَلَا يَفُوتَنَّنَا أَنْ نَأْخُذَ بِنَصِيبِنَا فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِه، وَقَدْ يَسَّرَ الله تَعَالى بِعَظِيمِ فَضْلِهِ وَتَوْفِيقِه الجَمِيل بَعْدَ الاِسْتِشَارَةِ والاِسْتِخَارَةِ، أَنْ تَكُونَ مُذَكِّرَتُنَا هَذِهِ تَمَسُّ ظَاهِرَةً مِنْ أَهَمِّ الظَّوَاهِر البَلَاغِيَّة التِي تَمَيَّزَ بِهَا النَّصُّ القُرْآنِي وَهِيَ: "**ظَاهِرَةُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ**".

وَتُعْتَبَرُ ظَاهِرَةُ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فِي القُرْآنِ الكَرِيم مِنَ الظَّوَاهِرِ البَلَاغِيَّة التِي اِمْتَازَ بِهَا النَّظْمُ القُرْآنِي، ذَلِكَ أَنَّهُ يُعْنَى بِتَرَاكِيبِ الأَلْفَاظِ فِيمَا بَيْنَهَا، بِتَقْدِيمِ عُنْصِرٍ عَنْ عُنْصُرٍ آخَرَ دَاخِلَ الجُمْلَةِ فَيُحْدِثُ تَغْيِيراً في مَفْهُومِهَا، مَا كَانَتْ لِتُؤَدِّيه لَوْلَا دُخُولُ هَذَا الأَسْلُوبِ عَلَيْها فَهُوَ مُخَالَفَةُ عَنَاصِر التَّرْكِيب تَرْتِيبَهَا الأَصْلِيَّ فِي الخِطَابِ الفَصِيحِ.

وَلِنَرْبِطَ هَذِهِ الدِّرَاسَة بِأَحَدِ مُؤَلَّفَاتِ المَكْتَبَةِ التَّفْسِيريَّة؛ فَقَدْ اِعْتَمَدْنَا عَلَى كِتَابِ:

"رُوحُ المَعَانِي فِي تَفْسِير القُرآن العَظِيم والسَّبْع المَثَاني" لِـــ: الإِمَامِ "شِهَاب الدِّين أَبِي الثَّنَاء مَحْمُود بْنُ عَبْدِ الله الأَلُوسِي البَغْدَادِي" –رَحِمَهُ الله تَعَالى–(1217–1271هـ).

وَلِهَذَا فَقَدْ كَان عُنْوَانُ مُذَكِّرَتِنَا لِشَهَادَةِ المَاسْتَر عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

(الأَغْرَاضُ البَلَاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيم وَالتَّأْخِير عِنْدَ الإِمَامِ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–مِنْ خِلَال كِتَابِه رُوحُ المَعَانِي).

أوّلاً: أهمية البحث:

تَكْمُنُ أَهَمِّيَةُ بَحْثِنَا هَذا فِي كَوْنِه يُعَالِجُ ظَاهِرَةً مِنْ ظَوَاهِر البَلَاغة فِي القُرْآنِ الكَرِيم وَيَخْدِمُ مَبْحَثاً مِنْ مَبَاحث التفْسِير وَعُلُومِ القُرْآن، يَكْشِفُ الأَسْرَار والجَمَالِيَّات فِي النَّظْمِ البَدِيع الذِي خُصَّ بِه هَذَا الكِتَابُ العَزِيزُ، خَاصَّةً مِنْ جَانِبِ تَرَاكِيبِ الكَلِمَات والأَلْفَاظِ، ومَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا مِنْ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ.

ثانياً: أسبابُ اِختيار البحث:

1. المُسَاهَمَةُ فِي خِدْمَة كِتَاب الله تَعَالى، وَلَوْ بِالنَّزْرِ اليَسِير، وَذَلِكَ لِمَا جَاء فِي فَضْلِ خِدْمَتِهِ مِنَ الأَجْرِ الغَزِير، وَالفَضْلِ الكَبِير، لَعَلَّنَا نَحْظَى بِقِسْطٍ مِنْ ذَلِكَ الخَيْرِ الوَفِير، الذِي جَاءَ التَّبْشِيرُ بِهِ فِي آي الكِتَابِ المُنِير، وَعلى لِسَانِ البَشِير النَّذِير صَلَّى الله عليه وَسَلَّم.
2. الكَشْفُ عَنْ بَعْضِ الأَغْرَاضِ البَلاغِيَّة (المُتَعَلِّقَةِ بِظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير) التِي كَانَ بِهَا الإعجَازُ لِمَصَاقِعَة وَفَطَاحِلَةِ العَرَبِ فِي أَرْضِ الحِجَازِ، وَغَيْرِهَا مِنَ البِلَاد حَتَّى مَا وَرَاءَ الأَهْوَازِ، وَبِهَا كَانَ لِهَذَا القُرْآنِ الإِمْتِيَازُ وَالإِعْزَازُ.

3. الإعْجَابُ بِتَفْسِير الإِمَامِ "الأَلُوسِي"، وَمَا فِيه مِنْ دُرَرٍ وَنَفَائِسَ، وإِحَاطَةٍ وَشُمُولٍ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ وَنُفِيد بِطَرَفٍ مِنْهُ، وَلَوْ بِجُزْئِيَّةٍ يَسِيرَةٍ، تَتَنَاسَبُ مَعَ بَحْثِنَا هَذَا.
4. الرَّغْبَةُ فِي وَضْعِ مُذَكِّرَةٍ جَدِيدَةٍ تَخُصُّ هَذِهِ الظَّاهِرَة مِنْ خِلَال وَاحَدٍ مِنْ أَهَمّ كُتُبِ التَّفْسِير.

ثالثاً: أهدافُ البحث:

1. بيَانُ مَفْهُومِ التَّقْدِيم والتَّأْخِير.
2. التَّعَرُّفُ عَلى تَفْسِير "رُوحِ المَعَانِي" وَصَاحِبِه الإِمَام "الأَلُوسِي"، بِاعْتِبَارِهِ نَمُوذَجاً وَمِثَالاً لِعُلَمَاءِ الأُمَّة الرّاسِخِينَ؛ وَذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِه، وَالقُدْوَةِ بِقَرِيبِ العَهْدِ أَقْوَى وَأَدْعَى لِلْاِقْتِدَاءِ.
3. بيَانُ أَغْرَاضِ التَّقْدِيم والتَّأْخِير البَلَاغِيَّة فِي النَّصّ القُرْآنِي، والتِي بِهَا يَنْجَلِي طَرْفاً مِنَ الإِعْجَازِ القُرْآنِي.
4. تَتَبُّع إِيرَادِ نَصِيباً مِنْ مَوَاطِنِ التَّقْدِيم والتَّأْخير فِي تَفْسِير الإِمَامِ "الأَلُوسِي"، وَقَدْ كَانَ لَهُ سلَفٌ مِنَ المُفَسّرِينَ المُتَقَدّمِينَ مِنْهُم والمُتأَخّرِينَ، اِسْتَفَدْنَا مِنْ مَنَاهِجِهم في هَذَا المَوْضُوعِ مِنْ خِلَالِهِ.
5. فَتْحُ المَجَالِ لِمَزِيدِ التَّوَسُّعِ والدِّارَسَة لِهَذِه الظَّاهِرَةِ.

رابعاً: طرحُ الإِشكالية:

لَقَدْ تَعَرَّضَ عُلَمَاءُ اللُّغَة مِنَ النَّحْوِيّينَ وَالبَلاغِيّين لِظَاهِرَة التَّقْدِيم والتَّأْخِير فِي كَلَامِ العَرَبِ شِعْراً وَنَثْراً، لِيَتَوَصَّلُوا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَى خِدْمَةِ الرِّسَالَةِ المُقَدَّسَة، إِذْ هِيَ المَقْصُودُ بِالخِدْمَة بِالذَّاتِ وَعَلى الحَقِيقَة فِي هَذَا الغَرَضَ وَغَيْرِه مِنَ الأَسَالِيبِ والأَغْرَاضِ البَلاغِيَّة، لِتُسْفِر هَذِهِ الجُهُود وَتَتَبَلْوَرَ أَخِيراً عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّفْسِير عَنْ هَذَا الأُسْلُوبِ (التَّقْدِيم والتَّأْخِير)، فَنَجِدُ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ التَّفَاسِير المُتَأَخّرَة : تَفْسِير "**رُوحِ المَعَانِي**" لِصَاحِبِه "**الإِمَام الأَلُوسِي**"، والذِي تَطَرَّقَ لِهَذِه الظَّاهِرَة فِي ثَنَايَا كِتَابِه، مَا جَعَلَنَا نَهْتَمُّ بِهِ ونَجْعَلُهُ مَوْضُوعاً لِبَحْثِنَا، وَعَلَيْهِ فالتَّسَاؤُلُ المَطْرُوحُ هُوَ:

1. مَاهِيَ الأغرَاضُ البَلَاغِيَّةُ للتَّقْدِيم وَالتَّأخِير مِنْ خِلال كِتَاب رُوحِ المَعَانِي؟

2. وَمَا هوَ التّقديمُ والتّأخيرُ؟ وَمَا هِيَ أَنْوَاعُهُ وحَالَاتُهُ وأغْرَاضُهُ البَلَاغِيَّةُ؟

3. وكَيْفَ أَوْرَدَهُ الإِمَامُ الأَلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ المُبَارَكِ؟

خامساً: المصادرُ والمراجعُ:

وَقَدْ اِعْتَمَدْنَا فِي بَحْثِنَا هَذا على مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ، نَذْكُرُ أَهَمَّهَا:

1. رُوحُ المَعَانِي فِي تَفْسِير القُرْآن العَظِيم والسَّبْعِ المَثَانِي لِلْإِمام الأَلُوسِي.
2. بَعْضُ كُتُبِ التَّفْسِير مِثْلَ: الكَشَّاف للزَّمَخْشَرِي، مَفَاتِيح الغيْبِ لِلرَّازي، التَّحْرِير والتَّنْوِير للطَّاهِر بن عَاشُور.
3. كُتُبُ اللُّغَةِ والمَعَاجِم مِثْلَ: المُفْرَدَات فِي أَلفَاظِ غَرِيبِ القُرْآن لِلرَّاغِب الأَصْفَهَانِي، لِسَان العَرَب لابن مَنْظُور، مِفْتَاحُ العُلُوم لِأَبِي يَعْقُوب يُوسُف السَّكَّاكِي.
4. كُتُب علُومِ القُرْآن مِثْلَ: البُرْهَان فِي عُلُوم القُرْآن لِلزَّرْكَشِي، الإِتْقَان فِي عُلُوم القُرْآن لِلسُّيُوطِي.
5. كُتُب الأَعْلَام مِثْلَ: أَعْلَامِ العِرَاقِ لِمُحَمَّد بَهْجَة الأَثَرِي، الأَعْلَام لِلزِّرِكْلِي.
6. بَعْضُ الكُتُبِ الأخْرَى مِثْل: بَصَائِر ذَوِي التَّمْيِيز فِي لَطَائِف الكِتَاب العَزِيز لِلْفَيْرُوز آبَادِي ومُعْجَمُ البُلْدَانِ لِيَاقُوت الحَمَوِي.
7. البَلَاغَةُ فُنُونُها وَأَفْنَانُهَا لِفَضْل حَسَن عَبَّاس.
8. دِلَالَاتُ التَّقْدِيم والتَّأْخِير فِي القُرْآن الكَرِيم لِـ: مُنِير مُحَمَّد المَيْسِري.

سادساً: الدّراساتُ السَّابقة:

إنّ المَكْتَبَةَ العَرَبِيَّةَ مَلِيئَةٌ بِالدِّرَاسَات التِي اِهْتَمَّت بِالقُرْآن الكَرِيم، سَواءً كَانَ فِي مَجَالِ التَّفْسِير أو اللُّغَة، وَبَعْد أنْ بَحَثْنَا فِي ثَنَايَاهَا لَمْ نَجِدْ دِراسَةً خُصَّت بِالبَحْثِ فِي مَوْضُوعِ

مُذَكِّرَتِنَا المُسَمَّاة بـ: **الأَغْرَاضُ البَلَاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيم والتَّأْخِير عِنْدَ الإِمَام الأَلُوسِي فِي كِتَابِهِ رُوح المَعَانِي** سِوَى دِرَاسَة وَاحِدَة هِيَ:

1. التقديم والتأخير في القرآن الكريم من خلال تفسير روح المعاني في القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي. (سورة البقرة أنموذجاً)، للطالبة: آمنة قدادرة، مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر، تخصص فقه وأصوله، جامعة الشهيد محمد لخضر –الوادي–الجزائر، 1437–1438هـ–2016–2017م.

هَذِهِ الدِّرَاسَة التِي وَقَفَت فِيها صَاحِبَتُها عَلى هَذِهِ القَضِيَّة البَلَاغِيَّة وَأَغْرَاضِهَا فِي تَفْسِير رُوح المَعَانِي لِلْإِمَام الأَلُوسِي، وَطَبَّقَتْ عَلَيْهَا مُقْتَصِرَةً عَلَى سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ القُرْآن الكَرِيم هِيَ سُورَةُ البَقَرَةِ، أَمَّا دِرَاسَتُنَا فَقَدْ وَقَفْنَا فِيها مُسْتَقْرِئِينَ لِمَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ المَوَاضِعِ المُتَفَرِّقَة مِنْ سُورَة آل عمران إلى غَايَةِ آخِر القُرْآن، جَامِعِينَ مَا أَمْكَنَنَا مِنْ أَهَمِّ المَوَاطِن التِي دَرَسَهَا الإِمَام فِي تَفْسِيرِه الخَاصَّة بِهَذَا الأُسْلُوبِ.

2. منهج الامام الألوسي في القراءات وأثرها في تفسيره روح المعاني، للباحث: بلال علي العسلي، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة 2009م.

هَذِهِ الرِّسَالة وإِنْ كَانَت لَمْ تُعَالِج مَوْضُوعَ دِرَاسَتِنا، إِلَّا أَنَّها قَرِيبَةٌ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، حَيْثُ اِهْتَمَّ صَاحِبُها بِجَانِبِ التَّفْسِير، وإِضَافَة القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّة وأَثَرُهَا فِي هَذا التَّفْسِير، مُضَمِّناً فِيها أَهَمَّ مَنَاهِجَ المُفَسِّرِين فِي عَزْوِ الآيَاتِ القُرْآنية والاِحْتِجَاجِ لَهَا.

3. جهود الألوسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني للباحث: صالح اِبراهيم مضوي محمد بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا كلية اللغة العربية، الدراسات الأدبية والنقدية، أم درمان2008–2009م.

هَذِهِ الأُطْرُوحَةُ القَيِّمَةُ التِي تَنَاوَلَ فِيها البَاحثُ القَضَايا البَلَاغِيَّة فِي تَفْسِير رُوحِ المَعَانِي لِلْإِمَامِ الأَلُوسِي، كَعِلْمِ البَيَانِ والبَدِيع والمَعَانِي، إلَّا أَنَّهُ فِي جَانِبِ عِلْمِ المَعَانِي لَمْ يَتَطَرَّق لِظَاهِرَة التَّقْدِيم والتَّأْخِير عِنْدَ الإِمَامِ، وَهَذَا مَا حَاوَلْنَا جَاهِدِينَ إضَافَتَهُ فِي بَحْثِنَا هَذَا.

سابعاً: المنهج المتبع في الدراسة:

لَقَدْ اِقْتَضَى بَحْثُنَا هَذَا أنْ نَسْلُكَ لِإنْجَازِهِ المَنْهَجَ الوَصْفِي التَّحْلِيلِي والمَنْهَجَ الاِسْتِقْرَائِي وَذَلِكَ لِمُنَاسَبَة هَذَيْنِ المَنْهَجَيْنِ فِي مِثْلِ هَذِهِ البُحُوثِ والدِّرَاسَاتِ، وَلَمَّا كَانَت مُذَكِّرَتُنَا بِعُنْوَان: **الأَغْرَاض البَلاغِيَّة لِلتَّقْدِيم والتَّأْخِير عِنْدَ الإِمَام الأَلُوسِي مِنْ خِلَال كِتَابِهِ رُوح المَعَانِي؛** فَقَدْ قَسَّمْنَا البَحْثَ إلى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ نَظَرِيٌّ: وَفِيه اِسْتَعْمَلْنَا المَنْهَجَ الوَصْفِيَّ في وَصْفِ الظَّاهِرَة وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا. وَقِسْمٌ تَطْبِيقِيٌّ: وَفِيه اِسْتَعْمَلْنَا المَنْهَجَ الاِسْتِقْرَائِيَّ؛ حَيْثُ إنَّنَا قُمْنَا بِتَتَبُّعِ مَوَاطِنَ التَّقْدِيم والتَّأْخِير فِي تَفْسِير رُوح المَعَانِي التِي ذَكَرَهَا الأَلُوسِي، ثُمَّ اِخْتَرْنَا مِنْهَا جُمْلَةً مُعْتَبَرَةً، ثُمَّ اِتَّبَعْنَا المَنْهَجَ التَّحْلِيلِيَّ؛ ذَلِكَ أنَّ التَّحْلِيل يُعَمِّقُ الفَهْمَ لِقَوَاعِد البَلَاغَةِ، حَيْثُ قُمْنَا بِتَضْمِينِ بَعْضِ أَقْوَالِ عُلَمَاءِ التَّفْسِير فِي هَذِه الظَّاهِرة، وَشَرَحْنَا بِهَا أَقْوَالَ الإِمَامِ مِنْ جِهَةٍ وَرُبَّمَا لِمُقَارَنَتِهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَرُبَّمَا لِزِيَادَةِ التَّوْضِيحِ.

ثامناً: المنهجيَّةُ المُتَّبعةُ في الدِّراسة:

1. تَخْرِيجُ الآيَاتِ المَضْبُوطَة شَكْلاً وِفْقَ الرَّسْمِ العُثْمَانِي، مَعَ عَزْوِهَا مُبَاشَرَةً فِي المَتْنِ.
2. تَخْرِيجُ الأَحَادِيث الوَارِدَة مِنْ كُتُبِ السُّنَّة، واِقْتَصَرْنَا فِي ذَلِكَ عَلى تَخْرِيجِهَا مِنْ كِتَابٍ وَاحِدٍ دُونَ الإِلْمَامِ بِجَمِيع الكُتُبِ التِي أَخْرَجَتْهُ، وَذَلِكَ لِتَجَنُّب حَشْوِ التَّهْمِيش، فَنَذْكُر الكِتَابَ، ثُمَّ اِسْمَ مُؤَلِّفِه ثُمَّ المَعْلُومَات الخَاصَّة بِالكِتَاب، ثُمَّ ذِكْرُ البَابِ، ورَقْمِ الحَدِيثِ، ثُمَّ رَقْم الجُزْءِ والصَّفْحَةِ.
3. قُمْنَا بالتَّرْجَمَةِ لِبَعْضِ الأَعْلَامِ، أَوْ لِأَغْلِبِهِم، وَذَلِك فِي الهَامِشِ، فِي أَوَّلِ ذِكْرٍ لَهُم واِعْتَمَدْنَا فِي ذَلِكَ عَلى كُتُبِ الأَعْلَام المَعْرُوفَة.

4. اِسْتَعْمَلْنَا اِسْمَ العَلَمِ فِي بَعْضِ الأحْيَانِ، وَفِي بَعْضٍ آخرَ نَسْتَعْمِلُ اِسْمَ كِتَابِهِ، مَثَلاً: يَقُولُ صاَحبُ الكَشَّافِ، ذَكَرَ صَاحِبُ التَّحْرِير، أَوْرَدَ صَاحِبُ البَحْرِ، وَهَكَذَا...
5. التَّوْثِيقُ الكَامِلُ لِلْمَصْدَرِ أو المَرْجِع فِي الهَامِشِ عنْدَ ذِكْرِهِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي البَحْثِ، نَحْوَ: ذكْرِ اِسْمِ الكِتَابِ، اِسْمِ المُؤَلِّف كامِلاً، المُحَقِّق إنْ وُجِدَ، رَقْمُ الطَّبْعَة وَتَارِيخُهَا، دَارُ الطِّبَاعَةِ، ثُمَّ الجُزْءُ والصَّفْحَةُ آخِرُ مَا يُذْكَرُ. أمَّا عِنْدَ تِكْرَارِ نَفْسِ المَصْدَرِ أو المَرْجِع فنَذْكُرُ: اِسْمَ الكِتَابُ، اِسْمَ المُؤَلِّف (وَنَكْتَفِي بِاسْمِ الشُّهْرَةِ فَقَطْ)، الجُزْءُ والصَّفْحَةُ. وَقَدْ فَعَلْنَا هَذِهِ المَنْهَجِيَّة حَتَّى عِنْدَ إعَادَةِ ذِكْرِ المَصْدَرِ أو المَرْجِعِ فِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ.
6. وَضَعْنَا كَلامَ العُلَمَاءِ وَأَصْحَابِ الكُتُبِ بَيْنِ قَوْسَيْنِ ()، أو شولتين "".
7. كِتَابَةُ العَنَاوِين الرَّئِيسِيَّة بِخَطٍّ كبِيرٍ وَلَوْنٍ دَاكِنٍ، والعَنَاوِينُ الفَرْعِيَّة بِخَطٍّ أَقَلّ دَرَجَةٍ مَعَ اِسْتِعْمَال اللَّوْنِ الدَّاكِنِ، أمَّا المَتْنُ فَكَانَ بِخَطٍّ أَقَلَّ دَرَجَةً منْ سَابِقَيْه دُونَ اِسْتِعْمَال اللَّوْنِ الدَّاكِنِ.
8. اِقتصرنا في المعنى الإجمالي للآيات على تفسيرين هما: تفسير المنار وتفسير المراغي وذلك لسهولتهما وبساطة طرحهما، وكذلك تلبيةً لطلب الأستاذ المشرف.
9. اِستعملنا بعض الرموز للدلالة على الاختصار، نحو:

الرمز	المصطلح
ص	الصفحة
ج	الجزء
ط	الطبعة
دط	دون طبعة
دت	دون تاريخ

تح	تحقيق
ضب	ضبطه
م	ميلادي
هـ	هجري
ت	توفي

تاسعاً: خطة الدراسة:

بِمَا أنَّ دِرَاسَتَنَا كَانَتْ عِبَارَةً عَنْ بَحْثٍ فِي أَحَدِ الجَوَانِبِ البَلَاغِيَّة التِي اِعْتَنَى بِهَا الإِمَامُ الأَلُوسِي فِي كِتَابِه رُوح المَعَاني، وَهِيَ ظاهِرُة التَّقْدِيم والتَّأْخِير، فَقَدْ كَان مُنَاسِباً لِهَذِه الدِّرَاسَةِ أنْ تَنْقَسِمَ إلى مُقَدَّمَةٍ، وَمَبْحَثٍ تَمْهِيدِيٍّ، وَمَبْحَثَيْنِ أحَدُهُمَا نَظَرِيٌّ، والثَّانِي تَطْبِيقِيٌّ، تَقْفُوهُمَا خَاتِمَةٌ تَتَضَمَّنُ أهَمَّ النَّتَائِجِ والتَّوْصِيَاتِ التِي تَوَصَّلْنَا إلَيْها. وَتَفْصِيلُ الخُطَّة البَحْثِيَّة عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

مقدَّمة: شَرَحْنَا فِيها أهَمِّيَة المَوْضُوع، وأَسْبَابَ وَدوَافِع اِخْتِيَارِنَا لَهُ، وَكَذا المَنْهَجَ والمَنْهَجِيَّةَ المُتَّبَعَيْن، كَمَا أَوْرَدْنَا فِيها مُجْمَل الأهْدَافِ التِي كُنَّا بِصَدَدِ الوُصُولِ إلَيْهَا، وَعَرْضِ خُطَّةِ البَحْثِ فِيها بِالتَّفْصِيل، مَعَ ذِكْرِنَا لِبَعْضِ المَصَادِرِ والمَرَاجِع التِي اِعْتَمَدْنَا علَيْهَا، وَكذا بَعْضِ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَة التِي أَعَانَتْنَا عَلى إنْجَازِ هَذِهِ المُذَكِّرَة.

المبحث التمهيدي: وَعرضنا فِيه مَفْهُوم التَّقْدِيم والتَّأْخِير لُغَةً واِصْطِلَاحاً، اِنْطِلَاقاً مِنْ تَعْرِيفِنَا لِعِلْمِ البَلاغَة، وَكَذَا التَّعْرِيفُ بِعَلْمِ المَعَانِي وَمَوْضُوعَاتُه، كَمَا ذكرنا فِيه أَنْوَاعَ وَحَالَاتَ وأَغْرَاضَ التَّقْدِيم والتَّأخير البَلَاغِيَّةِ.

المبحث الأول: بعنوان: **التعريف بالإمام الألوسي وكتابه روح المعاني.** ويشتمل على مطلبين:

المَطْلَبُ الأوَّلُ: التَّعْرِيفُ بالإمَامِ الأَلُوسِي: وفيه سِتَّةُ فُرُوعٍ:

الفَرْعُ الأَوَّلُ: اِسْمُه وَنَسَبُه وَكُنْيَتُهُ.

الفَرْعُ الثَّانِي: مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ.

الفَرْعُ الثَّالِثُ: شُيُوخُه وَتَلاَمِيذُهُ.

الفَرْعُ الرَّابِعُ: عَقِيدَتُهُ وَمَذْهَبُهُ الفِقْهِيُّ.

الفَرْعُ الخَامِسُ: آثَارَهُ العِلْمِيَّةُ.

الفَرْعُ السَّادِسُ: وَفَاتُهُ وَثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْه.

المَطْلَبُ الثَّانِي: التَّعْرِيفُ بِكِتَاب رُوحِ المَعَانِي: وفيه أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ:

الفَرْعُ الأَوَّلُ: سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ وَأَهَمِّيَتُهُ.

الفَرْعُ الثَّانِي: مَنْهَجُهُ بِاخْتِصَارٍ.

الفَرْعُ الثَّالِثُ: مَصَادِرُهُ.

الفَرْعُ الرَّابِعُ: أَهَمُّ مُمَيِّزَاتِهِ وَمَآخِذِهِ.

المبحث الثاني: وعنوانه: **الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير عند الألوسي في كتابه روح المعاني.** ويشتمل على خمسة مطالب هي:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم المَفْعُولِ بِهِ.

الفَرْعُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ عَلَى الفِعْلِ.

الفرع الثاني: مواضع تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول.

المَطْلَبُ الثَّانِي: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الخَبَر.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم الجَارِ وَالمَجْرُورِ.

الفرع الأول: مواضع تقديم الجار والمجرور على الفعل.

الفرع الثاني: مواضع تقديم الجار والمجرور على الفاعل.

الفرع الثالث: مواضع تقديم الجار والمجرور على المفعول.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الحَالِ.

المَطْلَبُ الخَامِسُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم ألفاظ بعضها على بعض في غير عامل.

خاتمة: وفِيهَا ذَكَرْنَا أهمَّ النَّتَائِجِ التِي خَلُصْنَا إلَيْهَا مِنْ خِلَال هَذا البَحْثِ، وَبَعْضِ التَّوْصِيَات التِي نُوصِي بِهَا أنْفُسَنا وإخْوَانَنَا مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ.

عاشراً: العقبات والصعوبات:

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيه أنَّ كُلَّ بَاحِثٍ يَتَعَرَّضُ خِلَال بَحْثِهِ إلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ العَقَبَاتِ والصُّعُوبَات، ومَا أَشْكَل عَلَيْنَا مِنْ خِلَال دِرَاسَتِنَا لِهَذَا البَحْثِ وَقَبْلَ الغَوْصِ فِيه هُوَ:

1. صُعُوبَةُ اِخْتِيَار السُّورَة أو الجُزْءِ المُقَرَّرِ دِرَاسَتُه فِي هَذا البَحْثِ.
2. صُعُوبَةُ فَهْمِ عِبَارَاتِ وألْفَاظ الإمَام الألُوسِي فِي بَعْضِ الأحْيَان، حَيْثُ إنَّ الإمَام وَمِنْ خِلال تَفْسِيرِه لِلْآيَاتِ القُرْآنية فَإنَّهُ يَتَوَسَّعُ فِيها منْ كُلِّ جَوَانِبِها، مِمَّا جَعَلَنَا نَحْتَاج إلَى مَزِيدِ تَدَبُّرٍ وَتَأَمُّلٍ.
3. الاِنْشِغَالُ بِالبُحُوثِ الصَّفِّيَة خِلَال المَوْسِم الدِّرَاسِي، مَا جَعَلَنَا نَقَعُ فِي ضِيقِ الوَقْتِ لإتمَامِ هَذِهِ المُذَكِّرة، خُصُوصاً بَعْدَ جَائِحَةِ (كُورُونَا)، مَا اِقْتَضَت مِنْ إجْرَاءَاتٍ اِحْتِرَازِيَّة مَفْرُوضَةٍ مِنَ الجِهَاتِ المَسْؤُولَة، حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللِّقَاءَاتِ والاِتِّصَالَات مَعَ بَعْضِنَا، وَمَعَ المُشْرِفِ وَمَع المَكَاتِبِ.

هَذَا وَنَسْأَلُ الله تَعَالى أنْ يَكُونَ هَذا العَمَلُ خَالِصاً لِوَجْهِه الكَرِيم، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَيَنْفَعَ طُلَّابَ العِلْمِ وَمُحِبِّيه، وَلَا نَقُولُ إنَّنا أتْمَمْنَا العَمَلَ وَبَلَغْنَا النِّهَايَة فِيه، وَلَكِنْ نَعْتَقِدُ أنَّنَا أَدَّيْنَا بَعْضَ الوَاجِبِ وَنَسْتَغْفِرُ الله مِنْ كُلِّ تَقْصِيرٍ، فَإنَّ الشَّرِيعَة السَّمْحَاءَ عَلَّمَتْنَا أنْ نَسْتَشْعِرَ التَّقْصِيرَ وَلَوْ مَعَ التَّشْمِير، وَذَلِكَ أنْ نَقُولَ عَقِبَ الصَّلوَاتِ والإفَاضَةِ مِنْ عَرَفَاتٍ أسْتَغْفِرُ الله، فَكَيْفَ بِنَا فِي الأعْمَالِ الأُخْرَى، وَلَكِنَّنا نَسْأَلُ الله الثَّوَابَ الجَزِيل عَلَى هَذا العَمَلِ القَلِيلِ، وَهُوَ

جُهْدُ المُقِلِّ، والله مِنْ وَرَاءِ المَقْصَدِ، وَهُوَ الكَرِيمُ الأجلُّ، وَصَلَّى الله عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المَلِيحِ المُبَجَّلِ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

الطالبين: 1. عبد الرؤوف بن علي.

2. الساكر علي.

المَبْحَثُ التَّمْهِيدِي:

مَفْهُومُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ

وَيَشْتَمِلُ هذا المَبْحَثُ علَى خَمْسَةِ مَطَالِبَ هِيَ:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ المَعَانِي وَمَوْضُوعَاتِهِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِير: لُغَةً وَاِصْطِلَاحاً.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: أَنْوَاعُ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِيرِ.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: حَالَاتُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ.

المَطْلَبُ الخَامِسُ: الأَغْرَاضُ البَلَاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِير.

المَبْحَثُ التَّمْهِيدِيُّ: مَفْهُومُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ:

إنَّ البَلاَغةَ فِي مَعْنَاها العام تَعْنِي البُلُوغَ والاِنْتِهَاء؛ أيْ وُصُول الشَّيْء اِلَى مُنْتَهَاهُ، فَهِيَ إذنْ مُرَاعَاةُ مُقْتَضَى الحَالِ مِنْ خِلَال اِخْتِيَار الطَّرِيقَة المُنَاسِبَة وَالصِّيغَة المُلَائِمَة وَالأُسْلُوبِ المُوَاتِي الذِي يُنْهِي المَعْنَى اِلَى قَلْبِ السَّامِعِ لِيَفْهَمَ، وَهِيَ عِلْمٌ قَائِمٌ بِذَاتِه وَأُسُسِهِ وَقَوَاعِدِهِ وَأُصُولِهِ وَأَدَوَاتِهِ التِّي تُمَيِّزُهُ عَنْ غيْرِهِ مِنَ العُلُوم.

وَلأَنَّ مَوْضُوعنا التَّقديمُ والتَّأخيرُ يتَعَلَّق بِعِلْمِ المَعَاني فَسَنَتَطَرَّقُ لِلتَّعريفِ بهذا العِلْمِ أَوّلاً.

المَطْلَبُ الأَوَّل: تَعْرِيفُ عِلْمِ المَعَانِي وَمَوْضُوعَاتُه: وَيَكُونُ تنَاوُلُ المَوْضُوعِ فِيه مِنْ خِلَال فَرْعَيْنِ:

الفرعُ الأَوَّل: تعْرِيف عِلْمِ المَعَانِي: قَدْ عَرَّفَهُ العَدِيدُ مِنْ عُلَمَاء البَلاغَةِ بِتَعْرِيفَاتٍ عَدِيدَةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ، أَخَذْنَا مِنْهَا تَعْرِيفاً وَاحِداً هُوَ تَعْرِيفُ "السَّكَّاكِي"(ت626هـ)، وَالذِي عَرَّفَهُ بِقَوْلِهِ: (هُوَ تَتَبُّع خَوَاصّ تَرَاكِيب الكَلاَمِ فِي الإِفَادَة وَمَا يَتَّصلُ بِهَا مِنْ الاِسْتِحْسَان وَغَيْرِه، لِيُحْتَرَز بِالوُقُوف عَلَيْها مِنَ الخَطَأ فِي تَطْبِيق الكَلَام عَلَى مَا يَقْتَضِي الحالُ ذِكْرَه، وأَعْنِي بتراكِيبِ الكَلاَم التَّرَاكيبَ الصَّادِرَة عَن منْ لَهُ فَضْلُ التَّمْييز والمَعْرفة؛ أَيْ التَّراكيب الصَّادرة عَنِ البُلَغَاء دُونَ غَيْرِهِم)[1]. مِنْ خِلَال هَذا التَّعْرِيفِ نُلَاحِظُ أَنَّ "السَّكَّاكِي" قَدْ بَنَى تعْرِيفَهُ عَلَى رُكْنَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ هُمَا: تَرْكِيبُ الكَلَامِ، ومُرَاعَاةُ مُقْتَضَى الحَال، حَسْبَ كُلِّ مَقَامٍ، وَذلك بالعَوْدَةِ اِلَى قَوَامِيس اللُّغَة المُتَوَفِّرة وَاِجْرَائِهَا وِفْقَ قَوَانِين النَّحْو، وَذلك لِلتَّعْبِير عَمَّا يَتَطَلَّبُه المَقَامُ وَتَقْتَضِيه المُنَاسَبَةُ.

وَيُعْتَبر عِلْمُ المَعَانِي مِنَ الأُصُول والقَوَاعِد التِّي يُتَوَصَّل بِهَا إلى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّة مُطَابَقَةِ الكَلام لِمُقْتَضى الحَالِ؛ أَيْ المَقَام، وَهُو الأمر الدَّاعي لإيرَادِ خُصُوصِيَّةٍ فِي الكَلَام[2] وهذا مَا

[1] مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف علي السكاكي، ضبطه: نعيم زرزور، ط1983/1م، دار الكتب العلمية، لبنان ص162.

[2] زهرة الربيع في البيان والمعاني والبديع، أحمد الحملاوي، تعليق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوقيفية بالقاهرة، ص9.

جَعَلُهُ يَرْتَبِطُ اِرْتِبَاطاً وَثِيقاً بِفِكْرَةِ إِعْجَازِ القُرْآن الكَرِيم ونَظَرِيَّة النَّظْمِ، التي وَضَعَها "عَبْدُ القَاهِر الجُرْجَاني"(ت471هـ)، مُسْتَمِدّاً إيَّاها من الكِتَاب والسُّنَّة وَكَلَامِ العَرَبِ[1].

الفَرْعُ الثَّانِي: مَوْضُوع عِلْمِ المَعَانِي: يَدْرُس عِلْمُ المَعَاني اللَّفظَ العَرَبِيَّ، من حيثُ إفَادَتُهُ لِلْمَعاني الثَّانويةِ؛ أَيْ الأَغْرَاض المَقْصُودةِ لِلْمُتَكلِّم، الذِي جَعَلَ الكلام يَشْتَمِلُ علَى تلْكَ اللَّطَائف والخُصُوصِيَّات التِّي بِهاَ يُطَابِقُ مُقْتَضَى الحَال[2].

المَطْلَبُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ: وَفِيه فَرْعَان تَنَاوَلْنَا فِيهِمَا تَعْرِيفَ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فِي اللُّغَة والاِصْطِلَاحِ.

الفرعُ الأَوَّل: تَعْرِيفُ التَّقديمِ:

لُغَةً: قال "الرَّاغِبُ الأَصْفَهانِي"[3](ت425هـ): القَدَمُ؛ قَدَمُ الرّجُلِ، وجمعه أقدام، قال تعالى:﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنفال: 11، وَقَدَّمْتُ الرَّجل أَقْدُمُه إذَا تَقَدَّمَهُ[4]. والقَدَمُ مُحَرَّكَةٌ؛ أَيْ السَّابِقَةُ في الأَمْرِ[5]. قَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النحل: 61.

وَيَقُول "اِبْنُ مَنْظُورٍ"[6](ت711هـ): المُقَدِّمُ: هو الذي يُقَدِّم الأَشْيَاء وَيَضَعُها في مَوَاضِعِها فَمَن اِسْتَحَقَّ التّقديمَ قَدَّمَهُ، والقِدَمُ بالكَسْرِ؛ العِتْقُ مَصْدر القَدِيمِ، والقِدَمُ نَقِيضُ الحُدُوثِ، نقول: قَدُمَ

---

[1] المباحث البلاغية في تفسير الزمخشري، الشارف لطرش، دار أم الكتاب، ص91.

[2] جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ضبطه: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص47.

[3] هو أبو القاسم الأصفهاني الحسين بن محمد بن الفضل، ولد في أوائل المئة الخامسة ببغداد، من مؤلفاته: المفردات في ألفاظ القرآن الكريم، جامع التفاسير، توفي في سنة 500هـ. ينظر: هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين، البغدادي ط1/1951م، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ج1/ص311. وأيضاً: الأعلام، الزركلي، ج2/ص225.

[4] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص397.

[5] القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت817هـ)، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط8/1426هـ-2005م، بيروت، لبنان، ص1147.

[6] هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه ولد سنة 630هـ بتونس، أشهر مؤلفاته: لسان العرب، وتوفي سنة 711هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج7/ص108.

يَقْدُم قِدَماً وَقُدَامَةً وَتَقَادَمٌ، وهو قَدِيمٌ، والجمع قُدَمَاء وَقُدَامَى، وشيءٌ قُدَّامٌ: كَقَدِيمٍ[1].

الفرعُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ التَّأْخِير:

لُغَةً: مَصْدَرُ أَخَّر، وهو نَقْلُ الكَلِمَة مِنْ مَكَانها الطَّبِيعي إلى مَكَانٍ آخَرَ بَعْدَها، وهُوَ مُقَابل التَّقْدِيم[2]. قَالَ تَعَالَى:﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ ﴾ القيامة: 13.

الفَرْعُ الثَّالِثُ: تَعْرِيفُ التَّقْدِيم والتَّأْخير اِصْطِلاَحاً:

مِمَّا لاَ يَخْتَلِفُ فيه اِثْنَان أَنَّ الجُمْلَة العَرَبِيّة اِمَّا أَنْ تَكُونَ فِعْلِيَّةً أَوْ اِسْمِيَّةً، وَفِي كُلٍّ مِنْهُمَا لَا بُدَّ مِنْ وُجُود مُسْنَدٍ وَمُسْنَدٍ اِلَيْهِ، فالمُسْنَدُ إليه في الجُمْلَة الاِسْمِيّة هو المُبْتَدأ، والمُسْنَدُ هُوَ الخَبَرُ، أَمَّا فِي الجُمْلَة الفِعْلِيَّة فالمُسْنَد فيها هُوَ الفِعْلُ، والمُسْنَد اِلَيْه هُوَ الفَاعِلُ، وقد يَحْدُثُ تَغْيِيرٌ فِيهما مِنْ حَيْثُ التَّرْتِيب، فَيَتَقَدَّمُ المَعْمُولُ عَلَى عَامِلِه، والمحكوم على الحاكم النّحوي وَهَذَا مَا يُعْرَفُ بِظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، فَمَا هُوَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ؟

عَرَّفَ عُلَمَاءُ اللُّغَة عُمُوماً وَأَهْلُ البَلاَغَةِ مِنْهُم عَلَى وَجْهِ الخُصُوصِ التَّقْدِيم والتَّأْخِير بِتَعْرِيفَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا:

يَقُولُ صَاحِبُ "مُعْجَمِ اللُّغَة": (التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ هُمَا التَّغْيِير فِي التَّرتِيب الطَّبيعِي لِأَجْزاء الجُمْلَة لِغَرَضٍ بَلَاغِيٍّ كَزِيَادَةِ الاِهْتِمَام أَوْ القَصْر أَوْ التَّشْوِيق أو لِضَرُورةٍ شِعْرِيَّةٍ)[3].

وَتُعْرَف ظَاهرةُ التَّقديمِ والتَّأْخِير بِأَنَّها: (المُخَالفة في ترتيبِ عنَاصِر التَّرْكِيب دَاخِل السِّيَاق فَيَتقدَّمُ مَا الأَصْلُ فيهِ أَنْ يَتَأَخَّر، وَيَتَأَخَّرُ مَا الأَصْلُ فيهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ)[4].

---

[1] لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين اِبن منظور الأنصاري(ت711هـ)، ط1414/3هـ، دار صادر، بيروت، ج12/ص465.

[2] المفردات للأصفهاني، مرجع سابق، ص69.

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، ط1429/1هـ-2008م، عالم الكتب، ج1/ص71.

[4] ظاهرة التقديم والتأخير في النحو والبلاغة، إقبال عبد المنعم عباس محمد، إشراف: نور علي ماهل، بحث لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة أم درمان، السودان، كلية اللغات، 2016م، ص5.

منْ خِلال هَذِهِ التَّعَارِيفِ، يُمْكِنُ أَنْ نَستنتج تَعْرِيفاً لِظَاهِرَة التَّقْدِيم والتَّأْخِير مَفَادُهُ أَنَّها: تَغْيِيرٌ في تَرْتِيب تَرَاكيبِ الكَلِمَات دَاخِلَ الجُمَل، وَذَلِكَ بِتَقْدِيم مَا كان مُؤَخَّراً وَتَأْخِيرِ مَا كانَ مُقَدَّماً وَيُعْتَبُر هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الكَلَام مِنْ سُنَنِ العَربِ فِي كَلَامِهَا، وقدْ تَمَيَّز بِهِ الأُسْلُوب القُرْآنِي كَخَاصّيَّةٍ ذَوْقِيَّةٍ، جَمَالِيَّةٍ، يُؤْتَى بها لأَغْرَاضٍ بَلاغِيَّةٍ مُتَنَوّعَةٍ وَمُتَعَدّدَةٍ .

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: أَنْوَاعُ التَّقدِيمِ والتَّأْخِيرِ:

يُمَيِّزُ "الجُرْجَانِي" بَيْنَ نَوْعيْنِ منَ تَقْدِيم الكَلِمَات دَاخِلَ السِّيَاقِ وتَأْخِيرِهَا، وَهُمَا: التقديم على نيَّة التَّأخِير، والتَّقديم لَا على نيَّة التَّأخير.

الفرعُ الأَوَّلُ: تَقْديمٌ على نِيَّةِ التَّأْخِيرِ: وَيَكُون ذلكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَقْرَرْتَهُ، مَعَ التّقديمِ على حُكْمِهِ الذِي كَانَ عليه، وفِي جِنْسِهِ الذِي كَانَ فِيه، نَحْوَ تَقْدِيم الخَبَرِ على المُبْتَدَأ، والمَفْعُولِ على الفَاعِلِ، نَحْوَ قولك: مُنْطَلِقٌ زَيْدٌ، وَضَرَبَ عُمَراً زَيْدٌ.

الفرعُ الثَّانِي: تَقْدِيمٌ لاَ عَلَى نِيَّة التَّأْخِير: وهو أَنْ تَنْقُلَ الشَّيء مِنْ حُكْمٍ إِلَى حُكْمٍ آخَرَ وَتَجْعَلَ لَهُ باباً غير بَابِهِ، وإعراباً غير إعرَابِهِ، نحو تَقْدِيمِك لِاسْمٍ على آخَرَ يَحْتَمِلُ الواحدُ منهُمَا أَنْ يَكُون مُبْتدأً والآخَرُ خَبَراً لهُ، فَيَتَقَدَّمُ أَحدُهُما تارةً على ذَاكَ، مِثَالُه ما تَصْنَعُه بِزَيْدٍ والمُنْطَلِقُ فتَقُولُ: زَيْدٌ المُنْطَلِقُ، أو المُنْطَلِقُ زَيْدٌ[1].

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: حَالَاتُ التَّقْدِيم والتَّأْخِيرِ:

وكمَا ذَكَرْنا سابقاً بأَنَّ الجُملة في اللُّغة العَربيّة تنقسمُ إلى جملَةٍ فِعْلِيَّةٍ وأُخْرَى اِسْمِيَّةٍ وتتركَّبُ هذه الجُملَةُ من مُسْنَدٍ ومُسْنَدٍ إليْهِ، ومُتعَلَّقاتُ الإسْنَاد، ولَهَا نِظَامُها الخَاصُّ في تَرْتِيب مُفْرَداتِهَا هَذَا النِّظامُ الذي تَخْضعُ له الجُملة منْ نَاحِيَة التَّرتيب لاَ يَكُونُ جامداً، إنَّما تَطْرأُ عليه تَغْيِيراتٌ في طَرِيقةِ التَّرتِيبِ، فَيَتقدَّمُ عُنْصُرٌ ويتأَخَّرُ آخرُ، وهذا التَّغْيِيرُ لاَ يكونُ

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود أحمد شاكر، ط2004/5م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص106. ينظر: المؤجر في دلائل الإعجاز في علم المعاني، جعفر دك الباب، ط1/ مطبعة الجليل، دمشق، ص88.

اِعْتِبَاطِيّاً إنَّما يَخْضَعُ لِضَوَابِط وَقيُودٍ، فَقَدْ يكونُ إجباريّاً لِعِلَّةٍ نَحْوَيّةٍ أو شعرية، وقدْ يَكُونُ اِختياراً فَيَخْضَعُ لِدوَاعٍ دَلَاليَّةٍ أَوْ بَلاغِيَّةٍ.

يقُولُ "أَبُو هِلَال العَسْكَري"(ت382هـ): (يَنْبَغي أَنْ تُرَتَّبَ الألفاظَ تَرْتِيباً صَحِيحاً، فَنُقَدِّمُ منها ما يَحْسُنُ تَقْدِيمُه، ونُؤَخِّر ما يُحْسُن تَأْخِيره، ولاَ نُقَدِّم منها ما يكونُ التَّأخِيرُ فيه أَحْسَنُ ولا نُؤَخِّر منها مَا يكُونُ فيه التَّقديمُ أَحْسَنُ)[1]، وثَمَّتَ مَوَاطِنُ لا يَجُوزُ التَّقدِيمُ فيها وَهِيَ عديدةٌ منها: الصِّلَةُ على المَوْصُولِ، المُضَاف إليه ومَا اِتَّصَل به، الأَفْعَالُ التي لا تَتَصَّرفُ لاَ ينْبَغِي تَقْدِيمُ الفَاعِلِ عَلَيْهَا[2]...

وَهُنا يُمْكِن بِاختصَارٍ أَنْ نَجْمَعَ حالاَتِ التَّقْديمِ والتَّأْخِير في الجُمْلَة، وهي على النَّحْوِ التَّالِي:

الفرعُ الأَوَّلُ: التَّقديمُ والتَّأْخِيرُ فِي المُبْتَدأ والخَبَرِ:

والأَصْلُ في المُبْتَدأ أَنْ يَتَقَدَّم على الخَبَرِ، لِأَنَّ هذا الأَخِيرَ هو وَصْفٌ لِلأَوَّل فِي المَعْنَى. وَحَقُّ الوَصف أنْ يَتَأَخَّر عَنِ المَوْصُوف، ولَكِنْ قَدْ يَقَعُ بينهُما تَقْدِيمٌ وتَأْخِيرٌ؛ إمَّا وُجُوباً، أو جَوَازاً[3]، وَلِهَذَا فَقَدْ قَسَّم النُّحاةُ حالاتِ التَّقديمِ والتَّأخير بينَهُمَا إلَى ثَلَاثَ حَالَاتٍ هِيَ[4]:

أَوَّلاً: وُجُوبُ تَقْدِيمِ المُبْتَدَأ عَلى الخَبَرِ. مِثَالُ ذَلِك: كَأَنْ يَقْتَرِنَ بِلَامِ التَّأْكِيد؛ وَهِيَ التِي تُسَمَّى لَامُ الاِبْتِدَاء، نَحْوَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴿٢٢١﴾ ﴾ البقرة: 221.

ثانياً: وُجُوبُ تَأَخُّر المُبْتَدأ عَلَى الخَبَرِ. مِثَال: إذَا كَانَ الخَبَرُ اِسْمَ اِسْتِفْهَامٍ، أَوْ مُضَافاً اِلَى اِسْمِ اِسْتِفْهَامٍ، فَالأَوَّلُ نَحْوَ: (كَيْفَ حَالُكَ؟)، والثَّانِي نَحْوَ: (اِبْنَ مَنْ أَنْتَ؟)، أَوْ (صَبِيحَةَ أَيِّ يَوْمٍ سَفَرُكَ).

---

[1] المناسبة في القرآن، مصطفى شعبان عبد الحميد، ط1/2007م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص279.

[2] الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تح: غازي مختار طليمات، مجمع اللغة العربية، دمشق ج1/ص209.

[3] قصة الإعراب، إبراهيم قلاتي، دط/2006م، دار الهدى، عين مليلة بالجزائر، ص25.

[4] الجملة الإسمية، علي أبو المكارم، ط1/2007م، مؤسسة المختار بالقاهرة، ص52.

ثالثاً: جَوَازُ الأَمْرَيْنِ. مثال: إذَا أُمِنَ اللَّبْسُ، كَقَوْلِ بَعْضِهِم[1]:

بَنُونَ بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا * بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ.**

وَقَدْ جَمَعَ ذَلِكَ "اِبْنُ مَالِكٍ"[2](ت672هـ) فِي الخُلَاصَةِ بِقَوْلِهِ[3]:

وَالأَصْـــلُ فِي الأَخْـبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَا * وَجَوَّزُوا التَّقْدِيــمَ إِذْ لَا ضَـرَرَا**

فامْنَعــْهُ حِيــنَ يَسْتَوِي الجُــزْءَانِ * عُــرْفًا وَنُكْرًا عَادِمِـي بَيَـانِ**

كَـــذَا إِذَا مَـا الفِعْلُ كَـان الخَبَرَا * أَوْ قَصُدَ اِسْتِعْمَالُهُ مُنْحَصِـــرَا**

أَوْ كَـانَ مُسْـنَداً لِـذِي لَامِ اِبْتِدآ * أَوْ لَازِمَ الصَّـدْرِ كَمَنْ لِي مُنْجِدَا**

وَنَحْـــوَ عِنْدِي دِرْهَـــمٌ وَلِـــي وَطَــر * مُلْتَزِمٌ فِـــيه تَقَدُّمُ الخَبَـر**

كـــــذَا إِذَا عَـــادَ عَلَيْهِ مُضْمَـــرٌ * مِـمَّا بِهِ عَنْهُ مُبيَّناً يُخْبَـرُ**

كـــــذَا إِذَا يَسْتَـــوْجِـبِ التَّصْدِيـــرَا * كَأَيْنَ مَـــنْ عَلَّمْتَهُ نَصِيرَا**

وَخَبَـــرُ المَحْصُـــورِ قَـــدِّمْ أَبَداً * كَمَـــا لَنَـــا إِلَّا اِتِّبَـاعُ أَحْمَداً**

الفرعُ الثَّانِي: التَّقديمُ والتَّأْخِيرُ فِي الخَبَرِ المُثْبَتِ:

هُناكَ فَرْقٌ بَيْن تقديمِ الاِسْمِ الذي هو فاعِلٌ فِي المَعْنَى على الفِعْلِ، وتَقْدِيمُ الفِعْلِ عليه في الخَبَرِ، وهَذَا التَّقْدِيمُ يَأْتِي فِي ثَلَاثِ صُوَرٍ هِيَ[4]:

---

[1] نسب جماعة هذا البيت للفرزدق، وقال قوم: لا يُعْلَمُ قائله، مع شهرته في كتب النحاة وأهل المعاني والفرضيين. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت 769هـ) ط1400/20 هـ –1980 م، دار التراث –القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ج2/ص233.

[2] محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها، (600 –672 هـ = 1203 –1274 م)، أشهر كتبه: الألفية في النحو. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6/ص233.

[3] ألفية بن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، دار التعاون دط، دت، ص18.

[4] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود الميسري، تقديم: عبد العظيم المطعني، ط2005/1م، مكتبة وهبة بالقاهرة، ص82.

أَوَّلاً: أَنْ يَكُون الفَاعِلُ المُقَدَّمُ على فِعْلِهِ مَنْفِيّاً، نَحْوَ قولك:(مَا أَنَا ظَلَمْتُ أَحَداً)، فَهُنَا أَفَادَ التَّركيبُ قَصْرَ نَفْيِ الفِعْلِ علىَ الاِسْمِ المُقَدَّمِ، وَأَنَّ الفِعْلَ ثَابِتٌ مُتَّفَقٌ علَى حُصُولِهِ، وَأَنَّهُ مَنْفِيٌّ عَلَى المُسْنَدِ إليه المُقَدَّم، وأنَّه مُثْبَتٌ لِغَيْرِهِ علَى حَسَبِ النَّفْيِ عُمُوماً وخُصُوصاً.

ثانياً: وَهِيَ مَا تَقَدَّم فيها المُسْنَدُ إليه عَلَى الفِعْلِ، ولمْ يَكُن فِي الكَلاَم نَفْيٌ، نَحْوَ قولك:(أَنَا فَعَلْتُ كَذَا وَزَيْدٌ فَعَلَ كَذَا)، فيكُونُ التَّقديمُ هُنَا للاِهْتِمَامِ بالفاعِلِ المُقَدَّم، وَبَيَانِ أَنَّ القَصْدَ إليْهِ.

ثالثاً: أَنْ يَكُونَ الخَبَرُ مَنْفِيّاً، وَلَكِنْ يُقَدَّم الاِسْمُ على الفِعْلِ، نحو قولك:(أَنْتَ لَا تَفْعَلُ كَذَا) وَيَكُون الغَرَضُ مِنَ التَّقديمِ قَصْرُ نَفْيِ الفِعْلِ عَلَى المُقَدَّم وإثْبَاتُه لِغَيْرِهِ، أَوْ يَكُون لِتَقْوِيَةِ الحُكْمِ.

الفرعُ الثَّالِثُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ بَيْنَ الاِسْمِ والفِعْلِ في الاِسْتِفْهَام الإنْكَارِي:

والمَقْصُود بالاِسْتِفْهَامِ الإنْكَارِي هُوَ الخُروجُ من الاِسْتِفْهام الحَقِيقي إلى التَّكذِيبِ، أَوْ النَّفْيِ وَيَجِبُ أنْ يَلِي فيه الأَمْرَ المُرَادَ إنْكَارُهُ الهَمْزَةَ سَوَاءً كانَ فِعْلاً أو فَاعِلاً أو مَفْعُولاً، نَحْو: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الصافات: 153. فهُنَا قُدِّمَ الفِعْلُ عَلَى الاِسْمِ لِأَنَّ الغَرَضَ هُنَا هُوَ إنْكَارُ الفِعْلِ، فإذاَ أُرِيدَ إنْكَارُ الاِسْمِ (الفَاعلُ أو المَفْعُولُ أو غيرهُمَا)؛ وَجَبَ تَقْدِيمُهُ أيضاً[1].

الفرعُ الرَّابِعُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِير بَيْنَ الفِعْلِ والفَاعِلِ:

يَرَى جُمْهُورُ النَّحْوِيّينَ أَنَّ الفَاعِلَ وَجَبَ أَنْ يَتَأَخَّر عَنْ فِعْلِهِ، لِأَنَّ الفَاعِلَ جُزْءٌ مِنَ الفِعْلِ منْ نَاحِيَةٍ، ثُمَّ إنَّ الفِعْلَ عَامِلٌ فيه، وَمَعْنَى هذا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَتَقَدَّم عَلَيْهِ[2].

وَمَعْنَى هذَا أَنَّ الفِعْلَ مُقَدَّمٌ عَلَى الفَاعِلِ أَصَالَةً، نَحْوَ قولك:(نَجَحَ المُجْتَهِدُ)، فَاعِلٌ أُسْنِدَ إليْهِ الفِعْلُ، أَمَّا قَوْلُك:(المُجْتَهِدُ نَجَحَ)، فَهُنَا مُبْتَدَأٌ أُسْنِدَ إليْهِ الخَبَرُ الذِي بَعْدَهُ، وَهُوَ الجُملَةُ الفِعْلِيَّةُ المُتَكَوِّنَةُ مِنْ فِعْلٍ وَفَاعِلٍ[3].

---

[1] دلائل الإعجاز، الجرجاني، مرجع سابق، ص112.

[2] الجملة الفعلية، علي أبو المكارم، ط2007/1م، مؤسسة المختار، القاهرة، ص91.

[3] قصة الإعراب، إبراهيم قلاتي، مرجع سابق، ص33.

الفرعُ الخَامِسُ: تَقْدِيمُ المَفْعُول بِهِ:

مِنَ المُتَعَارَفِ عليه فِي الجُمْلَةِ العربيَّة أَنَّ لَهَا تَرْتِيباً خَاصّاً هُوَ: الفِعْلُ وَالفَاعِلُ والَمفعُول به، وهذَا التَّرتِيبُ مُتَّبَعٌ في الجُملة الفِعليَّة، وإِنْ كانت تِلْكَ هي الرُّتْبَةُ التِي وَضَعَهَا النُّحاةُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ مُخالَفَتُها فِي بَعْضِ الحَالات التِي حَدَّدَهَا بَعْضُهم، منْ خِلَالِ اِسْتِقْرَائِهِم لِلنُّصُوصِ اللُّغوية فَيَتَقَدَّم المَفْعُولُ عَلَى الفَاعِلِ مَثَلًا وعلَى الفِعْلِ نَفْسِهِ، وَقَدْ قَسَّم النُّحاةُ حالَاتَ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ أو تَأْخِيرِهِ إلى قِسْمَيْنِ باِعتبَارِ المُؤَخَّر هيَ:

أَوَّلاً: مِنْ حَيْث تقْدِيمُهِ عَلَى الفَاعِلِ: لَهُ ثَلَاثةُ أَضْرُبٍ[1]:

1-وُجُوبُ تَقْدِيمِ المَفْعُول علَى الفَاعِلِ، وهُنا تَكُونُ مُخَالفَةُ الرُّتْبَة. مثال: (أيّاً تَضْرِب أَضْرِب).

2-وُجُوبُ تَأخِيرُ المفْعُولِ علَى الفَاعِلِ، إذا خُشِيَ الإِلْتِبَاسُ، فَلَا يُعْلَمُ الفَاعِلُ مِن المَفْعُول فَيَجِبُ تَقْدِيمُ الفَاعِل، وَهُنا تَكُون المُحَافَظَة عَلَى الرُّتْبَة. نَحْوَ: (عَلَّمَ مُوسَى عِيسَى).

3-جَوَازُ التَّقدِيمِ أَوْ التَّأْخِيرِ. نَحْوَ:قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل: 16.

ثانياً: مِنْ حيثُ تَقْدِيمُ المَفْعُول بِهِ علَى الفِعْلِ: وَهذا علَى ضَرْبَيْنِ[2]:

1-وُجُوبُ تَأْخِير المَفْعُول به علَى الفِعْلِ، إذا كَان اِسْمَ شَرْطٍ، أَوْ اِسْمَ اِسْتِفْهَامٍ، نَحْوَ: قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزمر: 36. والثَّانِي نَحْوَ:قَالَتَعَالَىٰ:﴿ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ غافر: 81.

2-وُجُوبُ تَقْدِيم المَفْعُول به عَلَى الفِعْلِ، وَهُنَا تكُونُ مُخَالَفَة الرُّتْبَة.

قَالَ "اِبْنُ مَالِكٍ" فِي الخُلَاصَة[3]:

وَالأَصْلُ فِي الفَاعِلِ أَنْ يَتَّصِلَا * وَالأَصْلُ فِي المَفْعُول أَنْ يَنْفَصِلَا**

---

[1] قضايا المفعول به عند النحاة، محمد أحمد خيضر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2003م، ص295.

[2] قضايا المفعول به عند النحاة، محمد خيضر، مرجع سابق، ص295.

[3] أنوار المسالك في شرح ألفية ابن مالك، جمال الدين أبو عبد الله بن مالك الأندلسي، ش: يوسف علي بديوي، 35-36.

وَقَـدْ يُجَــاءُ بِخِلَافِ الأَصْــلِ *** وَقَدْ يجي المَفْعُولُ قَبْلَ الفِعْلِ
وأَخِّرِ المَفْعُولَ إِنْ لَبْسٌ حُـذِرْ *** أَوْ أُضْمِر الفَاعِلُ غَيْرَ مُنْحَصِـر
وَمَــا بِإِلاَّ أَوْ بِإِنَّمَــا اِنْحَصَرْ *** أَخِّــر وَقَدْ يَسْبِقُ إِنْ قَصْدٌ ظَهَرْ
وَشَــاعَ نَحْــوَ خَافَ رَبَّــهُ عُمَــرْ *** وَشَـذَّ نَحْوَ زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرْ

الفَرْعُ السَّادِسُ: تقْدِيمُ وتَأْخِيرُ الحَالِ:

والحَالُ فَضْلَةٌ يُذْكَرُ لِبَيَانِ هَيْئَةِ الاِسْمِ الذِي يَكُونُ الوَصْفُ لَهُ، نَحْوَ قَوْلِكَ: (رَجَعَ الجُنْدُ ظَافِراً)، (أَدِّبْ وَلَدَكَ صَغِيراً)، وَمَرْتَبَةُ الحَالِ تَكُونُ بعد صَاحِبها، وَبَعْدَ عَامِلِهَا، وَيَجُوز تَقْدِيمُها علَى أَحَدِهِما أَوْ عَلَيْهِما مَعاً. وَلِهَذا التَّقْدِيم والتَّأْخِير قَوَاعِدٌ هِيَ[1]:

أَوَّلاً: وُجُوب تَقْدِيمِ الحَالِ عَلَى عامِلِهَا: وَيَكُونُ هذا فِي ثلاث صور:

1-أَنْ يَكُون لَهَا صَدْرُ الكَلَام، نَحْوَ: (كَيْفَ رَجَعَ سَلِيمٌ؟).

2-أَنْ يَكُون العَامِلُ فِيها مَعْنَى التَّشْبِيه دُونَ أَحْرُفِهِ، نَحْوَ: (أَنَا فَقِيراً كَخَلِيلٍ غَنِيّاً).

3-إذا كَانَ عَامِلُه اِسْمَ تَفْضِيلٍ، عَامِلاً فِي حَالَيْنِ، نَحْوَ: (خَالِدٌ فَقِيراً أَكْرَمُ مِنْ عَمْرٍو غَنِيّاً).

ثانياً: وُجُوبُ تَأْخِير الحالِ عنْ عامِلِهَا، ويَكُونُ ذَلِكَ فِي أَحَدَ عَشَرَ موْضِعاً، نذكر منها:

1-إذا كان الكَلام مُقْتَرِناً بِلاَمِ الإِبْتِدَاءِ أَوْ القَسَمِ، نحْوَ قولك: (لَأُثَابِرَنَّ مُجْتَهِداً).

2-أَنْ يَكُونَ العَامِل فِيها فِعْلاً جَامِداً، نَحْو: (نِعْمَ المِهْذَارُ سَاكِتاً، وَبِئْسَ المَرْءُ مُنَافِقاً)[2].

3-أَنْ تَكُونَ الحَالُ مؤَكِّدَةً لِعَامِلِها، نَحْوَ: (ولَّى العَدُوُّ مُدْبِراً، وَتَبَسَّمَ الصَّدِيقُ ضَاحِكاً).

الفرعُ السَّابِعُ: تَقْدِيمُ وَتَأْخِيرُ التَّمْيِيزِ عَنْ عَامِلِهِ:

يَجِبُ تَأْخِيرُ التَّمْيِيزِ عَنْ عامِلِه فِي الحَالَاتِ التَّالية:

أَوَّلاً: إذا كان نَاصِبُه اِسْماً، عَدَداً أو كَيْلاً أَوْ مِسَاحَةً، نَحْوَ: (قَرَأْتُ ثَلَاثِينَ قِصَّةً).

ثانياً: إذا كان نَاصِبُهُ فِعْلاً جَامِداً، وهُوَ فِعْلُ تَعَجُّبٍ، نَحْوُ: (مَا أَعْظَمَ عَلِيّاً خَطِيباً).

---

[1] الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، القاهرة، دت، ص253.

[2] النحو الوافي، عباس حسن، ط3/دار المعارف، مصر، ج2/ص380.

ثالثاً: إذا كان نَاصِبُهُ فِعْلاً مُتَصَرِّفاً يُشْبِهُ الفِعْلَ الجَامِدَ منْ نَاحِيَةِ التَّعَجُّبِ[1].

الفرعُ الثَّامِنُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ فِي الجُمْلَةِ الظَّرْفِيَّةِ:

تتَشَابَهُ الجُملةُ الظَّرْفِيَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الضَّوَابِطِ مَعَ الجُملةِ الاِسْمِيَّة، فَفِي كِلَيْهِمَا يَأْخُذُ التَّرْتِيبُ بَيْنَ رُكْنَي الإسْنَادِ أَحْوَالاً ثَلَاثةً هِيَ[2]:

أَوَّلاً: تَقَدُّمُ المُبْتَدَأ وُجُوباً.

ثانياً: تَقَدُّمُ الخَبَرِ وُجُوباً.

ثالثاً: جَوَازُ الأَمْرَيْنِ مَعاً.

الفرعُ التَّاسِعُ: تَقْدِيمُ شِبْهِ الجُمْلَةِ:

الأَصْلُ فِي شِبْهِ الجُملة سَوَاءً كَانَتْ جَاراً ومَجْرُوراً أو مُضَافاً وَمُضَافاً إِلَيْهِ أَنْ تَلِيَ الفِعْلَ والفَاعِلَ، لَكِنَّها تَتَمَتَّعُ بِحُرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي الاِنْتِقَالِ مِنْ مَوْضِعِهَا الأَصْلِيّ، فَتَتَقَدَّمُ عَلَى الفِعْلِ والفَاعِل تَارَةً، وقَدْ تَتَوَسَّطُ بيْن الرُّكْنَيْنِ، وسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ هُنَاك كَثِيراً مِنَ المَوَاضِعِ التِي لَا يَجُوزُ فِيهَا التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ إِلَّا إِذَا كان ذَلِكَ شِبْهَ جُمْلَةٍ، والاِسْتِعْمَالُ اللُّغَوِيُّ يُجْبِرُ أَنْ يَتَوَسَّطَ عُنْصُرٌ بَيْنَ الفِعْلِ والفَاعِلِ، وقَدْ يَأْتِي هذا العُنْصُر فِي شَكْلِ شِبْهِ جُمْلَةٍ، وَلَعَلَّ وُقُوعَ هَذا العُنْصُر يَأْخُذُ مُسَوّغاً لَهُ يَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ كُلّاً مِنْهُما يُشَكِّلُ مِحْوَراً، أَيْ أُسْنِدَتْ لَهُ وَظِيفَةٌ جَدِيدَةٌ جَعَلَتْهُ يَحْظَى بالاِهْتِمَامِ والحَدِيثِ الذي يجعله ينتقل ويتقدّم عن رُتبته[3].

---

[1] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود الميسري، مرجع سابق، ص100.

[2] التراكيب الإسنادية، علي أبو المكارم، ط2007/1م، مؤسسة المختار، القاهرة، ص71-72.

[3] التقديم والتأخير في المثل العربي، غادة أحمد البواب، دط/2011، وزارة الثقافة، عمان، ص115.

المَطْلَبُ الخَامِسُ: أَغْرَاضُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ:

إنّ التَّقدِيمَ والتَّأْخِيرَ ظاهِرَةٌ مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ عِلْمَيْ النَّحْوِ والبَلَاغَة، ذَلِكَ أَنَّ النَّحو يَدْرُسُها مِنْ جَانِبِها التَّرْكِيبِي، والبَلاَغةُ تَدْرُسُها مِنْ جَانبها المَعْنَوِي؛ أَيْ من خِلَالِ تَتَبُّعِ المَعَانِي وَالأَغْرَاضِ التِي اِتَّسَمَتْ بِهَا الجُمْلَة التِي وَقَعَ فِيها تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَفِيمَا يَلِي أَهَمُّ الأَغْرَاضِ التِي يَقَعُ مِنْ خِلَالِهَا هَذَا الأُسْلُوبُ:

الفرعُ الأَوَّلُ: التَّشْوِيقُ:

وَذَلِك بِأَنْ يَكُون فِي المُسْنَد إليه غَرَابةً مِن شَأْنِهَا أَنْ تُشَوِّقَ المُخَاطَبَ إلىَ مَعْرِفَة المُسْنَدِ وَذَلِك لِأَنَّ المُسْنَد والمُسْنَدَ إليْهِ مُتَلَازِمَانِ. ومِثَالُ ذَلِكَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحج: 72، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ تَأَخَّر ذِكْرُ النَّار مَا جَعَلَ العَقْلَ والفِكْرَ يَقَعُ في مَسْرَحٍ من التَّوَقُّعاتِ الذِّهْنِيَّةِ لِما يُنَبَّأُ بِهِ من هَذِهِ الحَالَةِ ولِيَكُونَ ذلك أَدْعَى إِلَى اِسْتِقْرَارِ المَعْنَى وثُبُوتِهِ أيضاً[1].

الفرعُ الثَّانِي: إفادَةُ التَّخْصِيصِ:

إذا كانَ الخَبَر فِعْلاً وَجَاء بعدَ المُسْنَدِ إليه حَرْفُ نَفْيٍ نَحْوَ: (مَا أَنَا قُلْتُ كَذَا)؛ أَيْ لمْ أَقُلْهُ وهو مَقُولٌ لِغَيْرِي، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إلَّا فِي شَيْءٍ ثَبَتَ أَنَّهُ مَقُولٌ، لَكِنَّك تُرِيدُ نَفْيَهُ عَنْكَ[2]، أَوْ أَنْ يَتَأَخَّر النَّفْيُ عنِ المُسْنَد إليه، وَأَنْ يَكُونَ المُسْنَدُ فِعْلاً نَحْوَ قوْلِكَ: (أَنَا مَا فَتَحْتُ البَابَ) وَمَعْنَى إفَادَةُ التَّخْصِيصِ أَنَّ المُسْنَدَ إليه ليْسَ هُوَ الذِي قَامَ بِذَاك الفِعْلِ، وَلَكِنَّ الفِعْلَ قدْ وَقَع مِنْ غَيْرِهِ.

---

[1] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، محمود الميسري، مرجع سابق، ص53.

[2] علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ط1993/3م، دار الكتب العلمية، لبنان، ص102.

وَلِهَذا لا يُسْتَعْمَلُ هَذا الأُسْلُوبُ إِلَّا إذا أَرَدْنَا أَمْرَيْنِ اِثْنَيْنِ: نَفْيُ الفِعْلِ عن الذَّاتِ، وإِثْبَاتُهُ لِلْغَيْرِ، نَحْوَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ هود: 91.

يُفِيدُ المُسْنَدُ إليه هُنَا التَّخْصِيص، إذْ ليس غَرَضُ القَوْمِ هنا أنْ يَنْفُوا العِزَّة عَنْهُ فَحَسْب، بَلْ إنَّ لَهُم غرضاً آخرَ هُو إثْبَاتُ العِزَّة لِرَهْطِهِ وَقَوْمِهِ، ولوْ أَنَّهم قالوا: مَا عَزَزْتَ عَلَيْنا، لَذَهَبَتْ إفَادَةُ التَّخْصِيصِ[1].

الفرعُ الثَّالِثُ: إفَادَةُ التَّعْمِيمِ:

وَيَكُونُ ذَلِكَ حينَ يَجْتَمِعُ فِي الجُمْلَة أَدَاةٌ تَدُلُّ على العُمُوم وَأَدَاةٌ تَدُلُّ عَلى النَّفْيِ، وَتَقَدَّمَت أَدَاةُ العُمُوم على أَدَاةِ النَّفْيِ، وَمِنْ أَدَوَاتِ العُمُومِ: كُلُّ، جَمِيعُ، عَامّةُ... وَغَيْرُهَا، وَمِنْ أَدَوَاتِ النَّفْيِ: لَا، لَمْ...وَغَيْرُهُمَا[2]، وَيَكُون عُمُوم السَّلْبِ بِتَقْدِيم أَدَاةِ العُمُوم على أَدَاةِ النَّفْيِ، نَحْوَ قَوْلِكَ: (كُلُّ ظَالِمٍ لَا يُفْلِحُ)، مَعْنَاهُ لَا يُفْلِحُ أَحَدٌ مِنَ الظَّلَمَةِ، وَهَذَا مَا دَلَّ عليه الاِبْتِدَاءُ بالأَدَاةِ (كُلُّ)، فَهُنَا قَدْ وَقَعَ شُمُول النَّفْيِ على جَمِيع الظَّلَمَةِ. وَسَلْبُ العُمُومِ يَكُون بِتَقْدِيمِ أَدَاةِ النَّفْيِ على أَدَاةِ العُمُوم، فَيَتَحَمّلُ ثُبُوتُ البَعْضِ وَثُبُوتُ الكُلِّ في النَّفْيِ نَحْوَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ لقمان: 18.

وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ لَا تَعُمُّ المُخْتَالِينَ الفَخُورِينَ[3].

الفرعُ الرَّابِعُ: تَعْجِيلُ المَسَرَّةِ: نَحْوَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ التوبة: 43.

---

[1] النحو الوافي، عباس حسن، مرجع سابق، ص216.

[2] مرجع نفسه، ص224.

[3] جواهر البلاغة في البيان والبديع والمعاني، أحمد الهاشمي، ضبطه: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت ص124.

فَلَوْ اِخْتَلَفَ التَّرْتِيبُ في الآيَةِ فَجَاءَتْ: لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ عَفَا اللهُ عَنْكَ، لَمَا حَمَلَتْ نَفْسَ المَعْنَى وَلَا أَفْهَمَتْ هَذا المُرَادَ مِنَ الآيَةِ، والتِي جَاءَتْ مُصَدَّرَةً بِالعَفْوِ لإِذْهَابِ أَيِّ خَوْفٍ وَأَيِّ قَلَقٍ عنْ قَلْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

الفرعُ الخَامِسُ: تَعْجِيلُ المَسَاءَةِ وَالتَّشَاؤُمِ:

نَحْوَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقرة: 79.

فَتَقَدُّمُ كَلِمَة (وَيْلٌ) أَشَاعَ جَوّاً نَفْسِيّاً مَلِيئاً بِالخَوْفِ المُرْتَقَبِ وَالتَّشَاؤُم مِنَ العَذَابِ المُنْتَظَر الذِي مَهَّدَتْ لَهُ وَأَوْحَت بِهِ هَذه الكَلِمَةُ، والتِي كانَ تَقَدُّمُهَا مُصَاحِباً لِهَذا الشُّعُور التَّشَاؤُمِيّ لِلنَّفْسِ، فَلَوْ كَانت عَلى غَيْرِ هذَا التَّرْتِيبِ لَمَا حَصَلَ هذا المَعْنَى فِي الآيَةِ[2].

الفرْعُ السَّادِسُ: الإِهْتِمَامُ بِالمَمْدُوحِ:

جَرَتْ عَادَةُ العَرَبِ إِذَا أَخْبَرَت عَنْ مُخْبِرٍ مَا وَأَنَاطَتْ بِهِ حُكْماً، وقَدْ يُشْرِكُه فِي ذَلِكَ الحُكْمِ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَطَفَت أَحَدَهُمَا عَلَى الآخَرَ بِالوَاوِ المُقْتَضِيَةِ عَدَمَ التَّرْتِيب؛ فَإِنَّهُم يَبْدَؤُونَ بِالأَهَمِّ وَالأَوَّلِ، يَقُولُ "الإمامُ الزَّرْكَشِي" في ذلك: (كَأَنَّهُم يُقَدِّمُونَ الذي شَأْنُه أَهَمُّ لَهُم، وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى، وَإِنْ كَانَ الجَمِيعُ يَهُمُّهُم وَيَعْنِيهِم)[3]، مِثَالُ ذلك: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ البقرة: 43.

فَبَدَأَ بِالصَّلاَةِ لِأَنَّها أَهَمُّ وَأَوْلَى.

الفرعُ السَّابِعُ: التَّشْرِيفُ:

وَتَكُون دَلَالَةُ الشَّرَفِ إِمَّا اِجْتِمَاعيَّةً أَوْ دِينِيَّةً، نَحْوَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى

[1] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، محمود الميسري، مرجع سابق، ص51.

[2] دلالات التقديم والتأخير، محمود الميسري، مرجع سابق، ص51.

[3] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، دط، دار الحديث، مصر2006، ص791.

ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ٦ ﴾ المائدة: 6. فَالْوَجْهُ هُنَا مُقَدَّمٌ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ مِنَ اليَدَيْن والرَّأْسُ أَشْرَفُ مِنَ الرِّجْلَيْنِ فَقُدِّمُ هُوَ كَذَلِكَ، وَلِأَنَّ الغَسْلَ أَشْرَفُ مِنَ المَسْحِ قُدِّمَ هُوَ الآخَرُ، فَهَذِهِ الآيَةُ جَاءَت علَى التَّرْتِيبِ المُتَّسِقِ مَعَ الفَضْلِ وَالشَّرَفِ[1].

الفَرْعُ الثَّامِنُ: السِّبْقُ فِي الوُجُودِ:

وَهَذَا الغَرضُ قدْ يَكُونُ على عِدَّةِ أَضْرُبٍ: إِمَّا عَلَى سَبِيلِ الزَّمَان، كَتَقْدِيم السِّنةَ علَى النَّوْمِ نحو: **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ ﴾ البقرة: 255.

أوْ عَلَى سَبِيلِ الإِنْزَالِ، نحو: **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ المائدة: 44. أوْ عَلَى سَبِيلِ الوُجُوبِ وَالتَّكْلِيفِ، كَتَقْدِيمِ الرُّكُوعِ عَلَى السُّجُودِ أوْ عَلَى سَبِيلِ الذَّاتِ، فالحَيوَانُ مُتَقَدِّمٌ علَى الإِنْسَانِ بِذَاتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، والجَمَادُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الحَيَوَانِ، والخَالِقُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ[2]. أوْ عَلى سَبِيل الدَّرَجَةِ: **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ النساء: 69.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1394هـ -1974م، ج3/ص46.

[2] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، علي أبو القاسم عون، ط2006/1م، دار المدار الإسلامي، بيروت ج1/ص184.

وَكَخُلَاصَةٍ لِهَذا المَبْحَثِ التَّمْهِيديّ، يُمْكِنُ القَوْلُ عَلَى سَبِيلِ الاِسْتِنْتَاجِ:

تعْتَبَرُ البَلاغةُ عِلْماً قائِماً بأُصُولِهِ وقَوَاعِدِهِ وأَدَوَاتِهِ، كما لِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ، وَتَعَنِي الاِنْتِهَاءُ وَالوُصُول؛ أَيْ بَلَغَ الشَّيْءُ وَصَل وانْتَهَى، فَسُمِّيت البلاغةُ بلاغةً لأَنَّها تُنْهِي المَعْنَى إلى قَلْبِ السَّامع فَيَفْهَمُهُ، وتَنْقسم إلى ثَلاثَةِ أقسامٍ هي: عِلْمُ الَمعَاني، وَعِلْمُ البَدِيع، وَعِلْمُ البَيَانِ.

وَكَمَا هو مَعْلُومٌ، فَإِنَّ تقسيمَ الجُملة فِي اللُّغَة إمَّا أَنْ تكُونَ فِعْلِيَّةً أَوْ اِسْمِيَّةً، فالأَصْلُ في الجُملة الفِعْلِيَّة أَنْ يَتَقَدَّم فيها المُسْنَد (الفِعْل) عَلَى المُسْنَد إِلَيْهِ (الفَاعِلُ)، أَمَّا فِي الجُمْلَة الاِسْمِيَّة فالأَصْلُ فِيها أَنْ يَتَقَدَّم المُبْتَدأُ على الخَبَرِ، وهذا جَارٍ فِي عُرْفِ كَلَام العَرَبِ.

إنَّ أَهَمَّ أَغْرَاضِ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ التِي جَاءَ بِهَا الأُسْلُوب القُرْآنِي كَانَت إمَّا للاِخْتِصَاصِ أَوْ الاِهْتِمَام، وَقَدْ يؤتى به لِلَمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَتَعْجِيل المَسَرَّة، كَمَا يُفِيدُ في بَعْضِ الحَالَات التَّعْمِيمَ والتَّشْوِيق، إلَّا أَنَّ أَكْثَر مَا اِتَّسَمَ بِهِ القُرْآنُ هُوَ جَانِبُ التَّخْصِيصِ والاِهْتِمَامِ.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:

التَّعْرِيفُ بالإِمَام الأَلُوسِي وَكِتَابِهِ رُوحُ المَعَانِي.

وَيَشْتَمِلُ هذا المَبْحَثُ علَى مَطْلَبَيْن:

المَطْلَبُ الأوَّلُ: التَّعْرِيفُ بالإِمَامِ الأَلُوسِي: وفيه سِتَّةُ فُرُوعٍ:

الفَرْعُ الأَوَّلُ: اِسْمُه وَنَسَبُه وَكُنْيَتُهُ.

الفَرْعُ الثَّانِي: مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ.

الفَرْعُ الثَّالِثُ: شُيُوخُه وَتَلاَمِيذُهُ.

الفَرْعُ الرَّابِعُ: عَقِيدَتُهُ وَمَذْهَبُهُ الفِقْهِيُّ.

الفَرْعُ الخَامِسُ: آثَارُهُ العِلْمِيَّةُ.

الفَرْعُ السَّادِسُ: وَفَاتُهُ وَثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْه.

المَطْلَبُ الثَّانِي: التَّعْرِيفُ بِكِتَاب رُوحِ المَعَانِي: وفيه أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ:

الفَرْعُ الأَوَّلُ: سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ وَأَهَمِّيَتُهُ.

الفَرْعُ الثَّانِي: مَنْهَجُهُ بِاخْتِصَارٍ.

الفَرْعُ الثَّالِثُ: مَصَادِرُهُ.

الفَرْعُ الرَّابِعُ: أَهَمُّ مُمَيِّزَاتِهِ وَمَآخِذِهِ.

مَدْخَلٌ

شَهِدَ العِرَاقُ فِي القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر نَهْضَةً أَدَبِيَّةً وَاسِعَةً نَتِيجَةً لِعَوَامِل مُتَعَدِّدَةً، فَقَدْ ظَهَرَ الكَثِيرُ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالأُدَبَاءِ وَالعُلَمَاءِ والكُتَّابِ، وَكَانَ منْ بَيْنِ هَؤُلَاء الشَّيْخُ العَلَّامَةُ أَبُو الثَّنَاء الأَلُوسِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– الذِي مَالَ إِلَيْهِ طَالِبُوا المَعْرِفَة والأَدَبِ مَيْلاً كَبِيراً، وَانْظَمُّوا تَحْتَ لِوَائِهِ وَذَاعَ صِيتُهُ بَيْنَ أَرْبَابِ الأَدَبِ، وَفِي هَذَا المَبْحَثِ سَنُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى حَيَاتِهِ، وَجُهُودِهِ العِلْمِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ، وَمَنْهَجُهُ فِي تَفْسِيرِهِ، وَأُسْلُوبُهُ وَمَصَادِرُهُ التِي اِعْتَمَدَ عَلَيْهَا.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّعرِيفُ بالإمَامِ الأُلُوسِي:

الكَلَامُ فِي هذَا المَطْلَب يَكُونُ مِنْ خِلَال سِتّةَ فُرُوعٍ هِيَ: اِسْمُهُ وَنِسْبَتُهُ، مَوْلِدُه وَنَشْأَتُهُ شُيُوخُهُ وَتَلامِيذُهُ، عَقِيدَتُهُ ومَذْهَبُهُ الفِقْهِيُّ، آثَارُهُ العِلْمِيَّةُ، وَفَاتُهُ وَثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْه، وعَلَيْهِ فَلْنَبْدَأ فِي الحَدِيث عَنْ حَيَاتِهِ وَنَسَبِهِ.

الفرْعُ الأَوَّلُ: كُنْيَتُهُ واِسْمُهُ وَنِسْبَتُهُ:

أَمَّا اِسْمُهُ أَبُو الثَّناء شِهابُ الدّينِ مَحْمُود بنُ عَبْدِ الله بنُ مَحْمُود بنُ دَرْوِيش الحَسَنِي الحُسَيْني الأَلُوسِيّ البَغْدَادِي، وَقَدْ ذَكَر ذلِك فِي تَفْسِيرِه؛ حَيْثُ قَال فِي نِهَايةِ تَفْسِيره لِسُورَةِ "الشُّعَراء": (وَأَنَا أَحْمَدُ الله –كَمَا هُوَ أَهْلُهُ– عَلى أنْ جَعَلَنِي منَ الفَائِزِينَ بِالنَّسَبَيْنِ، وَجَعَلنِي مِنْ ذُرِّيَّة سَيّدِ الكَوْنَيْنِ –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم– فَهَا أنَا مِنْ جِهَةِ أُمِّ أَبِي مِنْ ذُرِّيَّة الحَسَنِ، وَمِنْ جِهَةِ أَبِي مِنْ وَلَدِ الحُسَيْنِ)[1].

وقد يَخْتَلِطُ مُسمَّى عَائِلَة الأَلُوسِي عَلَى كَثِيرٍ مِنَ طُلَّاب العِلْم، فالأَلُوسِيُّون عائلةٌ نَذَرَتْ نفسها لِلْعِلْمِ والحَرَكةِ العِلْمِيَّةِ، فقد نَبَغَ بِجَانب أَبِي الثَّناء رِجَالٌ كُثُرٌ منْ هذه العائلة، ومنهم: مَحْمُود شُكْرِي الأَلُوسِي[2]. والأُسْرَة الأَلُوسِيَّة بِمَا فِيهِمْ مَحْمُود الأَلُوسِي تُنْسَبُ إلى جَزيرة (أَلُوس)[3].

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي(ت1217–127هـ)، تح: ماهر حبوش، ساهم في تحقيقه: نجم الدين السبعاوي، ط1/1431هـ–2010م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1/ص60.

[2] هو بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي، مؤرخ عالم بالأدب والدين، ولد ببغداد سنة 1273هـ، له عديد التصانيف منها: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، وتوفي ببغداد سنة 1343هـ. ينظر: الأعلام، م7/ص172.

[3] "ألوس": هي جزيرة تقع وسط نهر الفرات، وتقرأ بالقصر على الأصح، ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2/1995م، ج1/ص56.

الفَرْعُ الثَّانِي: مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُه:

أوّلاً: مَوْلِدُهُ:

وُلِدَ الإمامُ الألوسي ببغداد في شهر شعبانَ سنةَ ألْفٍ ومائتين وسبعَ عشرةَ هجريّة[1] (1217هـ)، المُوَافِق لِألفٍ وثَمانُمائة واِثْنَيْنِ (1802م).

ثانياً: نَشْأَتُهُ:

نَشَأَ مُتَرْجَمُنَا في بَيْتِ علْمٍ وفَضْلٍ، فأَبُوهُ وَاحِدٌ منْ كِبَار عُلَمَاءِ بغداد، وكان بيتُهُ كعبةٌ لِلْعُلماء والطُّلاب، حيث تُعْقَد جلساتُ العِلْمِ، وتُطْرحُ مسائِلُه وقَضَايَاهُ المختلفة في الفقه والحديث والتفسير، والنّحو والبلاغة، وغيرها من العلوم.

وَفِي هَذَا الجوِّ العلمي نَشَأ الصَّبِيُّ الصغير وتعلّقت هِمَّتُه بِالعِلْمِ، وَهُوَ يَرَى أباه يَتَصَدّرُ تلك الحلقات مُناقشاً ومُحاوراً ومُعلّماً، وكان يَلْقى مِنَ الحَاضِرِينَ أسْمَى آياتِ التقدير والإعْجَابِ وَكَانَ فِي نَفْسِه اِستعدادٌ كبيرٌ لتلقّي هذا العِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، وَكَانَتْ لَهُ حافظةٌ قويَّةٌ تلْتَهِمُ ما تَقْرَؤُه وهِمَّةٌ عاليةٌ في المثابرة على المذاكرة، ولمْ تَمْضِ سنواتٌ قليلةٌ حتى أتمَّ حِفْظَ المُتُونِ فِي الفِقْهِ وَالنَّحْوِ والبَلَاغَةِ وَالعَقِيدَةِ، وَلمْ يَبلغ حينها الرَّابِعَة عَشْرَةَ[2].

الفَرْعُ الثَّالِثُ: شُيوخُهُ وَتَلَامِيذُهُ:

أوّلاً: شُيُوخُهُ:

تَلَقَّى العَلاّمَةُ الأَلُوسِيُّ العِلْم يَافِعاً، وَحَرَصَ علَى الإزدِيَاد مِنْهُ، وَلَمْ يَقْتَصِر عَلَى وَالِدِهِ بلْ جَالَس العُلَمَاءَ، وَأَجَازهُ الفُضَلاءُ، وتَلَقَّى مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والأدَبِ واللُّغَةِ والحَدِيثِ والتَّفْسِير حتَّى اِجْتَمعَ لَهُ شُيُوخُ أهلِ زمانه، وأخَذَ عنه طُلّاب عصره وَأوَانِه.

---

[1] ينظر: غرائب الاِغتراب ونزهة الالباب، محمود شكري الألوسي، مطبعة الشابندر، بغداد، 1327هـ، ص5. وأيضاً: حديقة الورود، عبد الفتاح الشواف، مخطوطة مكتبة هاشم البغدادي، ج1/ص6، نقلا عن الألوسي مفسراً، للدكتور محسن عبد الحميد، مطبعة المعارف، بغداد، 1388هـ . 1968م.

[2] النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، دار القلم بدمشق، ط1/1415هـ/1995م ج2/ص33.

لمّا بلَغ الإِمَامُ –رَحِمَهُ الله–العَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، أُذِنَ له[1] بالأَخْذ من غيره، فأتمَّ دروسه على كثيرٍ منَ العلماء، منهم: الفاضل عبد العزيز الشَّواف[2]، السيد محمد أمين الحلي[3]، الشيخ علي السُّويدي[4]، الشيخ خالد النَّقْشَبَنْدي[5]، والعالمُ الأديب علاء الدّين المَوْصِلي[6]).

ثانياً: تَلَامِيذُهُ:

لقد تَتَلْمَذَ على يَدِ أَبي الثّناء عديد الطّلبة الذين أَخَذُوا عنه ونَهَلُوا منْ عِلْمِه، كيف لاَ وقدْ كان له الدَّورُ الأبرز في النَّهْضة في العراق، فقد اِشترى الإمام داراً واسعةً جعل فيها جانباً كبيراً منها لملاقاةِ الطُّلاب، الذين يأتون من مكانٍ بعيدٍ، وكانَ شُعَرَاءُ بغدادَ يقصِدُونَها كلَّ ليلةٍ بعد الغُرُوبِ ليتَطارَحُوا الأشعار في حضرَةِ المُفْتي على مَسْمَعٍ من تلاميذه[7]، ومن أشهر هؤلاء الطُّلاب: أبناؤه: أبو البركات نُعْمَان خير الدّين، السّيد عبد الباقي، عبد الفتاح الشّواف.

---

[1] أي والده.

[2] أحد علماء العربية في العراق، قال فيه الألوسي: "لا يأنف من قول لا أدري، بل كان يسكت وينطق بالصواب"، توفي سنة 1246هـ. ينظر: المسك الأذفر في نشر مزايا القرن12–13، أبي المعالي الألوسي، تح: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض، 1402هـ–1982م، ص355.

[3] كان مفتي العراق، أحد علمائها الكبار، قال فيه الألوسي: "كان ربُّ الفصاحة والبيان"، توفي سنة 1246هـ. ينظر: المسك الأذفر، أبي المعالي الألوسي، ص291.

[4] هو علي بن محمد سعيد بن عبد الله بن الحسين السويدي البغدادي، مؤرخ وأديب وناظم، ولد ببغداد وتوفي بدمشق سنة 1237هـ، من أعماله: العقد الثمين في مسائل الدين. ينظر: معجم المؤلفين، رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج1/ص175.

[5] هو خالد بن أحمد بن حسين الشهر الشافعي. شيخ الطريقة الخالدية، ولد عام 1191هـ، رحل إلى دمشق وتوفي بها سنة 1242هـ، من أعماله: شرح مقامات الحريري. ينظر: الأعلام، ج2/ص294.

[6] هو علي بن يوسف ين رمضان الموصلي، توفي سنة 1243هـ، من أعماله: أسانيد في الكتب الستة. ينظر: معجم المؤلفين، ج7/ص265.

[7] النهضة الإسلامية، محمد رجب البيومي، مرجع سابق، ج2/ص38.

الفَرْعُ الرَّابِعُ: عَقيدتُه ومذْهَبه الفِقْهي:

أَوّلاً: عَقِيدَتُهُ:

قال "محمود حُسَين الذّهبي"[1](ت1397هـ) عن ذلك: (وكان –رحمه الله– عالماً بِاختلاف المذاهب مُطَّلِعاً على المِلَل والنِّحَل، سَلَفِيَّ الاِعتقاد)[2]، ونَرَاهُ في كتابه "روح المعاني" يفْصَحُ عن مذهبه، فقد ذهب إلى ما ذهب إليه جمهور السّلف في الصفات، حَيْثُ قَالَ: (ثُمَّ اِعْلَم إنَّ كثيراً منَ النّاس جعَل الصّفات النَّقْلِيّة من الاِستواء واليد والقَدَم والنُّزُول إلى السّماء الدُّنيا والضّحك والتعجب وأمثالها من المتشابه، ومذهبُ السَّلَفِ والأَشْعَرِيّ –رحمه الله– من أعيانهم كما كَشَفَتْ عَنْ حَالِهِ الإبَانَةُ أنَّها صفاتٌ ثابتةٌ وراء العقل ما كلَّفَنَا إلاَّ الاِعتقاد بثُبُوتِها مع الاِعتقاد بعدَمِ التّجْسِيم والتشبيه لِئَلاَّ يُضَادَّ النَّقل والعَقْل)[3].

ومِمَّا يؤكد ذلك ما جاء في وَصِيَّتِه لأبنائه قبل وفاته حيث كتَبَ لهم: (يا بَنِيَّ عليكم في باب العقائد بعقيدة السّلف، فإنّها أَسْلَمُ، بلْ أَنْصَفُ، وهي أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، فهي أَبْعَدُ عن القول عن الله بما لا يُعْلَمُ)[4].

ثانياً: مذهبُه الفِقْهِيُّ:

إنَّ أوَّلَ ما تعلَّمَهُ الإمامُ على يَدِ أَبِيهِ منَ الفقه؛ هو فقهُ الشّافعية، ذلك أنَّ أباهُ كان شَافِعِيَّ المذهب، يقول "محمود حسين الذهبي" في ذلك: (كان –رحمه الله–يُقَلِّدُ الإمام الأعظم أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمان –رضي الله عنه–في كثيرٍ من المسائل الفقهيَّة، وكان في آخر أَمْرِه يَمِيلُ إلى الاِجتهاد)[5].

---

[1] محمد حسين الذهبي، ولد بمدينة مطوبس في محافظة كفر الشيخ بمصر سنة 1915م، عالم أزهري كبير عرف بتأليفه في مجال التفسير، من أشهر مؤلفاته: التفسير والمفسرون، توفي سنة 1977م/1397هـ. ينظر: تكملة معجم المؤلفين محمد خير بن رمضان بن يوسف، ط1/1998م–1418هـ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص374.

[2] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مرجع سابق، ج1/ص251.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج3/ص87.

[4] جهود أبي الثناء في الرد على الرافضة، عبد الله البخاري، دار بن عفان بالقاهرة، ط1/1420هـ، ص94.

[5] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مرجع سابق، ج1/ص251.

ولكنْ من يتَصَفَّحُ رُوحَ المَعَاني يَجِدُ أنَّ الإمامَ قدْ تعلَّم المذهب الشَّافعي أوَّلاً، لَكِنَّهُ اِنْتَصَرَ للمذهب الحَنَفِيّ بعده، دَلِيلُ ذلك قوله: (وعلى المَرْء نُصْرَة مذهبه، والذَّبّ عنه وذلك بإقامة الحُجَجِ على إثباته، وتوْهين أَدِلّة نُفَاتِهِ)[1]، إلّا أنّ المُلاحِظَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ لِلْمُتَصَفِّح فِي تَفْسِيرِه يَجِدُهُ يَعْرِضُ مَذَاهِبَ الفُقَهَاء دُونَ التَّعَرُّضِ لِلتَّرْجِيح، بَلْ إنَّهُ أحْيَاناً يُشِيرُ إلَى قُوَّةِ دَلِيلِ المُخَالِف، فَمَثلاً: فِي تَفْسِيره لِقَوْلِه تَعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: 228، ذَكَر مَذْهَب الأَحْنَافِ والشَّافِعِيَّة، وَقَال فِي آخِر مَا أَوْرَدَ هُنَاك: (وَجُمْلَةُ كَلام الشَّافِعِيَّة فِي هَذا المَقَام قَوِيٌّ كَمَا لَا يَخْفَى لِمَنْ أَحَاطَ بِكَلامِهِم، وَاِسْتَقْرَأ مَا قَالُوه، وَتَأمَّل مَا دَفَعُوا بِه أَدِلَّةَ مُخَالِفِيه).

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَر: (وَمَا عَليَّ إذَا خَالَفْتُ فِي بَعْضِ المَسَائِل مَذْهَبَ الإِمَامِ الأَعْظَمِ أبِي حَنِيفَة –رَضِيَ الله عَنْهُ–لِلْأَدِلَّةِ التِي لَا تَكَادُ تُحْصَى، فَالحَقُّ أَحَقُّ بِالإِتِّبَاع)[2].

الفَرْعُ الخَامِسُ: آثَارُهُ العِلْمِيَّةُ:

لَقَدْ تَرَكَ الأَلُوسِيُّ –رَحِمَهُ الله–لِلنَّاسِ ثَرْوَةً عِلْمِيَّةً كبيرةً ونافعةً، إذْ كان ذاَ قَلَمٍ سَيَّالٍ وَفِكْرٍ مُتَدَفِّقٍ، ومَنْطِقٍ مُنَظَّمٍ، وبَدَأَ التَّأْلِيف فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ، كَانَ ذَلِكَ فِي نعومة أظافره ثُمَّ تَتَابَعَتْ مُؤَلَّفَاتُهُ تَتْرَى فِي حَيَاتِهِ المَدِيدَةِ، وَيُمْكِنُ تَصْنِيفُ هَذِهِ المُؤَلَّفَات بِحَسَبِ المَجَالاتِ العِلْمِيَّة الآتية:

أولاً: التفاسير:

1–رُوحُ المَعَاني في تفسير القُرآن الكَريم والسَّبْع المَثَانِي: وهو أعظم مؤلفاته شأناً وأَجَلّهَا قَدْراً يقع في تِسْعِ مُجَلَّدَاتٍ ضِخَامٍ.

2–دقائق التفسير.

ثانياً: الأدبُ والنّحو:

1–حاشية شرح القطر: كتبها في صِبَاه ولمْ يُتِمَّهَا، ثمَّ أَتَمَّهَا اِبنه نُعْمان.

---

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج1/ص45.

[2] روح المعاني، الألوسي، المرجع نفسه، ج1/ص46.

2-كشف الطُّرة عن الغُرة: مختصر دُرَّة الغواص للحريري، وشرحها.

3-بلوغ المرام من حلِّ كلام ابن عصام.

ثالثاً: البحث والمناظرة والأجوبة:

1-النَّفَحاتُ القُدْسِيّة في الرّدِّ على الإِمَامِيَّة.

2-الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية.

3-شرح البرهان في إطاعة السلطان.

4-سُفْرَةُ الزاد لسفرة الجهاد.

رابعاً: التّراجُم والسِّيَر:

1-شَهْيُ النَّغَم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النِّعم: وهو العلَّامة أحمد عارف حكمت المدني.

2-شجرة الفاطمية.

3-الخليدة الغيبية في شرح القصيدة العينيّة، التي نظمها عبد الباقي العمري الموصلي، مدح بها أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب".

خامساً: الرَّحلات والأسفار:

1-نشوة الشُّمول في السّفر إلى اِسْلامبُول.

2-نشوة المدام في العودة إلى دار السلام.

3-غرائب الاِغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب.

سادساً: في التّزكية والتَّصَوُّف:

1-الفيض الوارد في رياض مرثية مولانا خالد.

2-مقامات في التصوف والأخلاق، عارض بها مقامات "الزمخشري".

الفَرْعُ السَّادِسُ: وَفَاتُه وَثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

أوَّلاً: وفَاتُه:

تُوُفِّيَ الإمامُ يومَ الجُمُعَةِ في الخَامِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الهِجْرَةِ المُوَافِقُ لِأَلْفٍ وَثَمَانِمَائة وأربع وخمسين، فَعزَّ على النَّاس مَوْتُه وهَالَهُم فُقْدَانُهُ، وَأَسِفُوا عليه أَسَفاً عظيماً، فرَثَاهُ الشُّعَرَاءُ في كُلِّ صَقْعٍ بقصائدَ مُشْجِيَةٍ مَثَّلُوا فيها الأسَى والحُزنَ، ودُفِنَ في رَوْضَةِ "معرُوف الكَرْخِي"[1]، على يسار الذَّاهِب إلى مسجدِهِ، تاركاً خلفَهُ ذِكْراً حسناً، وذُرِّيَّةً طيّبَةً، وأَنْجَالاً كِرَاماً، حَفَظُوا مَجْدَ بَيْتِه إلى يومنا هذا[2].

[1] الكرخي: بالفتح وسكون الراء المهملة وخاء معجمة. نسبة إلى الكرخ، اسم لمواضع متعددة أشهرها: كرخ بغداد، إليه ينسب جماعة أشهرهم الشيخ الكبير الشهير معروف الكرخي، العارف بالله. وحكيم بن يزيد الكرخي شيخ لعطاء بن السائب وأحمد بن الحسن الكرخي. مقبرته سميت بإسمه والكائنة بالجانب الغربي من بغداد. ينظر: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، ص141.

[2] أعلام العراق، محمد بهجة الأثري، مرجع سابق، ص26. وينظر: الأعلام، ج7/ص176.

ثانياً: ثناءُ العُلمَاء عليه:

لقد كان الألوسيُّ إماماً لمَدْرَسَةٍ كبيرةٍ اِمْتَدَّت به، وتأثّرت بطريقته ومنهجه في التأليف ولوْلاَهُ وأمثاله لتأَخَّرت النَّهضَةُ العلْمِيَّةُ في العراق؛ لأَنَّ تلاميذَهُ حَمَلُوا رَايَتَهُ ونَهَجُوا طرِيَقَهُ، فَتَوَاصَلَ تأثيرهُ في الأَجْيَالِ اللَّاحِقَة ولمْ يَنْقَطِع بِوَفَاتِهِ.

هَذا وَقَدْ كَتَبَ تِلْمِيذُهُ "عَبْد الفَتَّاح الشّواف" تَرْجَمَتَهُ فِي مَؤَلَّفٍ يَحْتَوِي عَلى كُلِّ الأَشْعَار التِي اِمْتَدَحَتْهُ وقِيلَتْ فِي حَقِّهِ حَالَ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، سَمَّاهُ: حَدِيقَةُ الوُرُودِ في مَدَائِحِ أَبِي الثَّناء مَحْمُود[1].

وَكَذَلِك نَجْلُهُ السَّيِّد " أَحْمَد أبُو البَركات" كَتَب رِسَالةً سَمَّاهَا: أَرِيجُ النِّدِّ وَالعُود فِي تَرْجَمَةِ عَبْد الله شِهَاب الدِّين مَحْمُود[2].

وقال فيه "الزِّرِكْلِيُّ"(1396هـ): (مُفَسِّرٌ، مُحَدِّثٌ، أَديبٌ، من المُجَدِّدين، سَلَفِيَّ الاِعتقاد مُجْتَهِدٌ)[3].

وقال فيه "محمد حُسَيْنُ الذّهَبِيُّ" بأنّهُ: (شيخُ العُلَمَاء في العِراق، وآيةٌ منْ آيَات اللهِ العِظَامِ ونَادِرَةٌ من نَوَادِرِ الأَيَّامِ)[4].

وقَال فِيه صَاحِبُ "أَعْلَامِ العِرَاقِ": (هُوَ طَوْدُ الدِّين، وَفَحْلُ البَلَاغَةِ، وَأَمِيرُ البَيَانِ، وَعَيْنُ الأَعْيَانِ، وإِنْسَانُ عَيْنِ الزَّمَانِ، اِنْفَسَحَتْ فِي العِلْمِ خُطَاهُ فَأَذْعَنَ لَهُ المُحِبُّ والمُغْتَاظُ، فَهُوَ اِبْنُ العِلْمِ وَأَبُوهُ، وَعَمُّ الأَدَبِ وَأَخُوهُ)[5].

---

[1] أعلام العراق، محمد بهجة الأثري، مرجع سابق، ص26.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، مقدمة التحقيق، ج1/ص66.

[3] الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج8/ص267.

[4] التفسير والمفسرون، حسين الذهبي، مرجع سابق، ج1/ص352.

[5] أعلام العراق، محمد بهجة الأثري، مرجع سابق، ص21.

المطلبُ الثّاني: التَّعريفُ بكِتَاب رُوح المَعَانِي:

الحَدِيثُ فِي هَذَا المَطْلَبِ سَيَكُونُ عِبَارةً عنْ إعْطِاءِ نُبْذَةً عن تفسير الإمام الألوسيّ المُسَمَّى: بِـ " رُوح المَعَانِي" وذلك بتسليط الضوء على سَبَب التَّسمية، مَصَادِرِه، مَنْهَجِهِ بِاختِصارٍ فِي كِتابِهِ، وَمن ثَمَّ التَّطَرُّقِ لِلْحَدِيثِ عنْ أَهَمّيَته.

الفرعُ الأوّل: سَبَبُ تسْمية الكِتَاب:

يُعْتبر تفسير (رُوحِ المَعَاني) من أَعْظم مُؤلَّفات الإمام الأُلُوسِيّ شَأْناً، وأَجَلِّها قَدْراً ولهذا التفسير قصَّةٌ عجيبةٌ، ذكرها المؤلف نفسه –رحمه الله– في مقدمة تفسيره؛ مفادها أَنَّهُ كان كثيراً ما يخطر لهُ أنْ يكتب مُؤَلَّفاً يجمعُ فيه ما عنده من تفسيرٍ لِكِتَاب الله تَعَالى، إلى أنْ رَأَى في بعض ليالي الجُمُعة منْ شَهْرِ رَجَبٍ سنةَ 1252هـ) أَنَّ الله جَلَّ وَعَلَا أَمَرَهُ بِطَيّ السّماواتِ والأَرْضِ، وَرَتْقِ فَتْقِهَا على الطُّول والعَرْضِ، فَرَفَعَ يديْهِ إلى السَّماء ثُمَّ اِنْتَبَهَ منْ نَوْمِه وهو مُسْتَعْظِمٌ لِرُؤْيَتِهِ، فَجَعَلَ يبحثُ لها عنْ تعبيرٍ، فَرَأَى في بعضِ كتب التعبير أَنَّها إشَارةٌ إلى التَّأْليف، فَشَرَعَ في كتابته، وكان ذلك في اللَّيْلة السَّادِسة عشرةَ منِ شعْبانَ منَ السَّنةِ المذكورة وكان عُمْرُه آنذاك أَرْبَعَةً وثلاثينَ سنَةً، وذلك في عَهْدِ "مَحْمُود خَان بنُ السُّلطان عبد الحميد خان"[1]، واِنْتَهَى مِنْهُ ليْلَةَ الثُّلاثاء لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الآخر سنة 1267هـ، وبذلك يكون قدْ مَكثَ فيه ما يُقَارِبُ السبعَ عَشَرَةَ سَنَةً[2].

[1] السلطان محمود خان الثاني بن السلطان عبد الحميد الأول، وُلد في 13 من شهر رمضان سنة 1199هـ، أَدْخل على الجيش العثماني إصلاحات كثيرة، اِمتدت خلافته 31سنة، وتوفي عن سن يناهز 54 عاما. ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، تح: إحسان حقي، ط1/ 1401 – 1981، دار النفائس، بيروت، لبنان، ص398.

[2] ينظر: روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج101/1.

ولَمَّا اِنْتَهى مِنْهُ جَعَلَ يُفَكِّرُ في وَضْعِ اِسْمٍ له، واِخْتِيَار عُنْوَانٍ مُنَاسِبٍ لِمُحْتَوَاهُ، فَلَمْ يَظْهَر لَهُ شيءٌ، فَعَرَضَهُ عَلى الوَزيرِ "عَلِي رِضَا بَاشَا"[1]، الذي سَمَّاه على الفَوْرِ: "رُوحُ المَعَانِي فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ العَظِيمِ والسَّبْعِ المَثَانِي".

ويُعْتَبَر تَفْسير الأَلُوسِي موسوعةً علميةً قيّمَةً، فقد أَوْدَعَ فيه صَاحِبُه جُهْد منْ سبقُوه من المفسّرين، فَجَمَعَ وَأَوْعَى، ووَفَّى وأَحْصَى لِجُلِّ مَدَارس التَّفسير السَّابِقَةِ.

ومِنْ أَشْهر مُمَيّزاته أنَّه حَارَب الإِسْرَائِيلِيَّات، وتَوَسَّع في النّحو، ولمْ يَغْفل فيه عن الجانب البَلاغيّ، كما اِسْتَفَاضَ في جانبه الفِقْهِيّ.

يقُول "محمَّد حُسَيْن الذَّهبي" مُؤَكِّداً لِهَذِهِ المِيزَة: (ثُمَّ إنَّ هذا التفسيرَ –والحَقُّ يُقَالُ–قدْ أَفْرَغ فيه مُؤَلِّفُه جُهْدَهُ، حتَّى أَخْرَجَهُ إلى النَّاس كِتَاباً جامِعاً لآراء السَّلَف رِوَايةً ودِرَايَةً، مُشْتَمِلاً على أَقوال الخَلَف بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَعِنَايَةٍ، فهو جامِعٌ لِخُلاصَةِ كلِّ ما سَبَقَهُ من التفاسير)[2].

الفرعُ الثَّاني: مَنْهجُه فِي كِتَابِهِ:

سَنَتَطَرَّقُ بِإِيجازٍ اِلَى ذِكْرِ المَنْهَجِ الذي اِتَّبَعَهُ الأَلُوسِيُّ وَاِخْتَارَهُ وَسَارَ عَلَى مَعَالِمِهِ فِي تَصْنِيفِ كِتَابِه الذِي هُوَ مَحَلُّ دِرَاسَتِنَا.

فقد اِفْتَتَح الإمامُ كِتَابُه بِمُقَدِّمةٍ تَناول فيها أموراً عِدَّةً، منها ما يتعلق بِبِدَاية عَهْدِه في عِلْمِ التّفسير، ومنها ما يتعلق بعلم التفسير وما يحتاجه المُفَسِّر، حيث ساق خُطْبةً سَلَّطَ فيها الضّوء على أهمية علم التفسير، وشَرَفِ هذا العِلْمِ، ثمَّ كَشَفَ عن بِدَاية عهده مع هذا العلم فقال:(واِنِّي ولله المِنَّةُ، مُذْ أُمِيطَتْ عَنِّي التَّمَائِمُ، وَنِيطَتْ عَلى رَأسي العَمَائِمُ، لمْ أَزَلْ مُتَطَلِّباً لِاسْتِكْشَاف سِرِّهِ المَكْتُوم، مُتَرَقِّباً لِارْتِشَاف رَحِيقِه المَخْتُوم، طالما فَرَّقْتُ نَوْمِي لِجَمْعِ شَوَارِدِه وفَارَقْتُ قومي لوصال خرائده... حتّى وَقَفْتُ على كثيرٍ منْ حَقَائِقِهِ، وَوُفِّقْتُ على حَلِّ وَفِيرٍ

[1] علي رضا باشا بن سليمان الركابي، مولده ووفاته في دمشق، تعلم بها وتخرج من المدرسة الحربية في الآستانة، توفي سنة 1301هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، ج4/ص288.

[2] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مرجع سابق، ج1/ص252.

مِنْ دَقَائِقِهِ، وثُبْتُ والثَّنَاءُ لله تَعَالى مِنْ دُرَرِهِ بِقَلَمٍ فِكْرِيٍّ دُرّاً مُثْمَناً، وَلَا بِدْعَ فَأَنَا مِنْ فَضْلِ الله الشِّهَابُ أَبُو الثَّنَاءِ)[1].

ثُمَّ شَرَع في ذِكْرِ مجموعةٍ من الفوائد وهي على النَّحْوِ التَّالي:

1-الفائدةُ الأُولى: في معنى التّفسير والتّأويل، وبَيَانِ الحاجة لهذا العلم.

2-الفائدةُ الثَّانية: فيما يحتاجُ التَّفسير، ومعنى التّفسير بالرَّأي.

3-الفائدةُ الثَّالثة: في أَقْوالَ أَهْل العلم في أَسْمَاء كتاب الله تعالى.

4-الفائدةُ الرَّابعة: في تحقيق أنَّ كلام الله تعالى غير مَخْلُوقٍ.

5-الفائدةُ الخَامسة: في بيَانِ المُراد بالأَحْرُف السَّبْعة التي نَزَلَ بها القُرآن الكَرِيم.

6-الفائدةُ السَّادسة: في جَمْعِ القرآنِ وتَرْتِيبِه.

7-الفائدةُ السَّابعة: في بيَانِ وَجْهِ الإعجاز في القُرآنِ الكَريم[2].

ويُمْكِنُ تَلْخيص منهج الإمَامِ الأَلُوسِيّ في تفسيره من خلال النِّقاط التَّالية:

أَوَّلاً: ذكرُ أَسْبَابِ النُّزُول:

لقد كان الإمامُ يُولِي عنايةً شديدةً لأَسْبَاب النُّزول، والمُتَتَبِّعُ لِتَفْسِيره يَجِدُ أَنَّهُ لاَ يغْفَلُ عنها مُطْلَقاً، ومِنْ شواهد ذلك قوله في مفتتح سُورة الرُّومِ: (مَنْ وَقَفَ على أَخْبَار سَبَبَ النُّزول ظَهَرَ لَهُ أَنَّ مَا اِفْتُتِحَتْ به هذه السُّورة مُتَضَمِّناً نُصْرَةَ المُسلمين بِدَفْعِ شَمَاتَةِ أعدائهم المشركين، وهُم لمْ يزَالُوا مُجَاهدين في الله تعالى ولِأَجْلِهِ ولِوَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَضُرُّ عَدَمُ جِهَادِهِم بِالسَّيْف عند النُّزول)[3].

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج1/ص99.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج1/ص589.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج11/ص18.

ومن ذلك أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ﴾ البقرة: 14.

ولهذا لمْ يَصِح عِنْدي في سَبَب نُزول هذه الآية شَيْءٌ[1].

وَالأَكْثَرُ مِنْ هذا أنَّهُ كَان –رحمه الله–يَسْتِعُين بأسباب النُّزول في التَّرْجيح بين أقوال المُفَسِّرين، ومن أمثلة ذلك قوله: (ذَهَبَ بعْضُ العُلَمَاء أَنَّ سَبَبَ النَّهْي عنْ لَفْظِ المُفَاعَلَةِ يقتضي الاِشْتِرَاكَ في الغَالبِ، فيكونُ المعنى عليه: لَيَقَعُ مِنْكَ رَعْيٌ لنَا، وَمِنَّا رَعْيٌ لَكَ، وهو مُخِلٌّ بتعظيمه صلَّى الله عليه وسَلَّم، ولا يخفى بُعْدُهُ عن سَبَبِ النُّزول)[2].

ويَرَى –رحمه الله–أنْ لاَ مانع منْ تَعَدُّدِ سَبَبِ النُّزول في الآية الواحدة، يقول –رحمة الله عليه–في ذلك: (وأنتَ تَعْلَمُ أنْ لاَ مَانِعَ منْ تعدد سبب النزول)[3].

ثانياً: اِعْتِنَائُهُ بِالنَّاسِخ وَالمَنْسُوخ:

يُعْتَبَرُ عِلْمُ النَّاسِخِ والمَنْسُوخ مِنَ الأُمُور المهمة التي اِعتنى بها المؤلف –رحمه الله– وكمثالٍ على ذلك يقولُ: (اِتَّفَقَت أَهْلُ الشَّرائع على جَواز النَّسْخِ وَوُقُوعِه، وخَالَفَت اليَهُود غير العِيسَوِيَّة في جَوَازِه، وقالوا: يُمْتَنَعُ عَقْلًا)[4].

وقد تَكَفَّلَ –رَحِمَهُ الله–بتعريفه لغةً واِصطلاحاً، فقال: (والنَّسْخُ لغةً هو إِزَالةُ الصُّورة أوْ مَا في حُكْمِهَا عن الشَّيء، واِثباتُ مِثْلِ ذلك في غيره سَوَاءً كان في الأعْرَاضِ أو في الأَعْيَان. ونَسْخُ الآية على مَا اِرْتَضَاهُ بعض الأُصُولِيّين: بيانُ اِنْتِهَاء التَّعَبُّد بِقِرَاءَتِها، كَآيَةِ الشَّيخ والشيخةِ إِذَا زَنَيَا فَأَرْجُمُوهُمَا نَكَالاً من اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حكِيمٌ[5]، أو الحكم المستفاد من الآية).

---

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج1/ص159.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج1/ص536.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج8/ص458.

[4] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج1/ص351.

[5] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج1/ص350.

وهنا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ –رحمه الله–قدْ قَامَ بتعريف النَّسْخِ لُغَةً واِصْطِلاَحاً، وَذكر معه أقسام النسخ الثلاثة وهي:

1–ما نُسِخَ تلاوةً وبقي حكمه.

2–ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته.

3–ما نسخ تلاوة وحكماً معا.

ثالثا: الإِعْتِنَاءُ بِبَيَانِ الإِسْرَائِيلِيَّات:

كان –رحمه الله تعالى–من أَشَدِّ المُفَسِّرِين حِيطَةً وَحذَراً من الأخذ بالإسرائيليات والموضوعات في تفسيره.

يقولُ "محمّد حسين الذّهبي": (مِمَّا نُلاَحِظُ على الأَلُوسِي أَنَّه شديدُ النَّقد للإِسْرَائِيلِيَّات والأَخْبَار المَكْذُوبة التي حَشَا بها كثير من المُفَسّرين تفاسيرهم، مع سُخْرِيَةٍ مِنْهُ أحياناً)[1].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تَعَرُّضِهِ لِتَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود: 38.

بعد أنْ ذَكَرَ أخباراً كثيرةً مِنْ أَنْوَاعِ الخَشَبِ الذي صُنِعَتْ به هذه السَّفينةُ العَجِيبةُ، وفي مِقْدَارِ طُولِهَا وعَرْضِهَا وارْتِفَاعِهَا، وفي المَكَانِ الذي صُنِعَت فِيه: (... وَسَفِينَةُ الأَخْبَارَ في تَحْقِيقِ الحَالِ فيمَا أَرَى لاَ تَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ فيهَا، إِذْ هِيَ غيرُ سَلِيمةٍ منَ العُيُوبِ، فَحَرِيٌّ بِحَالِ مَنْ لاَ يَمِيلُ إلى الفُضُولِ أَنْ يُؤْمِنَ أَنَّه عليه السَّلام صَنَعَ الفُلْكَ حَسْبَمَا قَصَّ الله فِي كِتَابِهِ، وَلاَ يَخُوضُ في مِقْدَار طُولِها وعَرْضِها وارتْفَاعِها، ومِنْ أيِّ الخَشَبِ صُنِعَتْ، وبِكَمْ مُدّةٍ أَتَمَّ عَمَلَهَا إلى غير ذلك مِمَّا لَمْ يَشْرَحْه الكِتَابُ، ولمْ تُبَيِّنْهُ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ)[2].

[1] التفسير والمفسرون، الذهبي، مرجع سابق، ج1/ص255.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج6/ص249. وينظر أيضا: ج12/ص128.

رابعاً: طريقتُهُ في التَّفسير:

لقد كان –رحمه الله تعالى–يَسْلُكُ في تفسير كُلِّ آيَةٍ بِمَا يُنَاسِبُهَا، وبِمَا تُسْعِفُهُ المَادَّة التَّفسيريَّةُ، وقدْ اِسْتَخْدَم شَتَّى الأساليب في طريقة التفسير بالمأثور.

ويُمْكِنُ لنا أنْ نُوجِزَ الكلام في منهجه في التفسير بالمأثور من خلال النقاط التالية:

1–تفسيرُ القُرآن بِالقُرآن:

وقدْ أكثر في ذلك، حيث كان يَأْخُذُ أَشكالاً متعدِّدَةً ومُخْتَلِفَةً[1]، كَمَا اِهْتَمَّ بالقرَاءَاتِ في تفسيره، وكيفيَّةِ الاِسْتِفَادَةِ منها في بَيَانِ المُرَادِ[2].

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ ﴾ النبأ: 19، قَرَأَ الجمهورُ عَدَا الكُوفِيِّينَ (فُتِّحَتِ) بالتَّشْدِيدِ، قِيلَ: وَهُوَ الأَنْسَبُ، إلى غير ذلك والقُرْآن يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا[3].

2–تفسير القرآن بالسُّنة:

وهنا إذا وَجَدَ الحَديثَ صَحيحاً لمْ يَعْدِل عَنْهُ وبَنَى عليه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ الأنفال: 60، فقال في معنى القُوَّة: (أَيْ مِنْ كُلِّ ما يُتَقَوَّى به في الحرب ويُورِدُ رواية "عُقْبَة بنُ عَامِرٍ الجهني"[4]، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صلى الله عليه وسلم–وهو على المِنْبَرِ

[1] منهج الألوسي في تفسيره، بلال عيسى العسلي، رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة ص59.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج2/ص23، ج7/ص361.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع نفسه، ج15/ص212.

[4] عقبه بن عامر بن عبس بن رفاعة الجهني، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن عمر، توفي في آخر خلافة معاوية ودفن بالمقطم. ينظر: تهذيب الكمال، يوسف بن عبد الرحمان أبو الحجاج الكلبي، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ط1/1400هـ، ج20/ص202.

يقولُ: "ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيَ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيَ"[1]. والظَّاهِرُ والعُمُوم أنَّه عليه الصّلاة والسّلام خَصَّ الرَّمْيَ بالذِّكر لأنَّه أَقْوَى ما يَتَقَوَّى به المَرْءُ في الحرب)[2].

3-تفسير القرآن بأقوال الصَّحابة والتَّابعين:

وقد وَرَدَ في تفسيره -رحمه الله-الكثيرُ مِنْ هذا القبيل.

ومن أمثلة هذا ما أورده في تفسير قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء: 30، أنَّهُ جاءَ عن ابنِ عَبَّاسٍ في رواية عِكْرِمة والحَسَن وقَتَادة وابنِ جُبَيْرٍ: أنّ السَّماواتَ والأَرْضَ كانَتَا شيئاً وَاحِداً مُلْتَصِقَيْنَ، فَفَصَلَ الله تعالى بينهما ورَفَعَ السَّماءَ إلى حيثُ هي وَأَقَرَّ الأَرْضَ[3].

4-تفسيرُ القرآنِ باللُّغة:

يَهْتَمُّ الألوسي -رحمه الله-بالتَّحْقِيقَات اللُّغويَّةِ كثيراً في ثَنَايَا تفسيره، فها هو يذكر هذا صريحا فيقول: (إنَّ أوَّلَ ما يحتاجُه المُفسِّرُ عِلْمُ اللُّغة، ذلك أنَّهُ يَعْرِفُ به شَرْحَ مُفْرَدَات ألفاظِ القُرآن ومَدْلُولَاتها بِحَسَبِ الوَضْعِ، وأنَّهُ لا يكفي اليَسِير من هذا العلم)[4].

ومن أمثلة هذا النوع قوله: (المَدُّ من مَدَّ الجيش وأَمَدَّهُ بمعنى أَلْحَقَ به ما يُقَوّيه ويُكَثِّرُهُ وقيل: المَدُّ أي زاد من الجنس وأمَدَّ زادَ من غير جِنْسٍ، وقيل: مَدَّ في الشّر وأمدَّ في الخيْرِ عكس وعَدَ وأَوْعَدَ، واستعمالُها في الشَرِ فَلَعَلَّهُ من بَابِ بَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة: 15، بمعنى يزيدهم ويقويهم فيه)[5].

---

[1] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه والذم من علمه ثم نسيه، رقم الحديث:1917، ج3/ص1922.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج5/ص220.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج9/ص34.

[4] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج1/ص6.

[5] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج1/ص161. وينظر أمثلة أخرى من روح المعاني: ج1/ص95,72,80,150.

الفرعُ الثّالث: مَصَادِرُهُ:

رغْمَ أنَّ الإمام الألوسي كان مُتَأَخِّراً عمَّن سَبَقَهُ في عصره من كبار المفسّرين، إلاَّ أنَّ تفسيرهُ يَشْهَدُ له بِسِعَةِ العِلْمِ وشُموليَّة مَعْرِفَتِهِ، وقُدْرَتِهِ على جمع الأقوال وتلخيصِهَا.

وقد حاول –رحمه الله تعالى– أنْ يستوعب جميع الأقوال التي سَبَقَتْهُ في تفسيره للآية حيث يقول في ذلك "محمود حسين الذَّهبي" مُعَرِّفاً بهذا التفسير: (هُوَ جَامِعٌ لخُلَاصَةِ كلِّ ما سَبَقَهُ من التَّفاسير، فَتَرَاهُ ينقلُ لَكَ عن اِبْنِ عَطِيَّة[1]، وابْنِ حَيَّان[2]، وعن الكَشَّاف، ودائِماً ما يَضَعُ نَفْسَهُ حَكَماً عَدْلاً بينهم، ويَجْعَلُ من نفسه نَقَّاداً مُدَقِّقاً، ثُمَّ يأتي بِرَأيْهِ حُرّاً فيما يَنْقُلُ، لِذَا تَرَاهُ كثيراً ما يَعْتَرِضُ على ما ينقله عنهم، أو يُصَوِّبُ رَأْياً يرَاهُ حَسَناً، أو يَنْتَصِرُ لِرَأْيٍ على آخرَ ويُرَجِّحُهُ على مَا سِوَاهُ)[3].

وهُوَ في نَقْلِهِ عن تلك المَصَادِرِ تارةً يَنْقُلُ رَأْيَ المُفَسِّر دون التَّعَرُّضِ له، وتارَةً يَعْتَرِضُ عليه، وتارةً يُرَجِّحُ بينه وبين غيره من المُفَسِّرينَ، وتارةً يَنْتَصِرُ لِمَذْهَبِهِ فيما يتعلَّقُ بِبَعْضِ المَسَائل الفِقْهِيَّة على وَجْهِ الخُصُوصِ[4].

لَقَدْ عُرِفَ عَنْ الأَلُوسِي سَعَةُ العِلْم، وَشُمُولِيَّة المَعْرِفَة، ولِأَنَّهُ مِنَ المُتَأخِّرِين فَقَد تَمَكَّن مِنْ جَمعِ الأَقْوَال وَتَلْخِيصِها، مِمَّا أَدّى إلى تَنَوُّع المَصَادر تَنَوُّعاً غَيْر مَسْبُوق، ومن تلك المصادر:

---

[1] عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية المحاربي، أبو محمد الغرناطي، ولد سنة 481هـ، له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث، توفي سنة 542هـ. ينظر: بغية الملتمس في معرفة رجال الأندلس، أحمد بن يحي بن عميرة أبو جعفر الضّبي، دار الكتاب العربي بالقاهرة/1967م، ص389.

[2] محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن حيان الغرناطي، ولد بمدينة غرناطة في آخر شوال سنة654هـ، له: البحر المحيط، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم، توفي بالقاهرة سنة 745هـ. ينظر: طبقات المفسرين، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، مراجعة: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، ج2/ص287.

[3] التفسير والمفسرون، الذهبي، مرجع سابق، ج1/ص253.

[4] المرجع نفسه، ج1/ص253. وينظر: روح المعاني، الألوسي، ج1/ص387–468.

1-الكشّاف للزمخشري، وحواشيه، خصوصاً حاشية العلامة "شرف الدين الطيبي" ت743هـ واِسمه: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. وحاشية "التفتزاني" ت792هـ، و"القزويني" ت745هـ.

2-الانتصاف من الكشاف لابن المُنَيِّر الإسكندري ت683هـ.

3-تفسير البيضاوي وحاشية الخفاجي عليه ت1069هـ.

4-التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبي حيان ت745هـ.

5-تفسير أبي السعود ت951هـ، المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

6-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي.

7-مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ت606هـ.

8-التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت616هـ.

9-مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي من إمام الإمامية ت548هـ.

10-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ت756هـ.

11-تفسير البغوي ت516هـ.

12-تفسير النسفي ت710هـ.

13-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت425هـ.

14-الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي الطائي ت638هـ.

15-القاموس المحيط الفيروز آبادي ت817هـ.

16-وكثير من كتب القراءات: ككتاب الحجة في القراءات السبعة لأبي علي الفارسي ت388هـ والمحتسب لابن جني ت392هـ، التيسير للداني ت444هـ.

17-كتب النحو والصرف: ككتاب شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجاني ت471هـ، والتسهيل لابن مالك ت672هـ، وهمع الهوامع للسيوطي ت911هـ.

18-كتب اللغة: ككتاب تهذيب اللغة للأزهري ت380هـ، درة الغواص للحريري ت516هـ المزهر في علوم اللغة للسيوطي ت911هـ.

19-وما لا يكاد يحصى من كتب البلاغة والحديث، كتب الشروح وكتب السيرة، كتب الفقه والأصول، وكتب علم الكلام، وحتى من كتب الشيعة نراه ينقل كـ: "الكافي لأبي جعفر الكليمي" و"نهج البلاغة"، وهذا ما يدل على طُولِ البَاعِ، وسَعَةِ الاِطِّلَاعِ، والتَّمَكُّن والاِتِّسَاعِ.

الفرعُ الرَّابع: أَهَمُّ مُمَيّزاتِه والمَآخذِ عليه[1]:

أوَّلاً: أهم مُمَيّزاته:

يُعَدُّ تفسيرُ رُوح المَعَاني مَن أَجْوَدِ كُتُبِ التَّفسير المُتَأَخِّرَةِ، حيثُ أَنَّهُ جَمَعَ أُمُوراً لمْ تُجْتَمَع من قبلُ في تفاسير من سَبَقُوهُ، حيث صَنَّفَهُ مُؤَلِّفُهُ وهو في الثلاثينيات من عُمُرِهِ، وقد حَرَّرَ الكَلام فيه على كَثِيرٍ من المَسَائل لِسَعَةِ عِلْمِه ومعرفته، مع أُسْلُوبِه الفَرِيد الذي ليس له نَظِيرٌ. ويمكن تلخيص مميزاته في النِّقَاط التَّالية:

1-يُعتبر موسوعةً تفسيريَّةً قيّمَةً، جَمَعَت جُلَّ ما قاله العلماء قبله، مع النَّقْدِ والتَّرْجِيح، فهو ليس مُجَرَّد نَاقِلٍ، إنَّما هو شخصيةٌ علميةٌ بارزةٌ ذُو أَفْكَارٍ مميزةٍ.

2-قُدْرة المُؤَلِّف على تكثيف العبارة، وتلخيص المقالة، وحَشْدِ الأقوال والرُّدُود والتَّخْريجات والتَّعْقِيبَات دُون إِخْلَالٍ، مع الوُضُوح والدِّقة دُونَ غُمُوضٍ.

3-يتكلَّمُ فِي الآيَةِ وما تَحْوِيه مِنَ المَسَائل الدَّقيقة بِعِنَايةٍ، لا يتركُ صغيرةً ولا كبيرةً، ولا شاردة ولا واردة، وَكمثال على ذلك تفسيره لِقِصَّة سَيِّدنا مُوسى والخِضْر في سُورة الكَهْفِ؛ فَتَرَاهُ يُطِيلُ في شرح المسألة إلى أنْ يَبْلُغَ به الحَدُّ إلى تَجَاوُز الخَمْسِ صفحاتٍ أو أَكْثَر في شرحها.

---

[1] مقدمة تفسير روح المعاني، تح: ماهر حبوش، ج1/ص19,26. وينظر: القول المختصر المبين في مناهج المفسرين محمد محمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط/1412هـ، ص57.

4-أجرى دِرَاسة مُقَارنة بين الأقوال؛ حيث يذكر الرَّأْيَ والرّأي المُخَالِفَ له، ويقوم بالتَّرجيح بينَهُما، فَتَرَاهُ يَذْكُرُ القول، ثُمَّ ما اِعْتُرِضَ عليه، ثُمَّ يذكرُ الجواب على الاِعتراض، ثم يَرُدُّ عليه ويقوم بالتَّرْجِيح، فيجعلُ القارئ أمام مُسَاجَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ حِوَارِيَّةٍ.

5-تعدُّد مَصادره وتَنَوُّعِ مَشَارِبِهِ، وَهُوَ صَنِيعُهُ عند ذِكْرِ أقوال المُخالفين، حيث نجده يرجع إلى كُتُبِهِم المُعْتَمَدَةِ عندهم فَيَنْقُلُ عنها مباشرةً دون وَاسِطَةٍ.

6-جَمَعَ في تفسيره بين أَهَمِّ مدرستَيْنِ في علم التفسير؛ وهما "مدرسة الزَّمَخْشَرِيّ"[1]؛ التي تقوم على إِبْراز خَصَائص التّعبير القرآني المُعْجِز، و "مدرسة أَبِي حَيَّان"؛ التي تهتم بالمسائل النّحوية والقِرَاءات القُرآنية وتَوْجِيهِهَا، والاِحْتِجَاج لها والدِّفاع عنها.

[1] محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم جار الله الزمخشري، ولد بزمخشر من قرى خوارزم في رجب سنة 467هـ، له الكشاف عن حقائق التنزيل، وأساس البلاغة وغيرها من المؤلفات الكثيرة، حنفي المذهب واسع العلم كبير الفضل، توفي ليلة عرفة سنة 538هـ. ينظر: معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت ط1/1414هـ-1993م، ج6/ص2687.

ثانياً: أهمُّ المَآخِذِ عَلَيْهِ:

يُمْكِنُ إجمالُ المآخذِ على تفسير الأَلُوسِي من خلال النِّقَاط التَّالية:

1-اِسْتِطْرَادُه في تفصيل الْمَسَائل النَّحوية، والتّوسُّع فيها إلى حَدٍّ يكادُ يخرج به عن وَصْفِ كَوْنِهِ مُفَسِّراً. ويظهر هذا جلِيّاً لكل متجول في ثَنَايَا كِتَابِهِ.

2-اِسْتِطْرَادُهُ في ذكر الوقائع التَّاريخية، نجد هذا واضحاً عندما يقوم بتفسير الآيَةِ التي تَتَّصِلُ بوقَائِعِ تاريخيةٍ متعدِّدَةٍ ومُخْتَلِفَةٍ[1].

3-اِسْتِطْرَادُهُ في المَسَائِل الكَوْنِيَّة، وذِكْرُهُ لِكَلَامِ أهل الهَيْئَةِ وأَهْلِ الحِكْمَةِ، ويُقِرُّ منه مَا يَرْتَضِيهِ ويُفَنِّدُ مَالَا يَرْتَضِيهِ[2].

4-عَزْوُه لِبَعْضِ الأحَادِيث لِلسُّنَن والمُسْتَدْرَكَات مَعَ وُجُودِها فِي الصِّحَاح، مِثَال ذَلِك: عِنْدَ تَفْسِيره لِآيَة 102 من سُورَة النِّسَاء، قَال فِيها: أَخْرَج اِبْنُ جَرِيرٍ واِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالنَّحَاس عَنْ بنِ عَبَّاسٍ -رَضي الله-عَنْهُ أنَّه قَال: (فَرَضَ اللهُ عَلى لِسَان نَبِيِّكُم فِي الحَضْرِ أَرْبَعاً، وَفِي السَّفَر رَكْعَتَيْن، وَفِي الخَوْفِ رَكْعَة). الحديث أخرجه مسلم[3].

---

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ينظر المواضع: ج5/ص343، ج6/ص21.

[2] ينظر: المرجع نفسه، المواضع: ج4/ص221، ج8/ص146.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: فرضت الصلاة ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر). صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث: 685، ج1/ص478.

المَبْحَثُ الثّاني:

الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير من خلال تفسير روح المعاني

وَيَشْتَمِلُ هذا المَبْحَثُ علَى خَمْسَةِ مَطَالِبَ هِيَ:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم المَفْعُولِ بِهِ.

الفَرْعُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ عَلَى الفِعْلِ.

الفرع الثاني: مواضع تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول.

المَطْلَبُ الثَّانِي: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الخَبَر.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم الجَارِ وَالمَجْرُورِ.

الفرع الأول: مواضع تقديم الجار والمجرور على الفعل.

الفرع الثاني: مواضع تقديم الجار والمجرور على الفاعل.

الفرع الثالث: مواضع تقديم الجار والمجرور على المفعول.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الحَالِ.

المَطْلَبُ الخَامِسُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ ألفاظٍ على ألفاظٍ أخرى دون عاملٍ.

المَبْحَثُ الثَّانِي: الأَغْرَاضُ البَلَاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ رُوحِ المَعَانِي:

وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي المَقْصُودِ مِنْ هَذَا البَحْثِ، وَإِبْرَازِ بَعْضِ مَواطِنِ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ التِي ذَكَرَهَا وَأَوْرَدَها الإِمَامُ الأَلُوسِي، ذَلِكَ أَنَّ إِحْصَاءَ الجَمِيعِ والإِحَاطَةِ بِهِ يُطَوِّلُ البَحْثَ وَلَا يَتَنَاسَبُ مَعَ هَذِهِ المُذَكِّرَةِ التِي حُدِّدَتْ عَدَدُ صَفَحَاتِها، مِمَّا جَعَلَنَا نَخْتَارُ مِنْها نَيِّفاً وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعاً قَسَّمْنَاهَا بِحَسَبِ المَطَالِبِ الآتَيِة: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ، مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الخَبَرِ مَواضِعُ تَقْدِيمِ الجَارِ وَالمَجْرُورِ، مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الحَالِ، مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ ألفاظٍ على ألفاظٍ أُخْرى مِنْ غَيْرِ عاملٍ.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ:

الفَرْعُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ عَلَى الفِعْلِ:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الأنعام: 164.

المعنى الإجمالي للآية:

الِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ، وَالْمَعْنَى: أَغَيْرَ اللهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، وَسَيِّدِهِمْ وَمُرَبِّيهِمْ بِالْحَقِّ أَطْلُبُ رَبًّا آخَرَ أُشْرِكُهُ فِي عِبَادَتِي لَهُ بِدُعَائِهِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ؟ أَوْ ذَبْحِ النِّسَائِكِ أَوْ نَذْرِهَا لَهُ؟ لِيَنْفَعَنِي أَوْ يَمْنَعَ الضُّرَّ عَنِّي، أَوْ لِيُقَرِّبَنِي إِلَيْهِ زُلْفَى وَيَشْفَعَ لِي عِنْدَهُ كَمَا تَفْعَلُونَ بِآلِهَتِكُمْ! وَالْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا عُبِدَ وَمِمَّا لَمْ يُعْبَدْ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ وَخَوَاصَّ الْبَشَرِ كَالْمَسِيحِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَصْنَامِ الْمُذَكِّرَةِ بِبَعْضِ الصَّالِحِينَ وَصَانِعِيهَا[1].

[1] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1990م، ج8/ص216.

الأغراض البلاغية للآية

يَقُولُ الإِمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ اللهُ–فِي هَذِهِ الآيَةِ: "هُنَا إِنْكَارٌ لِبُغْيَتِه غَيْرَه تَعَالى رَبّاً لَا لِبَغْيَةِ الرَّبِّ وَلِهَذَا قَدَّمَ المَفْعُول، وَلَيْسَ التَّقْدِيمُ للاخْتِصَاصِ إِذْ المَقْصُودُ: أَغَيْرَ اللهِ أَطْلُبُ رَبّاً وَأَجْعَلُهُ شَرِيكاً لَهُ، وَعلى تَقْدِيرِ الاِخْتِصَاصِ لَا يَكُونُ إِشْرَاكاً لِلْغَيْرِ بَلْ تَوْحِيداً"[1].

يَظْهَرُ هُنَا جَلَيّاً تَقَدُّمُ المَفْعُول بِهِ (أَغَيْرَ الله) عَلَى فِعْلِه (أَبْغِي)؛ لِأَنَّ المَقْصُودَ مِنَ الاِسْتِفْهَامِ الإِنْكَارِي إِنْكَارُ اِبْتِغَاءِ رَبٍّ سِوَى الله تَعَالى لِخَلْقِهِ، أيْ قُل يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ الجَاهِلِينَ أَأَطْلُبُ رَبّاً سِوَى الله، وَكُلَّ مَنْ دُونَهُ مَرْدُودٌ لَهُ، لَيْسَ فِي الوُجُودِ مَنْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ حقّاً غَيْرَ الله وَهَذَا أَبْلَغُ فِي اِخْتِصَاص التَّوْحِيد وَنَفْيِ الإِشْرَاك، وَهُوَ أحْسَنُ مِنْ أَنْ يُقَال فِي غَيْرِ القُرْآن: أَغَيْرَ الله أَعْبُدُ.

الموضع الثاني: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأعراف: 30.

المعنى الإجمالي للآية:

هَذَا تَذْكِيرٌ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، فيقول تعالى: كَمَا بَدَأَكُمْ رَبُّكُمْ خَلْقًا وَتَكْوِينًا بِقُدْرَتِهِ تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – حَالَةَ كَوْنِكُمْ فَرِيقَيْنِ – فَرِيقًا هَدَاهُمْ فِي الدُّنْيَا بِبَعْثِهِ الرُّسُلَ فَاهْتَدَوْا بِإِيمَانِهِمْ بِهِ وَإِقَامَةِ وُجُوهِهِمْ لَهُ وَحْدَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَدُعَائِهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ لإتباعهم إِغْوَاءَ الشَّيْطَانِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَكُلُّ فَرِيقٍ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُولُ الإِمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "قُدِّمَ مَفْعُولُ هَدَى لِلدِّلَالَة عَلَى الاِخْتِصَاصِ، وَأَنَّ فَرِيقاً آخَرَ مَا أَرَادَ هِدَايَتَهُم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"[3].

---

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج8/ص532.

[2] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج8/ص334.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج4/ص348.

إنَّ تَقْدِيمَ مَفْعُولِ (هَدَى) وَهُوَ (فَرِيقاً) عَلَى فِعْلِه دِلَالَةٌ عَلَى الاِخْتِصَاصِ، وَقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ يَختص بالهداية مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فالهِدَايَةُ بِتَوْفِيقِه وَفَضْلِهِ، وأنَّ الضَّلالَةَ حُقَّتْ عَلى فَرِيقٍ مِنْ خَلْقِه، وَذَلِك بِحِكْمَتِهِ وَبِعَدْلِهِ، إذْ بَعَثَ إلَيْهِم الأنْبِيَاء، فَهَدَوْا هِدَايَةَ الدِّلَالة والإرْشَادِ وأمَّا هِدَايَةُ التَّوْفِيق فَيَخْتَصُّ بِها مَنْ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

الموضع الثالث: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحزاب: 26.

المعنى الإجمالي للآية:

أَيْ وَأَلْقَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهم حِين نَازَلَهُم رَسُول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم–وَحَاصَرَهُم خَمْساً وَعِشْرِين لَيْلَةً، فَنَزَلُوا على حُكْمِ سَعْدٍ بِن مُعَاذٍ سَيِّد الأَوْسِ؛ لِأَنَّهُم كانُوا حُلَفَاءَهُم فَأَحْضَرُه رَسُول الله –صَلَّى الله عليه وَسَلَّم–وَقَال لَهُ: "إنّ هَؤُلَاء نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ فَاحْكُم فِيهِم بِمَا شِئْتَ، فَقَال –رَضِيَ الله عنه–: وَحُكْمِي نَافِذٌ فِيهِم؟ فَقَال رَسُول الله –صَلَّى الله عليه وَسَلَّم–: «نَعَمْ» فَقَال: "إنّي أَحْكُم أنْ تُقْتَل مُقَاتِلَتُهم وَتُسْبَى ذُرِّيَّتُهُم وَأَمْوَالُهُم"، فَقَال لَهُ رَسُول الله –صَلَّى الله عليه وسلَّم–: «لَقَد حَكَمْتَ فِيهِم بِحُكْمِ الله وَحُكْمِ رَسُولِهِ» ثُمَّ أَمَرَ رَسُول الله –صَلَّى الله عليه وَسَلَّم– بالأَخَادِيدِ فَخُدَّت فِي الأرضِ، وَجِيءَ بِهِم مَكْتُوفِي الأَيْدِي، فَضُرِبت أعْنَاقُهُم وَكَانُوا مَا بَيْنَ سَبْعُمائة وَثَمَانُمائة، وَسَبَى مَنْ لَمْ يُنبِت مِنْهُم مَعَ النِّسَاءِ، وَسَبَى أمْوَالَهُم. والخُلاصَة–أنَّه قَذَفَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبهم، حَتَّى أَسْلَمُوا أَنْفُسَهُم لِلْقَتِل وَأَهْلِيهِم وَأَمْوَالَهُم لِلْأَسْرِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "وَقَدَّم مَفْعُول (تَقْتُلُونَ) لأنّ القَتْلَ وَقَعَ على الرِّجَال وكَانُوا مَشْهُورِين، وَكَان الاِعْتِنَاءُ بِحَالِهِم أَهَمُّ، وَلَمْ يَكُنْ فِي المَأْسُورِينَ هَذَا الاِعْتِنَاء بلْ الاِعْتِنَاءُ هُنَاك بِالأَسْرِ أَشَدُّ"[2].

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج21/ص150.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج11/ص172.

يقول "الإمام الرّازي"[1]: "وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ هَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْقَائِلَ يَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ وَالْأَعْرَفِ فَالْأَعْرَفِ، وَالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ، وَالرِّجَالُ كَانُوا مَشْهُورِينَ فَكَانَ الْقَتْلُ وَارِدًا عَلَيْهِمْ وَالْأَسْرَى كَانُوا هُمُ النِّسَاءَ وَالصِّغَارَ، وَلَمْ يَكُونُوا مَشْهُورِينَ، وَالسَّبْيُ وَالْأَسْرُ أَظْهَرُ مِنَ الْقَتْلِ لِأَنَّهُ يَبْقَى فَيَظْهَرُ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنَّهُ أَسِيرٌ، فَقَدَّمَ مِنَ الْمَحَلَّيْنِ مَا هُوَ أَشْهَرُ عَلَى الْفِعْلِ الْقَائِمِ بِهِ وَمَا هُوَ أَشْهَرُ مِنَ الْفِعْلَيْنِ قَدَّمَهُ عَلَى الْمَحَلِّ الْأَخْفَى"[2].

فَتَحَصَّلَ مِنْ كَلَام الإِمَام الرَّازِي أَنَّ تقْدِيمَ المَفْعُول هنا (فَرِيقًا) عَلَى فِعْلِه؛ إنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الإِعْتِنَاء بِمَنْ قُتِلوا أوّلاً، وَذَلك أنَّ المُسْلِمِين يَكْفُونَ شَرَّ اليَهُودِ الذِين قُتِلُوا، وَهَذا أَمْرٌ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّة بِالنِّسْبَة لَهُم، وَسَبَباً فِي إدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِم، فقد قَال الشَّاعِر[3]:

أَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ مَوْتُ الأَعَادِي * وَرُكُوبٌ عَلى مُتُونِ الجِيَادِ**[4]

والقَتْلَى أَظْهَرُ مِنَ الأَسْرَى، لِأنّ الأسْرَ يأْتِي بَعْدَ القَتْلِ، فَقُدِّم القَتْلُ علَى الأَسْرِ، وبهذا يكونُ الإِعْتِنَاءُ وَالإِهْتِمَامُ الذِي ظَهَر بِسَبَبِ التَّقْدِيم.

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، (544-606هـ، 1150-1210م) الفقيه الشافعي، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، تح: إحسان عباس ط1/1971، دار صادر، بيروت، ج4/249.

[2] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط3/1420 هـ، ج25/ص164.

[3] هذا البيت منسوب لابن محمد بن دلف بن أبي دلف الْقَاسِم بْن عِيسَى بْن إدريس بْن معقل بْن عمرو بْن شيخ بْن معاوية المعروف بابن ماكولا. ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر بن مهدي الخطيب البغدادي(ت463هـ)، ط1/1418هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج19/ص169.

[4] زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت 453هـ)، دار الجيل بيروت، ج2/ص559.

الموضع الرابع: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ ﴾ سبأ: 40.

المعنى الإجمالي للآية:

أَيْ وَأذكُر أيُّها الرّسُول لِقَوْمِكَ يَوْمَ يَحْشُر رَبُّك العَابِدِين المُسْتَكْبِرِين مِنْهُم وَالمُسْتَضْعَفِينَ مَعَ المَعْبُودِين مِنَ المَلَائِكَة وَغيْرِهم، ثُمَّ تُسْألُ المَلَائِكَةُ: أَأَنْتُم أَمَرْتُم هَؤُلاء بِعِبَادَتِكُمْ؟ وَهَذَا سُؤَالٌ وُجِّهَ إِلَى المَلَائِكة ظَاهِراً، والمُرَاد مِنْهُ تَقْرِيعُ المُشْرِكين وَتَيْئِيسِهِم مِمَّا عَلّقُوا عليه أَطْمَاعَهُم مِنْ شَفَاعَتِهِم لَهُم، فَهُو وَارِدٌ علَى نَهْجِ قَوْلِهم: إِيَّاكِ أَعْنِي واِسْمَعي يَا جَارَهْ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "هؤُلاءِ مبتدأ، وكانُوا يَعْبُدُونَ خبره، وإِيَّاكُمْ مفعول يَعْبُدُونَ، قُدِّم للفاصلة مع أنّه أهمُّ"[2].

وَهَذَا مَا يُفَسِّر ما قالهُ "أَبُو حَيَّان" فِي "البَحْرِ" حِين قَالَ:" ... وإِيَّاكُمْ مَفْعُولُ يَعْبُدُونَ، وَلَمَّا تَقَدَّمَ اِنْفَصَلَ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْخِطَابِ، وَلِكَوْنِ يَعْبُدُونَ فَاصِلَةً"[3].

وَحَاصِلُ القَوْلِ أَنَّ الله تَعَالى شَرَّفَ المَلَائِكَةَ إِذْ قَدَّمَهُم فِي الذِّكْرِ بِخِطَابِهِ (إِيَّاكُمْ)؛ وذلك لأنهم أشرف شركاء المشركين، وأخَّر الفِعْلَ (يَعْبُدُونَ) تقريعاً وتبكيتاً وإهمالاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ﴾ الكهف: 105. وَلِعِلْمِه –سُبْحَانَهُ وَتَعَالى–بِبَرَاءَةِ المَلائِكَة مِنْ هذه العبادة الباطلة، على نهجه تعالى في قوله لعيسى عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ١١٦ ﴾ المائدة: 116. وإذا يَئِسُوا وَقَنَطُوا مِنْ نَفْعِ عِبَادَةِ المَلَائِكَة، فَعِبَادَةُ مَنْ دُونِهِم أَحْرَى بِعَدَمِ النَّفْعِ.

---

[1] تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج22/ص91.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج11/ص325.

[3] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، دط/1420 هـ، ج8/ص556.

الفرع الثاني: مواضع تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول:

الموضع الأول:﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ﴾ طه: 29-30.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ واِجْعَل لِي عَوْناً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي هَارُونَ أَخِي، لِيَحْمِل مَعِي أعْبَاء الرِّسَالَة، وَيَكُون ظَهِيراً لِي عنْدَ الشَّدَائِد، وَحُلُول المَكَارِهِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي -رَحِمَهُ الله-: " نَصَبَ وزيراً عَلَى أنّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِـ (اجْعَلْ) قُدِّم على الأوَّلِ الذِي هُوَ قَوْلهُ تَعَالى (هارُونَ) اِعْتِنَاءً بِشَأْن الوِزَارَةِ لِأنَّها المَطْلُوبَة"[2].

وَيُؤَيِّدُه مَا ذَهَبَ إليه صَاحِبُ "الكَشَّاف" حَيْثُ قال: "وَزِيراً وهارُونَ مَفْعُولَا قَوْلِه (اِجْعَلْ) قُدِّم ثَانِيهِمَا عَلَى أوّلِهما عِنايةً بأمْرِ الوِزَارَة"[3].

وَمِنْ هُنا نَجِدُ أنَّ تَقْدِيم المَفْعُول الثاني (وَزِيراً) عَلى المَفْعُول الأوَّل(هَارُونَ)؛ إنَّمَا كَانَ مِنْ أجْلِ الاِعْتِنَاء بِأَمْرِ الوِزَارَة، وَذَلِك أنَّهُ لَمْ يَهْتَم بِالأُخُوَّة بِقَدَرِ اِهْتِمَامِه بِوَصْفِ الوَزَارَة، إذْ الوَزِيرُ هُوَ المُعِينُ والظَّهِيرُ، وَمَنْ يُوَازِرُكَ يَحْمِلُ عَنْكَ بَعْضَ ثِقَلِ عَمَلِكَ، وَتَلْجَأُ إلَيْهِ وَقْتَ الحَاجَةِ لِأَنَّ الوَزَرَ هُوَ المَلْجَأُ، قَالَ تَعَالَى:﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ ﴾ القيامة: 11. أيْ لَا مَلْجَأ، فَبَانَ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنَ المَعَانِي الاِهْتِمَام بِالوِزَارَة، وَأَنَّها تُقَدَّمُ عَلَى رَابِطَةِ الأُخُوَّة، إذْ أَنَّهَا أَهَمُّ وَأَنْفَعُ لِأَصْحَابِ الرِّسَالَاتِ والدَّعْوَة.

الموضع الثاني:﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ الجاثية: 23.

---

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج16/ص106.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج8/ص497.

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت 538هـ) دار الكتاب العربي -بيروت، ط1407/3 هـ، ج3/ص61.

المعنى الإجمالي للآية:

أَيْ اُنْظُر فِي حَالِ هذا الذي جَعَل هَوَاهُ إِلَهَهُ، بِأَنْ أطَاعَهُ وَبَنَى عليه أَمْرَ دِينِه، وَأَعْرَضَ عنْ اِسْتِمَاع الحُجَّة البَاهِرَة، وَالبُرْهَان الجَلِيّ الوَاضِح، وَأَعْجَب وَلَا تَأْبَه بِهِ، فإنّك لَنْ تَكُونَ حفِيظاً عَلَى مِثْلِ هذا تَزْجُرُه عَمَّا هُوَ عَليه مِنَ الضَّلالِ، وَتُرْشِدُهُ إلى الصِّرَاط السَّوِيّ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يقُول الإمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "و(اِتَّخَذَ) مُتَعَدِّيَةٌ لِمَفْعُولَيْنِ؛ أوّلُهُما (هَواهُ) وَثَانِيهِمَا (إِلهَهُ) وقُدِّم على الأوَّلِ للاِعْتِنَاء بِهِ من حَيْثُ أَنَّهُ الذي يَدُورُ عليه أَمْرُ التَّعْجِيب"[2].

وَهَذا نَفْسُه مَا ذَهَبَ اِلَيْهِ "جَارُ الله الزَّمخْشَرِيّ" في "كَشَّافِهِ" حَيْثُ قَال: "فإنْ قُلْتَ: لِمَ أخّر هَوَاهُ وَالأَصْلُ قَوْلُك: اِتّخَذَ الْهَوَى إلَهاً؟ قلتُ: مَا هُوَ إلاّ تَقْدِيمُ المَفْعُول الثَّانِي عَلَى الأوَّل لِلْعِنَايَة كَمَا تَقُول: عَلِمْتُ مُنْطَلِقاً زَيْداً لِفَضْلِ عِنَايتك بِالمُنْطَلِقِ"[3].

وَخُلاصَةُ القَوْلِ إنَّ التَّقْدِيم هُنَا وَقَعَ لِلْعِنَايَة بِالمَفْعُول الثَّانِي وَهُوَ (إِلَهَهُ)، وَذَلِك أَنَّ الضَّامِنَ لِسَعَادَةِ العَبْدِ فِي العَاجِل وَالآجِل، والدُّنْيَا والآخِرَة، هُوَ المَعْبُودُ الحقُّ، وأنّ البَشَرِيَّة لَازَالَتْ تَتَخَبَّطُ فِي البَحْثِ عَنْ هَذا الإلَهِ، فَبَانَ بِهَذَا عَظِيمُ خَسَارَةِ الذِي اِتَّخَذَ مَعْبُودَه الهَوَى، لِأَنَّ العِنَاية بِالإلَهِ وَمَعْرِفَتِه هِيَ الأَهَمُّ مِنْ كُلِّ مُهِمٍّ، فَلِذَلِك قَدَّمَ المَفْعُول الثَّانِي (إِلَهَهُ). وأخَّرَ (الهَوَى) لأنَّهُ أَبْغَضُ المَعْبُودَاتِ إلَى الله تَعَالى، لِمَا جَاء فِي حَدِيثِ "أبِي أُمَامَة" رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم يقُولُ: "مَا عَبُدَ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَهٌ أَبْغَضُ إلَى الله مِنَ الهَوَى"[4].

---

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج19/ص20

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج10/ص24.

[3] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج3/ص282.

[4] تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2/1384هـ –1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة ج16/ص176.

المَطْلَبُ الثَّانِي: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الخَبَر:

اَلمَوْضِعُ الأَوَّلُ: ﴿ قُل أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ﴾ آل عمران: 15.

المعنى الإجمالي للآية:

أَيْ للَّذِين أَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِم وَأَنَابُوا إِلَيْهِ نوْعَان مِنَ الجَزَاء: أَحَدُهُما جِسْمَانِيٌّ وَهُو (الجَنَّات) وَمَا فِيها مِنَ النَّعِيم وَالخَيْرَاتِ، وَالأَزْوَاج المُبَرَّأَة مِنَ العُيُوب التِي في نِسَاءِ الدُّنْيا خَلْقاً وَخُلُقاً وثَانِيهِما رُوحَانِيٌّ عَقْلِيٌّ في قوله: (وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ) وَهُوَ رِضْوَانُ الله الذي لَا يَشُوبُه سَخَطٌ ولا يَعْقُبُه غَضَبٌ، وَهُوَ أعظَمَ اللّذَّاتِ كُلِّها فِي الآخِرَة عِنْدَ المُتَّقِين[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "فِي الآيَةِ اِسْتِئْنَافٌ مُبَيِّنٌ لِذَلك الخَيْر المُبْهَم عَلَى أَنَّ الذِينَ خَبَرٌ مُقَدّمٌ، وَجَنَّاتٌ مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ، وعِنْدَ رَبِّهِمْ يَحْتَمِل وَجْهَيْنِ، كونِهِ ظَرْفاً لِلْاِسْتِقْرَار وَكَوْنِه صِفَةً لِلْجنَّاتِ فِي الأَصْلِ، قُدِّم فَانْتَصَبَ حَالاً مِنْها، وفي ذِكْرِ ذَلِك إِشَارَةٌ إِلَى عُلُوِّ رُتْبَةِ الجَنّاتِ ورِفْعَةِ شَأْنِها"[2].

وَيَقُول صَاحِبُ "البَحْرِ": "وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ: لِلَّذِينَ خَبَرًا لِجَنَّاتٍ مُقَدّم، عَلَى أَنْ تَكُونَ مُرْتَفِعَةً عَلَى الِابْتِدَاءِ مُؤَخَّرةً"[3].

إِنَّ فِي الآيَةِ تَقْدِيماً وَتَأْخِيراً غَرَضُه الاخْتِصَاصُ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الجنّات لِلْمُتَّقين وَحْدَهُم دُونَ غيْرِهِم، وَكَذَلِك لِعُلُوِّ رُتْبَةِ الجَنَّات وَرِفْعَةِ شَأْنِهَا، وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ هَذا التَّقْدِيم لِلْخَبَرِ عِنَايَةُ الله تَعَالى بِالمُقَدَّمِ وَهُمْ (الذِينَ اِتَّقوا)؛ ذَلِك أَنَّ تَقْوَى الله فِيها رِضْوَانُه، وَالجَنَّةُ فِيها رِضَى النُّفُوسِ وَأَيْنَ رِضْوَانُ الله مِنْ رِضَى النَّفسِ؟ ثُمَّ إِنّ التَّقْوَى هِيَ السَّبَبُ الذِي بِهِ نَحُوزُ النَّعِيمَ الدَّائِمَ فِي

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج3/ص114.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج2/ص98.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج3/ص55.

دَارِ البَقَاءِ، فَهِيَ أَصْلٌ وَالنَّعِيمُ فَرْعٌ، وَذُكِرَ النَّعِيمُ الحِسِّيُّ مُقَدَّماً عَلى النَّعِيمِ المَعْنَوِيِّ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ وَأَشْهَى لِلنُّفُوسِ، وَالمَحْسُوسَاتُ أَدْعَى فِي جَلْبِ المُخَاطَبِ وَإِقْنَاعِه، والسَّبَبُ مُقَدَّمٌ عَلَى المُسَبَّبِ.

الموضع الثاني: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾ يونس: 02.

المعنى الإجمالي للآية:

الِاسْتِفْهَامُ لِلتَّعَجُّبِ مِنْ عَجَبِ الْكُفَّارِ وَاسْتِنْكَارِ إِنْكَارِهِمْ لِلْوَحْيِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جِنْسِهِمْ، أَيْ أَكَانَ إِيحَاؤُنَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ أَمْرًا نُكْرًا اتَّخَذُوهُ أُعْجُوبَةً بَيْنَهُمْ يَتَفَكَّهُونَ بِاسْتِغْرَابِهَا، كَأَنَّ مُشَارَكَتَهُمْ لَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ يَمْنَعُ اخْتِصَاصَ اللهِ إِيَّاهُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ كُفَّارُ مَكَّةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي إِنْكَارِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَبَّرَ عَنْهُمْ بِالنَّاسِ لِأَنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ عَلَى الرِّسَالَةِ قَدْ سَبَقَتْهُمْ إِلَيْهَا أَقْوَامُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَعَجَباً: خَبَرُ كَانَ قُدِّم عَلى اِسْمِها وَهُو قَوْلُه سُبْحَانهُ: (أَنْ أَوْحَيْنا)، لِكَوْنِه مَصَبَّ الإنْكَار والتَّعْجِيب، وَتَشْوِيقاً إلى المُؤَخَّر، وَلِأَنَّ فِي الاِسْم ضَرْبُ تَفْصِيلٍ، فَفِي تَقْدِيمه رِعَايةٌ لِلأَصْل، ونَوْعُ إخْلالٍ بِتَجَاوُب أَطْرَافِ النَّظْم الكَرِيم"[2].

يَقُول العَلَّامةُ "مُحَمَّد الطّاهِر بنْ عَاشُور"[3]: "وَعجَباً خَبَرُ كانَ مُقَدّمٌ عَلَى اِسْمِها لِلْاِهْتِمَام بِهِ لأنّهُ مَحلُّ الإنْكَارِ"[4].

---

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج11/ص119.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج6/ص58.

[3] محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور (1296–1393هـ = 1879–1973م)، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام والتحرير والتنوير في تفسير القرآن. ينظر: الأعلام للزركلي، ج6/ص173.

[4] التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر –تونس، دط/1984 هـ، ج11/ص83.

إنَّ خَبَرَ كَانَ (عَجَباً) قد تَقَدَّم عَلى اِسْمِها (أنْ أَوْحَيْنا) لأنّه مَصَبَّ الإنْكَار والمَقْصُودُ من التَّعْجِيب، وَفِي هذا التَّقْدِيم تَشْوِيقٌ لِلْمُتَأخِّر أَيْضاً، فَظَهَرَ مِنْ هَذا التَّقْدِيم مَحَلُّ الاِستفهام والتوبيخ والاِنكار، إذْ قُدِّم خَبَرُ كانَ عَلى اِسْمِهَا، حَيْثُ أَنَّهُ لَا يَحِقُّ لَهُم أنْ يَعْجَبُوا، والعَجَبُ مِنْهُم إذْ عَجِبُوا مِنْ إرْسَالِ رَسُولٍ مِنْهُم لِلنَّاسِ، وَلمَّا وَقَع الإخْلَالُ مِنْهُم نَاسَب أنْ يَقَعَ الإخْلَالُ فِي نَظْمِ الكَلَامِ، فَيَتَأَخَّرُ المُتَقَدِّمُ، وَيُقَدَّمُ المُتَأَخِّر، لِأنَّ أَهْلَ مَكَّة جَادُوا عَلى الأُلُوهِيَّة بِالحَجَر وبَخِلُوا عَلى النُّبُوَّة أَنْ تَكُونَ لِلْبَشَرِ، وَمِنْ ثَمَّ ظَهَرَ الاِهْتِمَامُ بِالخَبَر فَقُدِّمَ.

الموضع الثالث: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ ﴾ الأحقاف: 12.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ ومِمّا يدلُّ عَلى صِحّةِ القُرآنِ أَنَّكُم لَا تَتَنَازَعُون فِي أَنَّ الله أَنْزَل التَّوْرَاة عَلى مُوسَى وَجَعلَهُ إمَاماً لِبَنِى إسْرَائيل وَرَحْمَةً لَهُم، وَهِيَ قد اِشْتَمَلت عَلى البِشَارة بِمَقْدِمِ مُحَمَّدٍ –صَلّى الله عليه وسلّم–، فَلا بُدّ أَنْ يَكُون مُحَمَّدٌ صَادقاً فِي رِسَالَتِه، وَأنْ يَكُون القُرْآنُ مِنْ عِنْد الله، وَقَدْ جَاءَ بِلِسَانٍ عَربيٍّ ليُنْذِرَ الذِين ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم وَهُم مُشْرِكُو مَكّة، وَهُو بُشْرى لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "(وَمِنْ قَبْلِهِ) أيْ مِنْ قَبْل القُرْآنِ وَهُو خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِقَوْلِه تَعَالى: (كِتابُ مُوسَى)، قُدِّمَ لِلْاِهْتِمَام؛ ذَلك أنَّ إرْسَال الرُّسُل وَإنْزَال الكُتُب أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ كَائِنٌ مِنْ عِنْد الله تَعَالى. فَمِنْ قَبْلِ إنْزَال القُرْآنِ إمَاماً وَرَحْمَةً كَانَ إنْزَال التَّوْرَاة كَذَلِك، ولَيْس مِنْ تَقْدِيم الاِخْتِصَاص، بَلْ لأنَّ العِنَايَة والاِهْتِمَام بِذِكْرِه"[2].

وفِي هَذَا الصَّدَدَ يَقُول صَاحِبُ "التّحْرِير": "وَتَقْدِيمُ (مِنْ قَبْلِهِ) لِلْاِهْتِمَام بِهَذَا الخَبَر؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ القَصْدِ مِنَ الجُمْلَة"[3].

---

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج26/ص15.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج13/ص172.

[3] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج26/ص24.

وَيَقُول صَاحِب "الكَشَّافِ" أيْضاً: "(كِتابُ مُوسَى) مُبْتَدَأٌ، (وَمِنْ قَبْلِهِ) ظَرْفٌ وَاقِعٌ خَبَراً مُقدَّماً عَلَيْهِ"[1].

وَنَخْلُص مِنْ كُلِّ هَذا إلى أنَّهُ إنَّما تَقَدّم ذِكْرُ الخَبَرِ (مِنْ قَبْلِهِ) عَلى المُبْتَدَأ (كِتَابُ مُوسَى)؛ لِلْاِهْتِمَام بِه، ذَلِكَ أنَّ المُخَاطَب أَسْمَعُ وَأَذْعَنُ لِلتَّوْرَاةِ المُنَزَّلَة عَلى مُوسَى، وَفِيها وَصْفُ القُرْآنِ وَنَبِيُّ القُرْآنِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَمَعَ ذَلِك لَمْ يَهْتَدُوا بِهَا، فَكَانت إقَامَةُ الحُجَّة عَلَيْهِم بِالكِتَابِ الذِي خُصُّوا بِه فَضْلاً عمَّا جَاءَ بَعْدَهُ. ثُمَّ إنَّهُ لَا كِتَابَ بَعْدَ القُرْآنِ، فَكَان التَّرْتِيبُ الزَّمَانِيُّ الذِي يَقْتَضِيه المَنْطِقُ لِخِطَابِ أَهْلِ الكِتَابِ.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم الجَارِ وَالمَجْرُورِ:

الفرع الأول: مواضع تقديم الجار والمجرور على الفعل:

الموضع الأول: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يونس: 58.

المعنى الإجمالي للآية:

فَضْلُ اللهِ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ عَظِيمٌ وَهُوَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَعْظَمُ، وَرَحْمَتُهُ الْعَامَّةُ لَهُمْ وَبِهِمْ وَاسِعَةٌ، وَرَحْمَتُهُ الْخَاصَّةُ بِالْمُؤْمِنِينَ أَوْسَعُ، وَبِكُلٍّ مِنَ النَّوْعَيْنِ نَطَقَ الْقُرْآنُ، وَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْجَمْعِ لَهُمْ بَيْنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ فِي آيَاتٍ، وَبِكُلٍّ مِنْهُمَا فِي آيَاتٍ، وَإِنَّ دُخُولَ الْبَاءِ عَلَى كُلٍّ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ هُنَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِقْلَالِ كُلٍّ مِنْهُمَا بِالْفَرَحِ بِهِ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

قَال الإمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَأَصْلُ الكَلَام (لِيَفْرَحُوا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالى وَبِرَحْمَتِهِ)، ثُمَّ قُدِّم الجَارُ وَالمَجْرُور عَلَى الفِعْل لِإفَادَةِ اِخْتِصَاصِهِ بِالمَجْرُور، ثُمَّ أُدْخِل عَلَيْه الفَاءُ لِإفَادَة مَعْنَى السَّبَبِيَّة"[3].

---

[1] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج4/ص301.

[2] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج11/ص333.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج6/ص132.

وَقَال صَاحِبُ "التَّحْرِير": "... وَ (بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِه) مَجْرُورٌ مُتَعَلّقٌ بِفِعْلِ (فَلْيَفْرَحُوا) قُدّم عَلى مُتَعَلّقِه لِلْاِهْتِمَام بِه لِلْمُسْلِمِين، وَلِإفَادَةِ القَصْرِ"[1].

فَتَقْدِيمُ الجَار وَالمَجْرُور عَلى الفِعْل هُنَا جِيءَ بِهِ للاِهْتِمَام والتَّعْظِيم والتَّفْخِيم لِهَذَا الفَضْلِ وَتِلْكَ الرَّحْمَة، وَقدْ فُسِّر الفَضْلُ بِالقُرْآنِ، والرَّحْمَةُ بالإسْلَامِ أو بِالنَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وَقَدْ نَأْخُذُ مِنْ هَذا التَّقْدِيم قَصْرَ الفَرْحَةِ الكَامِلَةِ المُعْتَبَرَةِ عِنْدَ الله تَعَالى، والتِي تَدُومُ لِصَاحِبِهَا عَلى الفَضْلِ والرَّحْمَةِ المَذْكُورَتَيْنِ فِي الآيَة، وكأنَّ الفَرْحَةَ بِسِوَاهُمَا نَاقِصَةٌ وَزَائِلَةٌ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَفْرَحَ فَرَحاً عَظِيماً، وقدْ جَاء فِي الحَدِيث عَنْ "أَنَسِ بنِ مَالِكٍ" –رَضِيَ الله عَنْهُ– عَنِ النَّبِيّ صلَّى الله علَيْهِ وَسَلَّم: (مَنْ هَدَاهُ الله لِلإسْلَام، وَعَلَّمَهُ القُرْآن، ثُمَّ شَكا الفَاقَةَ، كَتَبَ الله عَلَيْهِ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ)[2].

الموضع الثاني: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الصافات: 176.

المعنى الإجمالي للآية:

أَيْ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُون عَذَابَنَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُم كَيْفَ أَخَذْنَا الأُمَمَ المَاضِية، والقُرُون الخَالِيَة والأَقْوَامَ العَاتِيَة؟ فَهلْ مَا كَانُوا فِيه مِنَ النَّعِيم يَدْفَعُ عَنْهُم شَيْئاً مِنْهُ أَوْ يُخَفِّفُه عَنْهُم؟ والخُلَاصةُ: أنَّ طُولَ التَّمَتُّع لَيْسَ بِدَافعٍ شَيْئاً مِنْ عَذابِ الله، وَكَأَنَّهُم لَمْ يُمَتّعُوا بِنَعِيمٍ قَطُّ[3].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَام الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–فِي هَذِه الآيَة: "(بِعَذَابِنَا) مُتَعَلّقٌ بِـ: (يَسْتَعْجِلُونَ) قُدّمَ عَلَيْه لِلْإِيذَانِ بِأَنَّهُ مَصَبَّ الإنْكَار وَالتَّوْبِيخ، كَوْنَ المُسْتَعْجَلِ بِه عَذَابُه –جَلَّ جَلَالُه–مَعَ مَا فِيه عَلَى مَا قِيل مِنْ رِعَايَةِ الفَوَاصِل"[4].

---

[1] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج11/ص204.

[2] أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران بن محمد بن بشْران بن مهران البغدادي (ت 430هـ)، ض: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، ط1/1418 هـ–1997 م، دار الوطن، الرياض، المجلس:696 رقم الحديث: 493، ص212.

[3] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج19/ص107.

[4] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج10/ص129.

وَيَقُول "اِبن عَاشُور": "وَتَقْدِيمُ (بِعَذَابِنا) للرِّعَايَة عَلى الفَاصِلَة وَلِلْاهْتِمَام بِه فِي مَقَام الإنْذَار"[1].

وَعَلَيه فَالتَّقْدِيمُ هُنَا جَاءَ لِغَرَضِ رِعَايَة تَرْتِيب الفَاصِلَة مِنْ جِهَةٍ، وَكَذلك لِأَنَّ تَفْكِيرَهُم بالتَّمَتُّعِ فِي السَّنَوَات الطِّوَال دَائِمٌ؛ جَاء الإنْذَار بِالعَذَابِ مُقدَّماً تَعْجِيلاً لِتَخْوِيفِهِم، وَبَثِّ الرُّعْب في قُلُوبِهِم التِي أَنْكَرَتْ هَذا العَذَاب مِنْ جِهَةٍ أُخْرِى، وَكَذَلِك لِتَهْدِيدِهِم وَتَخْوِيفِهم، لِأَنَّ اللَّفْظَةَ الأُولَى التِي تَقْرَعُ أَسْمَاعُه أَشَدُّ وَقْعاً فِي قُلُوبِهِم، لِأَنَّهُم كَثِيراً مَا يَسْتَبْطِئُونَ العَذَابَ فَيَقُولُونَ كَمَا حَكَى عَلَيْهِمُ القُرْآنُ: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يونس: 48. ثُمَّ إنَّ خُطُورَةَ العَذَابِ وَشِدَّتِه، وَعَظِيم هَوْلِهِ اِقْتَضَتْ تَقْدِيمَهُ فِي الذِّكْر، لِأَنَّهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَة. قَالَ تَعَالَى:﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ النحل: ١.

الفَرْعُ الثَّانِي: مَواضِعُ تَقْدِيم الجَارِ والمَجْرُورِ عَلى الفَاعِل:

الموضع الأول:﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يس: 20.

المعنى الإجمالي للآية:

"أيْ وَجَاء مِنْ أَطْرَاف المَدِينَة رَجُلٌ يَعْدُو مُسْرِعاً، لِيَنْصَح قَوْمَهُ حِين بَلَغَهُ أَنَّهُم عَقَدُوا النِّيَّةَ عَلى قَتْلِ الرُّسُل، فَتَقَدَّمَ لِلذَّبِّ عَنْهُم اِبْتِغَاء وَجْهِ الله وَنَيْلِ ثَوَابِه"[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "تَقْدِيمُ الجَارِ والمَجْرُور عَلى (رَجُلٌ) قُدِّمَ لِلْاِهْتِمَام حَيْثُ تَضَمَّنَ الإشَارَةَ إلى أَنَّ إنْذَارهُم قَدْ بَلَغَ أَقْصَى المَدِينَة فَيَشْعُر بِأَنَّهُم أَتَوْا بِالبَلَاغِ المُبِين وَلَوْ أُخِّرَ لَتُوُهِّم تَعَلُّقُه بِـ: (يَسْعَى)"[3].

[1] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج19/ص196.

[2] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج22/ص153.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج11/ص398.

وَيُؤَكِّد صَاحِبُ "التَّحْرِير" هَذَا بِقَوْلِه: "وَبِهَذا يَظْهُر وَجْهُ تَقْدِيم مِنْ (أَقْصَى المَدِينَة) علَى (رَجُلٍ) لِلْاِهْتِمَام بِالثَّنَاء عَلى أَهْلِ أَقْصَى المَدِينَة"[1].

وإذاً فإنَّ تَقْدِيم الجَارِ (مِنْ أَقْصَى) عَلى الفَاعِل (رَجُلٌ) لِلْاِهْتِمَام؛ لِأَنَّ هذا الرَّجُلَ جَاءَهُم مِنْ أطراف بَلَدِهِم، جَاءَهُم نَاصِحاً، يَحُثُّهم عَلى إتّباع الرُّسُل المَبْعُوثِين إلَيْهم، وَفِيه تَعْجِيبٌ لِأمْرِهِم، كَيْفَ لَا وَهُم الأَقْرَبُون مِنَ الرُّسُل فِي المَدِينَة، وَهَذا الرُّجُل قَدْ قَدِمَ إلَيْهِم مِنْ أَطْرَافِها فَكَأنّهُ تَوْبِيخٌ لَهُم، فَبَانَ بِذَلِك فَضْلُ الغُرَبَاء فِي دَعْوَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَلِلَّهِ دَرُّ الإِمَام "البُصَيْرِيّ"(ت668) حِينَ قَال[2]:

وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إلَيْهِ * وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ**

وَقَدْ قَالُوا قَدِيماً: (القُرْبُ حِجَابٌ)، وَذُكِرَ الجَارُ والمَجْرُورُ مُقَدَّماً تَعْظِيماً وتَكْرِيماً لِهَذَا المَجِيءِ وَتِلْكَ المَسَافَةِ المَقْطُوعَةِ، والخُطُوَاتِ المَبْذُولَةِ، لِلدّلَالَةِ عَلى الله تَعَالى وَالنُّصْحِ لِعِبَادِه، وَشَرَفِ السَّيْرِ فِي سَبِيل الله وَنَفْعِ الخَلْقِ.

الفَرْعُ الثَّالِث: مَواضِعُ تَقْدِيم الجَارِ والمَجْرُور عَلى المَفْعُول:

الموضع الأول:﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ ﴾ الأنبياء: 01.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ دَنَا حِسَابُ النّاس عَلى أَعْمَالِهم التِي عَمِلُوها فِي دُنْيَاهُم، وَعَلى النِّعَم التِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِم رَبُّهُم فِي أَجْسَامِهِم وَعُقُولِهِم وَمَطَاعِمِهِم وَمَشَارِبِهم، وَهُم غَافِلُون عَنْ حِسَابِهِم، سَاهُونَ لَا يَتَفَكَّرُون فِي عَاقِبَتِهِم، مَعَ أنّ قَضِيَّة العَقْلِ تَقْضِي بِجَزَاء المُحْسِنِ والمُسِيء، وَإِذَا هُم نُبِّهُوا مِنْ غَفْلَتِهِم بِمَا يُتْلَى عَلَيْهِم مِنَ الآيَاتِ والنّذُر أعْرَضُوا، وسَدُّوا أَسْمَاعَهُم عَنْ سَمَاعِه[3].

[1] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج21/ص366.

[2] الهمزية في مدح أحسن البرية، الامام شرف الدين بن محمد البصيري، رقم البيت:75، ص08.

[3] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج17/ص5.

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "... فإذا قِيل: (لِلنَّاسِ) دَلَّ على أنَّ ذَلِك الأَمْرَ طَالِبٌ لَهُم مُقْبِلٌ عَلَيْهِم، وَهُم هَارِبُون مِنْهُ، فَأَفَادَ أنَّ المُقْتَرِب بِمَا يَسُوؤُهُم فَيَحْصُلَ لَهُم الخَوْفُ وَالاِضْطِرَابُ قَبْلَ ذِكْر الحِسَاب، بِخِلَافِ مَا إذا قِيل: (اِقْتَرَبَ الحِسَابُ لِلنَّاسِ) فَإنَّ كَوْنَ إقْبَال الحِسَاب نَحْوَهُم لَا يُفْهَم عَلى ذلك التَّقْدِير إلاّ بَعْدَ ذِكْرِ لِلنَّاس، فَتَحَقُّق فَائِدَة التَّعْجِيل فِي التَّقْدِيم مِمَّا لَا شُبْهَة فِيه، وَيُمْكِنُ أَيْضاً أَنْ يُقَال فِي وَجْهِ تَعْجِيل التَّهْوِيل: إنَّ جَرَيَان عَادَتِه الكَرِيمَة –صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّم– عَلى إنْذَارِ المُشْرِكين وَتَحْذِيرِهم وَبَيَان مَا يُزْعِجُهم يَدَلُّ عَلى أنَّ مَا بَيْنَ اِقْتِرَابِه مِنْهُم شَيْءٌ سَيِّئٌ هَائِلٌ، فإذا قُدِّم الجَارُ يَحْصُلُ التَّخْوِيفُ"[1].

ويَقُول فِي ذلك صَاحِبُ "التَّنْوِير": "... وَإنّما جَاءَ التَّرْكِيب على هَذا النَّظْمِ بِأَنْ قُدِّمَ مَا يَدُلُّ عَلى المُضَاف إلَيْهِ وَعَرَّف النَّاسَ تَعْرِيفَ الجِنْسِ، لِيَحْصُلَ ضَرْبٌ مِنَ الإبْهَام، ثُمَّ يَقَعُ بَعْدَهُ التَّبْيِينُ، وَلِمَا فِي تَقْدِيم الجَارِ وَالمَجْرُور مِنَ الاِهْتِمَام بِأَنَّ الاِقْتِرَاب لِلنَّاسِ؛ لِيَعْلَم السّامِعُ أنَّ المُرَاد تَهْدِيدُ المُشْرِكينَ، لِأَنَّهُم الذِين يُكَنّى عَنْهُم بِالنَّاسِ كَثِيرٌ فِي القُرْآن"[2].

فَحُصُول التَّقْدِيم هُنَا لِتَعْجِيل التَّخْوِيف فِي قُلُوب المُشْرِكينَ؛ وَهَذا مِنْ عَادَتِه –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم–فِي إنْذَار قَوْمِه، وَقَد ذَكَرَ القُرْآنُ النَّاسَ وَقَصَدَ بِهِم المُشْرِكِين وَالمُكَذِّبِين، فَقَدَّمَ ذِكْرَهُم زِيَادةً فِي التَّحْذِير والتَّخْوِيف لَهُم، لِعُتُوّهِم وَتَكْذِيبِهِم وَطُغْيَانِهِم وَغَفْلَتِهِم وَإعْرَاضِهِم، وَهَذا الذِي جَعَلَ الحِسَابَ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِم وَلَهْوِهِم ولَعِبِهِم مُعَجِّلاً لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيد.

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج9ص6.

[2] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج17/ص10.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الحَالِ:

الموضع الأول: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ ﴾ الصافات: 112.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ وَآتَيْنَاهُ إِسْحَاقَ وَمَنَنّا عَلَيْه بِنِعْمَة النُّبُوَّة لَهُ وَلِلْكَثِير مِنْ حَفَدَتِهِ، كَفَاءَ اِمْتِثَالِهِ أَمْرَنَا وَصَبْرِهِ عَلى بَلْوَانَا[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "(نَبِيًّا) حَالٌ مِنْ (إِسْحَاق)، وَكَذا قَوْلُه تَعَالى: (مِنَ الصَّالِحِينَ)، وَفِي ذلك تَعْظِيمُ شَأْنِ الصَّلاحِ، وَفِي تَأْخِيرِه إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ الغَايَةُ لَهَا لِتَضَمُّنِهَا مَعْنَى الكَمَالِ والتَّكْمِيل. وَالمَقْصُود مِنْهُما الإِتْيَانُ بالأَفْعَال الحَسَنَةِ السَّدِيدَة، وَهُوَ فِي الاِسْتِعْمَال يَخْتَصُّ بِهَا، وإِنَّما قَدَّمَ الحَال الأُولَى (نَبِيًّا) فِي اللَّفْظِ عَلى الحَال الثَّانِية (مِنَ الصَّالِحِينَ) لِلْاِهْتِمَام، وَلِئَلَّا تَخْتَلَّ رُؤُوسُ الآيِ، وَفِيه مِنَ البُعْدِ مَا فِيه"[2].

وَيقُولُ "أَبُو حَيَّان" فِي سِرّ تَقْدِيم لَفْظِ (نَبِيًّا) عَلى (مِنَ الصَّالِحِينَ): "... وَانْتَصَبَ (نَبِيًّا) عَلَى الْحَالِ، وَهِيَ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، (مِنَ الصَّالِحِينَ) حَالٌ ثَانِيَةٌ، وَوُرُودُهَا عَلَى سَبِيلِ الثَّنَاءِ وَالتَّقْرِيظِ؛ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ"[3].

إنَّ تَقْدِيم لَفْظِ (نَبِيًّا) كَان لِلْاِهْتِمَام بِحَالَةِ إِسْحَاق؛ بِأَنْ جَعَلَهُ اللهُ نَبِيّاً كَبِشَارَةٍ لإِبْرَاهِيم، (مِنَ الصَّالِحِينَ) حَالٌ ثَانِيَةٌ، وَذِكْرُها لِلتَّنْوِيه بِشَأْنِ الصَّلاَح؛ فإِنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْدُودُون فِي زُمْرَة أَهْلِه وإلاّ فإِنّ كُلَّ نَبِيٍّ لا بُدّ أَنْ يَكُونَ صَالِحاً، والنُّبُوءَةُ أَعْظَمُ أَحْوَال الصَّلاحِ لِمَا مَعَهَا مِنَ العصمة والخُصُوصِيَّة، ولمَّا كَانَت البِشَارَةُ بِها أَفْرَحُ لِقَلْبِ المبَشَّرِ وأهمُّ فِي الإِخْبَارِ بِهَا؛ قُدِّمَت الحَالُ الأُولَى لِهَذِهِ الاِعْتِبَارَات.

---

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج23/ص76.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج12/ص172.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج9/ص102.

الموضع الثاني: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ ص: 51.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ (يَدْعُونَ) فِيها بِأَلْوَانٍ (كَثِيرَةٍ) مِنَ الفَاكِهَة وَالشَّراب، وَهُمْ مُتَّكِئُون عَلى الأَرَائِك، وَإنّما خَصَّ الشَّرابَ وَالفَاكِهَة مِنْ بَيْنِ مَا يَتَنَعَّمُ بِهِ فِيها؛ لِأَنَّ بِلَاد العَرَبِ قَلِيلَةُ الفَوَاكِه وَالأَشْرِبَة فَالنَّفْسُ إلَيْها أَشْوَقُ، وَفِي ذِكْرِها أَرْغَبُ، كَما أَنَّ فِي ذلك إيمَاءٌ إلَى أَنَّ مَطَاعِمَهُم لِمَحْضِ التَّفَكُّهِ والتَّلَذُّذِ دُون التَّغَذِّي، لأَنَّهُ إنَّما يَكُون لِتَحْصِيل بَدَلِ المُتَحلِّل، وَلَا تَحَلُّل فِيها[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي–رَحِمَهُ الله–: "وَقَوْلُه تَعَالى: (مُتَّكِئِينَ فِيها) وقَوْلُه سُبْحَانَهُ: (يَدْعُونَ فِيها)؛ قِيل: حَالَانِ مِنْ ضَمِير (لَهُمُ)، وهُمَا حَالَان مُقَدَّرانِ؛ لِأَنَّ الاِتِّكَاءَ وَمَا بَعْدَهُ لَيْسَ فِي حَالِ تَفْتِيح الأَبْوَابِ بلْ بَعْدَهُ. وَقِيل: الأَوَّلُ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ مِنَ الضَّمِيرِ المَذْكُور، والثَّانِي حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ (مُتَّكِئِينَ)، وَجَوَّزَ جَعْلَهُما حَالَيْنِ مِنَ (المُتَّقِينَ)، وَالأَظْهَرُ أَنَّ (مُتَّكِئِينَ) حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ (يَدْعُونَ) قُدِّم رِعَايةً لِلْفَاصِلَة"[2].

وَيَرى صَاحِبُ "مَفَاتِيح الغَيْبِ" أَنَّ سِرّ التَّقْدِيم فِي هَذِهِ الآيَةِ هُوَ التَّرْغِيب، فَيَقُول: "وقَوْلُهُ: (مُتَّكِئِينَ فِيها) حَالٌ قُدِّمَتْ عَلَى الْعَامِلِ فِيهَا وَهُوَ قَوْلُهُ: (يَدْعُونَ فِيها)، وَالْمَعْنَى يَدْعُونَ فِي الْجَنَّاتِ مُتَّكِئِينَ فِيهَا، وَالسَّبَبُ فِي ذِكْرِ هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ دِيَارَ الْعَرَبِ حَارَّةٌ قَلِيلَةُ الْفَوَاكِهِ وَالْأَشْرِبَةِ فَرَغَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ"[3].

إنَّ تَقْدِيم الحَالِ الأُولَى عَلى الحَال الثَّانِية فِي هَذهِ الآيَة عنايةً بها، لأَنَّ السَّعَادَةَ والسُّرُورَ والطُّمَأنِينَة تَكُون مَع الاِرْتِخَاءِ والجُلُوسِ عَلى الأَسِرَّةِ الوَثِيرَة، والزَّرَابِي المَبْثُوثَة، والوَطَاءَاتِ النَّاعِمَة، وَهَذَا الذِي يَظْهَرُ فِي حَالِ (مُتَّكِئِينَ)، ثُمَّ يَكُونُ طَلَبُ الطَّعَامِ بَعْدَ هَذا الاِتِّكَاء، وَهُوَ مَنْظَرُ المُنَعَّمِين المَخْدُومِين المُتْرَفِين، الذِينَ يَطْلُبُونَ حَوَائِجَهُم وَهُمْ عَلى تِلْكَ الحَالَةِ، وَلَيْسَ

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج23/ص130.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج12ص204.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج26/ص402.

ذلِكَ عَنْ جُوعٍ مِنْهُم يُفْضِي إلَى الهَلَاك، إنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّفَكُّهِ والتَّنَعُّمِ. وَقَدْ نُهِينَا شَرْعاً عَنْ الشُّرْبِ والأَكْلِ مِنْ قِيَامٍ، ذَلِكَ أنَّ القَائِمَ فِي حَالَةٍ حَرِجَةٍ، فَفُهِمَ أنَّ الإتِّكَاءَ أهْنَأُ وَأَلَذُّ لِلطَّاعِمِ والشَّارِبِ فَكَانَ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِذِكْرِهِ مُقَدَّماً عَلَيْه، وَأَكْمَلُ فِي إجْلَاءِ وإظْهَارِ نَعِيمِ أهْلِ الجنَّةِ سِلْعَةَ الله الغَالِيَة.

المَطْلَبُ الخَامِسُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ وألفاظٍ عَلَى ألفاظٍ أُخْرَى دُونَ عَامِلٍ:

الموضع الأول: تَقْدِيمُ الرَّحْمَانِ على الرَّحِيم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ الفاتحة: 01.

المعنى الإجمالي للآية:

وَالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ مَعْنَى يُلِمُّ بِالْقَلْبِ فَيَبْعَثُ صَاحِبَهُ وَيَحْمِلُهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى بِالْمَعْنَى الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْبَشَرِ، لِأَنَّهُ فِي الْبَشَرِ أَلَمٌ فِي النَّفْسِ شِفَاؤُهُ الْإِحْسَانُ، وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْآلَامِ وَالِانْفِعَالَاتِ. فَالْمَعْنَى الْمَقْصُودُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ أَثَرُهَا وَهُوَ الْإِحْسَانُ؛ فَلَفْظُ الرَّحْمَنِ يَدُلُّ عَلَى مَنْ تَصْدُرُ عَنْهُ آثَارُ الرَّحْمَةِ بِالْفِعْلِ وَهِيَ إِفَاضَةُ النِّعَمِ وَالْإِحْسَانُ، وَلَفْظُ الرَّحِيمِ يَدُلُّ عَلَى مَنْشَأ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَعَلَى أَنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ الْوَاجِبَةِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ اللهُ–: "وَقِيل: الرَّحْمَة في ذلك حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَأنّ (الرَّحْمَنَ) أَبْلَغُ مِنْ (الرَّحِيمِ)؛ لِأنّ زِيَادَةَ البِنَاءِ تَدُلُّ علَى زِيَادِةَ المَعْنَى، فتُؤْخَذ تارةً بِاعْتِبَار الكَمِّيَّة وَأُخْرَى بِاعْتِبَار الكَيْفِيَّة، فَعَلى الأَوَّل قِيل: يَا رَحْمَن الدُّنْيا لِأَنَّهُ يَعُمُّ المُؤْمِنَ وَالكَافِرَ، وَرَحِيم الآخِرَة لِأَنَّهُ يَخُصُّ المُؤْمِن، وَعَلى الثَّانِي قِيل: يَا رَحْمَن الدُّنْيا وَالآخِرَة وَرَحِيم الدُّنْيا؛ لِأَنّ النِّعَم الأُخْرَوِيَّةَ كُلَّها جِسَامٌ. وَأَمَّا النِّعَمُ الدُّنْيَوِيَّة فَجَلِيلَةٌ وَحَقِيرَةٌ، وَأَنَّهُ إنّما قَدَّم (الرَّحْمَن) وَالقِيَاسُ يَقْتَضِي التَّرَقِّي

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج1/ص38.

لِتَقَدُّمِ رَحْمَةِ الدُّنْيَا. وَلِأَنَّهُ صَار كَالعَلَمِ مِنْ حَيْثُ إِنَّه لَا يُوصَف بِه غَيْرُه؛ لأَنَّ مَعْنَاهُ المُنْعِمُ الحَقِيقِي البَالِغُ فِي الرّحْمَة غَايَتَها وذلك لَا يَصْدُقُ علَى غَيْرِه"[1].

ويَقُول "ابنُ عَطِيَّةَ" فِي "وَجِيزِهِ": "(الرَّحْمَن) رَحْمَنُ الدُّنْيَا والآخِرَة، و(الرَّحِيمُ) رَحِيمُ الآخِرَة (الرَّحْمَنُ) اِسمٌ عَامٌّ فِي جَمِيع أَنْوَاع الرَّحْمَة يَخْتَصُّ بِهِ الله تَعَالى، و(الرَّحِيمُ) إِنَّما هو فِي جِهَةِ المُؤْمِنِين كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: 43، فَلِهَذاَ قُدِّمت الأُولَى عَلَى الثَّانِية"[2].

وَإِذَنْ فَإِنَّ تَقْدِيمَ (الرَّحْمَان) عَلَى (الرَّحِيم) هُنا جَاء لأَنَّ صِفَةَ الرَّحْمَان أَبْلَغُ مِنْ صِفَةِ الرَّحِيم؛ فالرَّحْمَانُ تَتَعَلَّقُ بِرَحْمَتِه لِخَلْقِه فِي الدُّنيا والآخِرة، المُؤْمِنِ مِنْهُم وَالكَافِر. أَمَّا الرَّحِيم فَهِي تَتَعَلَّقُ بالمُؤْمِنِين فِي الآخِرَة، فَلِذَا قَدّم الصَّفة العَامَّةَ عَلى الخَاصَّة، وَلِأَنَّ الرَّحْمَةَ الحَاصِلَة مِنْ اِسْمِ الله (الرَّحْمَانِ) تَمُسُّ الخَلْقَ وَتَنَالُهُم قَبْلَ التِي تَحْصُلُ مِنْ اِسْمِه (الرَّحِيمِ)؛ إِذْ هَذِهِ الأَخِيرَة فِي الآجِل والأُولَى فِي العَاجِل، وَذَلِك بِاِعْتِبَار الخَلْقِ لَا بِاِعْتِبَار الخَالِقِ، إِذْ أَسْمَائُه وَصِفَاتُه قَدِيمَةٌ جَلَّ وَعَلا. واِسْمُ (الرَّحْمَانِ) لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُه –سُبْحَانَهُ وَتَعَالى–وَلَا يُوصَفُ بِه، أَمَّا الرَّحِيم قَدْ يُوصَفُ بِه المَخْلُوقُون.

الموضع الثاني: تَقْدِيمُ الحَمْدِ عَلى لَفْظِ الجَلَالَة:

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الفاتحة: 02.

المعنى الإجمالي للآية:

إِنَّ مَعْنَى الْحَمْدِ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ، وَقَيَّدُوهُ بِالْجَمِيلِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ "ثَنَاء" تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ جَمِيعًا، يُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ شَرًّا، كَمَا يُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا، وإِنَّ "أل" الَّتِي فِي الْحَمْدِ هِيَ لِلْجِنْسِ فِي أَيِّ فَرَدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ لَا لِلِاسْتِغْرَاقِ وَلَا لِلْعَهْدِ الْمَخْصُوصِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصَارُ إِلَى كُلِّ

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج1/ص228.

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية –لبنان –1413هـ. 1993م، ط1/ ج1/ص57.

مِنْهُمَا فِي فَهْمِ الْكَلَامِ إِلَّا بِالْبَدِيلِ، وَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْآيَةِ، وَمَعْنَى كَوْنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ، هُوَ أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ يَصِحُّ الْحَمْدُ عَلَيْهِ فَهُوَ مَصْدَرُهُ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُ، فَالْحَمْدُ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَهُناك يَرْتَفِعُ كُلُّ إشْكَالٍ وَيَنْقَطِعُ كُلُّ مَقَالٍ، وَإِنَّما قُدِّمَ الحَمْدُ عَلى الاِسْمِ الكَرِيم لِاقْتِضَاءِ المَقَامِ مَزِيد اِهْتِمَامٍ بِهِ، لِكَوْنِه بِصَدَدِ صُدُور مَدْلُولِه، فَهُوَ نَصْبُ العَيْنِ، وَإِنْ كَان ذِكْرُ الله تَعَالى أهمُّ فِي نَفْسِه، وَالأَهَمِّيَّةُ تَقْتَضِي التَّقْدِيم، إلاَّ أنّ المُقْتَضِي العَارِض بِحَسَبِ المَقَامِ أَقْوَى عِنْد المُتَكَلِّم"[2].

ويَقُول "بن عَاشُور" فِي سِرِّ هذَا التَّقْدِيم: "... فإنْ قُلْتَ: وَقَعَ الاِهْتِمَامُ بِالحَمْدِ مَعَ أَنَّ ذِكْرَ اِسْمِ الله تَعَالى أَهَمُّ، فَكَانَ الشَّأْنُ تَقْدِيمُ اِسْمِ الله تَعَالى، وإبْقَاءُ الحَمْدِ غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِهِ، حَتَّى لَا يَلْجَأَ إلَى تَغْيِيرِهِ عنْ النَّصْبِ إلى الرَّفْعِ لأَجْلِ هَذا الاِهْتِمَام، قُلْتُ: قُدِّم الحَمْدُ لِأنّ المَقَام هُنا مَقَامُ الحَمْدِ؛ إذْ هُوَ اِبْتِدَاءُ أُولَى النِّعَم بِالحَمْدِ، وَهِيَ نِعْمَةُ تَنْزِيل القُرْآنِ الذِي فِيه نَجَاحُ الدَّارَيْنِ وَذَلك يُذَكِّرُ بِوُجُوبِ حَمْدِهِ وَأنْ لَا يُغْفَلَ عَنْهُ، فَكَان المَقَامُ مَقَامُ الحَمْدِ لَا مَحَالَةَ، فَلِذَلِكَ قُدِّم وَأُزِيلَ عَنْهُ مَا يُؤْذَنُ بِتَأَخُّرِهِ لِمُنَافَاتِه الاِهْتِمَام"[3].

إنَّ تَقْدِيم الحَمْدِ علَى اِسْمِ الجَلَالَة فِي هَذِه الآيَةِ جَاء لِبَيَان غرَضَ الاِهْتِمَام، فَالمَقَامُ هُنا مَقَامُ حَمْدٍ وَشُكْرٍ لله تَعَالى عَلى نِعَمِةِ إنْزَالِ المَنْهَجِ الذِي يَضْمَنُ سَعَادَةَ وَنَجَاحَ الدَّارَيْنِ، ثُمَّ إنّ هَذا الحَمْدَ يَؤُولُ وَيَرْجِع لله بِلَامِ الاِسْتِحْقَاقِ التِي فِي لَفْظِ الجَلَالَةِ (لله)، فَلَمْ يَكُن هَذا التَّقْدِيم يُفِيدُ اِنْفِصَالاً حَتَّى يُقَال عَنْهُ أنَّهُ قُدِّمَ عَلى لَفْظِ الجَلَالة. وإنَّمَا ذُكِرَ أوَّلاً لِأنَّ المَقَامَ مَقَامُ دُعَاءٍ وَقَدْ جَاء فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ "التِّرْمِذِيُّ" عَنْ سَيِّدِنَا جَابِرٍ بن عَبْدِ الله –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–عن

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج1/ص41.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج1/ص254.

[3] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج1/ص158.

رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قَال: " أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لله"[1]. ثُمَّ إنَّ هَذِه الأَوَّلِيَّة لَيْسَت حَقِيقِيَّةً بِاعْتِبَار البَسْمَلَةِ هِيَ أَوَّلُ الكِتَابِ.

الموضع الثالث: تَقْدِيمُ الإِيمَانِ عَلى الإِنْفَاقِ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ النساء: 39.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ ومَا الذِي كَانَ يُصِيبُهُم مِنَ الضَّرَرِ لَوْ آمَنُوا بِالله إيمَاناً صَحِيحاً يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي العَمَلِ؟ وَفِي هَذَا الأُسْلُوبِ إِثَارَةُ تَعْجِيبِ النَّاسِ مِنْ حَالِهِم، إِذْ هُم لَوْ أَخْلَصُوا لَمَا فَاتَتْهُم مَنْفَعَةُ الدُّنْيا وَفَازُوا مَعَ ذَلِك بِسَعَادَةِ العُقْبَى[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وإنّما قَدَّم الإيمَانَ هَاهُنَا وَأَخَّرَهُ فِي الآيَةِ المُتَقَدِّمَة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۗ ﴾ النساء: 38؛ لأَنَّهُ ثَمَّةَ ذِكْرٌ لِتَعْلِيل مَا قَبْلَهُ مِن وُقُوع مَصَارِفِهِم فِي دُنْيَاهم فِي غَيْرِ مَحِلِّهَا، وَهُنا لِلتَّحْرِيض فيَنْبَغِي أَنْ يبْدَأَ فِيه بِالأَهَمّ فَالأَهَمّ"[3].

وَقَدْ ذَكَرَ "أَبُو حَيّان" سِرّاً آخَرَ في تَقْدِيم الإيمَانِ عَلى الإِنْفَاقِ فِي هذِه الآيَة بَيْنَمَا أُخِّرَ في الآيَةِ التِي قَبْلَهَا، فَيَقُول: "وَلَمَّا وَصَفَهُمْ الله تَعَالَى بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ الْمَذْمُومَةِ كَانَ فِيهِ التَّرَقِّي مِنْ وَصْفٍ قَبِيحٍ إِلَى أَقْبَحَ مِنْهُ. وَلَمَّا وَبَّخَهُمْ وَتَلَطَّفَ فِي اسْتِدْعَائِهِمْ بَدَأَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِذْ بِذَلِكَ تَحْصُلُ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقَ أَيْ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذْ بِهِ

---

[1] شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2/1403هـ –1983م، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، كتاب الدعوات، باب فضل التحميد، رقم الحديث: 1269، ج5/ص49. وقال فيه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

[2] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج5/ص40.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج6/ص28.

يَحْصُلُ نَفْيُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ الْقَبِيحَةِ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْأَمْرِ بِهِ وَكِتْمَانِ فَضْلِ اللَّهِ وَالْإِنْفَاقِ رِئَاءَ النَّاسِ"[1].

إنَّ سِرَّ تَقْدِيم الإيمَانِ فِي هَذِه الآيَة وَتَأْخُرِه فِي الآيَةِ التِي سَبَقَتْهَا؛ وَذَلِك أنَّ الآيَة التِي قَبْلَهَا ذَكَرَتْ أوْصَافَ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ قُرَنَاءَ الشَّيْطَان، وَقَدْ عُطِفَتْ عَلَى البُخَلَاءِ فِي الآيَةِ التِي سَبَقَتْهَا، قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾ النساء: 37.

وَفِي الحَدِيث: "لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله، وَدُخَّانُ جَهَنَّم فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَداً، وَلا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قلب عبد أبداً"[2]. رواه النسائي. وقَدْ قُرِنَ البُخَلاءُ بِالذِين يُنْفقُون رياءً، فكِلَاهُما خَلِيٌّ مِنَ الإيمَان، فَوَبَّخَهُم الله تعَالى على سُوءِ صَنِيعِهِم، وذَمَّهُم لإعْرَاضِهِم عَنِ الإسْلَام وَبيَّن لَهُم أنَّ المَصَالِح والمَنَافِعَ موْجُودَةٌ فِي الإيمَان، وأنَّهُ هُوَ أسَاسُ الخَيْرِ وأعْمَالِ البِرّ وعَمَلٌ يَبْرُزُ مِنْ غَيْرِ إيمَانٍ كالعَدَمِ. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ ﴾ الفرقان: 32. فأَرْشَدَهُم إلى نَوَاةِ الخَيْرِ وَأَسَاسِ البِرّ الذِي غَفِلُوا عَنْهُ، وَلِلْاِهْتِمَامِ بِهِ قُدِّمَ فِي آيَةِ التَّوْبِيخِ.

الموضع الرابع: تَقْدِيمُ الأمْوَالِ علَى الأَنْفُسِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ ﴾ النساء: 95.

[1] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج3/ص640.

[2] أخرجه النسائي في سننه الصغرى، المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2/1406 – 1986، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، كتاب الجهاد، باب فضل وجوب الجهاد، رقم الحديث:3110، ج6/ص13.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ لَا يَكُون القَاعِدُون عَن الجِهَاد بِأَمْوَالِهِم بُخْلاً بِهَا وَحِرْصاً عَلَيْهَا، وَبِأَنْفُسِهِم إِيثَاراً للرَّاحَةِ وَالنَّعِيم عَلَى التَّعَبِ وَرُكُوبِ الأَخْطَارِ، مُسَاوِين لِلْمُجَاهِدِين الذِين يَبْذُلُون أَمْوَالَهُم فِي الاِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَاد بِالسِّلاح وَالخَيْلِ والمَئُونَةِ، ويَبْذُلُون أَنْفُسَهُم بِتَعْرِيضِهَا لِلْقَتْلِ فِي سَبِيل الحَقِّ، لِأَنَّ المُجَاهِدِينَ هُمْ الذِين يَحْمُون الأُمَّة وَالبِلاَدَ، وَالقَاعِدِين لاَ يَأْخُذُون حَذَرَهُم وَلَا يُعِدُّونَ عُدَّتَهُم لِلدِّفَاع، وَيَكُونُون عُرْضَةً لِتَعَدِّي غَيْرِهِم عَلَيْهِم[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَزَاحُمَ فِي النِّكَات، وَأَنَّهُ قَدْ يَكُون فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ جِهَةُ تَقْدِيم وَجِهَةُ تَأْخِيرٍ، فَتُعْتَبَرُ هَذه تارةً وتلك أُخْرَى، وإِنَّمَا قَدَّمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى هنَا ذِكْرَ الأَمْوَالِ عَلى الأَنْفُسِ وَعَكَسَ فِي قَوْلِه –عَزَّ شَأْنُه–: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة: 111؛ لأنَّ النَّفْسَ أَشْرَفُ مِنَ المَال، فَقَدَّم المُشْتَرِي النَّفْسَ تَنْبِيهاً عَلى أَنَّ الرَّغْبَة فِيها أشدُّ، وأَخَّر البَائِعَ تَنْبِيهاً عَلى أَنَّ المُمَاكَسَةَ فِيها أشدُّ، فَلا يَرْضى بِبَذْلِها إلاَّ فِي فائدةٍ"[2].

ويَقُول صَاحِبُ "مَفَاتِيحِ الغَيْبِ": "لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة: 111، فَقَدَّمَ ذِكْرَ النَّفْسِ عَلَى الْمَال، وَفِي الْآيَةِ الَّتِي نحن فيها وهي قوله: (الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) قَدَّمَ ذِكْرَ الْمَالِ عَلَى النَّفْس، فَمَا السَّبَبُ فِيهِ؟ وَجَوَابُهُ: أَنَّ النَّفْسَ أَشْرَفُ مِنَ الْمَالِ، فَالْمُشْتَرِي قَدَّمَ ذِكْرَ النَّفْسِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الرَّغْبَةَ فِيهَا أَشَدُّ، وَالْبَائِعُ أَخَّرَ ذِكْرَهَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْمُضَايَقَةَ فِيهَا أَشَدُّ، فَلَا يَرْضَى بِبَذْلِهَا إِلَّا فِي آخِرِ الْمَرَاتِبِ"[3].

إنَّ سِرّ تَقْدِيمِ الأَمْوَالِ عَلَى الأَنْفُسِ فِي هَذِه الآيَة؛ قَدْ ذَكَرَ فِيه الإِمَامُ –رَحِمَهُ الله–مَا ذَكَر وَقَدْ قَال إِنَّهُ لَا تَزَاحُم فِي النِّكَاتِ، ذَلِك أَنَّ المَالَ شَقِيقُ الرُّوحِ، وَقَدْ يَبْذُلُ الإِنْسَانُ رُوحَهُ وحَيَاتَهُ

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج5/ص129.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج6/ص232.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج11/ص193.

فِي سَبِيل المَال، وَقَدْ يَهْدُرُ وَيَبِيعُ كَرامَتَهُ وَشَرَفَهُ وَمُرُوءَتَهُ فِي سَبِيل تَحْصِيلِه، بَلْ قَدْ يَخْسَرُ آخِرَتَهُ وَيَسْتَوْجِبُ العَذَابَ الأَلِيمَ فِي نَارِ الجَحِيمِ، حِينَ لَا يُرَاقِبُ الله فِي جَمْعِهِ وإِنْفَاقِهِ ومِنْ هُنا ظَهَرَتْ أَهَمِّيَة تَقْدِيم الجِهَادِ على المَالِ، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ هُو أَرْفَعُ مِنْهُ كَالتَّدَرُّجِ؛ لِأَن الذِي يَبْخَلُ بِالمَالِ هَيْهَاتَ أَنْ يَجُودَ بِالرُّوحِ.

الموضع الخامس: تَقْدِيمُ الشُّكْرِ عَلَى الإِيمَانِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ النساء: 147.

المعنى الإجمالي للآية:

اِسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ بَيَّنَ اللهُ لَنَا بِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ تَشَفِّيًا مِنْهُ وَلَا انْتِقَامًا بِالْمَعْنَى الَّذِي يَفْهَمُهُ النَّاسُ مِنَ الِانْتِقَامِ بِحَسَبِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ جَزَاءُ كُفْرِهِمْ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ بِالْحَوَاسِّ وَالْعَقْلِ وَالْوِجْدَانِ وَالْجَوَارِحِ، بِاسْتِعْمَالِهَا فِي غَيْرِ مَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ مِنَ الِاهْتِدَاءِ بِهَا إِلَى تَكْمِيلِ نُفُوسِهِمْ بِالْعُلُومِ وَالْفَضَائِلِ وَالْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ تَعَالَى بِاتِّخَاذِ شُرَكَاءَ لَهُ، وَلَوْ شَكَرُوا وَآمَنُوا فَطَهُرَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ دَنَسِ الشِّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ؛ لَعَرَجَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ الْقُدْسِيَّةُ إِلَى الْمَقَامِ الْكَرِيمِ وَالرِّضْوَانِ الْكَبِيرِ فِي دَارِ النَّعِيمِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يقُولُ الإِمَام الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وإِنَّمَا قَدَّم الشُّكْرَ معَ أَنَّ الظَّاهِرَ تَأْخِيرُهُ؛ لأَنَّهُ لاَ يُعتَدُّ بِه إِلاَّ بَعْدَ الإِيمَان؛ لِمَا أَنَّهُ طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ دَرَجَاتِه"[2].

وَيَقُول صَاحِبُ "الكَّشَافِ" فِي سِرِّ تَقْدِيم الشُّكْرِ علَى الإِيمَانِ فِي هَذِه الآيَةِ: "فإِن قلتَ: لِمَ قدَّمَ الشُّكْرَ علَى الإِيمَان؟ قُلْتُ: لِأَنَّ العَاقِلَ يَنْظُر إِلى مَا عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَة العَظِيمَة فِي خَلْقِه

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج5/ص386.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج6/ص368.

وَتَعْرِيضِه لِلْمَنَافِع، فَيَشْكُرُ شُكْراً مُبْهَماً، فَإِذَا اِنْتَهَى بِهِ النَّظَرُ إلى مَعْرِفَة المُنْعِمِ آمنَ بِهِ ثُمَّ شَكَرَ شُكْراً مُفَصَّلاً، فَكَان الشُّكر مُتَقَدِّماً علَى الإيمَانِ، وَكَأَنَّه أَصْلُ التَّكْلِيف وَمَدَارُه"[1].

إنَّ سِرَّ تَقْدِيم الشُّكرِ عَلَى الإيمَانِ هُنَا؛ لِأَنَّ الإنْسَان إذَا نَظَرَ فِي نِعَمَ الله تَعَالى السَّابِغَةِ الشَّامِلَة، وَلُطْفِه الجَمِيل، حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلى أنْ يَتَعَرَّف عَلَى هَذا المُنْعِم الكَرِيم اللَّطِيف، فَنَاسَبَ أنْ يَتَقَدَّم الشُّكْرِ عَلَى الإيمَان لِأنَّ الله تَعَرَّفَ إلَى خَلْقِه بِنَعْمَائِه، وَفِي الحَدِيث: "أحِبُّوا الله لِمَا يَغْذُوكُم بِهِ مِنَ النِّعَمِ"[2]. وَإنْ كَانَتْ الوَاوُ فِي الحَقِيقَةِ لَا تُفِيدُ التَّرْتِيبَ عَلى قَوْلِ البَصْرِيّينَ كَمَا قَال "اِبْنُ مَالِكٍ" فِي الخُلاصَةِ[3]:

فَأَعْطِفْ بِوَاوٍ لَاحِقاً أوْ سَابِقاً * فِي الحُكْمِ أوْ مُصَاحِباً مُوَافِقاَ**

الموضع السّادس: تَقْدِيمُ إقَامَةِ الصَّلاةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ علَى الإيمَانِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ المائدة: 12.

المعنى الإجمالي للآية:

أَيْ وَأَقْسَمَ اللهُ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِمَا مَضْمُونُهُ: لَئِنْ أَدَّيْتُمُ الصَّلَاةَ عَلَى وَجْهِهَا وَأَعْطَيْتُمْ مَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي تَتَزَكَّى بِهَا نُفُوسُكُمْ، وَتَتَطَهَّرُ مِنْ رَذِيلَةِ الْبُخْلِ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ أَيْ بِرُسُلِي الَّذِينَ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ مُوسَى: كَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ

[1] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج1/ص582.

[2] أخرجه الترمذي في سننه، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط2/1395هـ -1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -مصر، باب مناقب أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث:3789، ج5/ص664.

[3] ألفية بن مالك، مرجع سابق، رقم البيت: 543، ص79.

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٍ، -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-؛ لأكفِّرنَّ عنكم سيِّئَاتِكُم[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي -رَحِمَهُ الله-: "وَتَأْخِيرُ الإيمَانِ عَنْ إقامَةِ الصَّلاةِ وإيتَاءِ الزَّكاةِ مَعَ كَوْنِهِمَا مِنَ الفُرُوعِ المُتَرَتِّبَة عَلَيْهِ؛ لِمَا أَنَّهُم -كمَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ-كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِوُجُوبِهِمَا حَسْبَمَا يُرَادُ مِنْهُم، مَعَ اِرْتِكَابِهِم تَكْذِيبَ بَعْضِ الرُّسُل عَلَيْهِم الصَّلاةُ وَالسَّلامُ"[2].

وقَالَ صَاحِبُ "مَفَاتِيح الغَيْبِ" فِي تَأْخِير الإيمَانِ هُنَا: "فإن قلت: لِمَ أَخَّرَ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ عَنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مَعَ أَنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهَا؟ أقول: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي حُصُولِ النَّجَاةِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا مُصِرِّينَ عَلَى تَكْذِيبِ بَعْضِ الرُّسُلِ، فَذَكَرَ بَعْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ حَتَّى يَحْصُلَ الْمَقْصُودُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ تَأْثِيرٌ فِي حُصُولِ النَّجَاةِ بِدُونِ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ"[3].

وَذَكَرَ "بنُ عَطِيَّة" غَرَضاً آخَر لِتَأْخِير الإيمَانِ، فَقَالَ: "وَقَدَّمَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ عَلَى الْإِيمَانِ تَشْرِيفًا لَهُمَا، وَقَدْ عُلِمَ وَتَقَرَّرَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَمَلٌ إِلَّا بِالْإِيمَانِ"[4].

إنَّ سِرّ تَأْخِير الإيمَان عَلَى إقَامَةِ الصَّلاة وإيتَاءِ الزَّكَاة فِي هَذِهِ الآيةِ، إنَّمَا هُوَ لِغَرَضِ تَشْرِيفِ هَاتَيْنِ العِبَادَتَيْنِ، وَلِأَنَّ اليَهُود كَانُوا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ نَجَاتَهُم تَقُوم عَلَى المُحَافَظَة عَلَى هَاتَيْنِ العِبَادَتَيْنِ، بِمُقَابِل تَكْذِيبِهِم لِلرُّسُل المُرْسَلَةِ إليْهِم؛ جَاء نَظْمُ القُرْآنِ مُقَدِّماً لَهُمَا عَلَى الإيمَانِ الذِي لاَ يُمْكِنُ وُقوُعُه دُونَ إقَامَةِ الصَّلاة وإيتَاءِ الزَّكَاةِ والإيمَانِ بِجَمِيع الرُّسُل، فكان ذَلِكَ كالتَّدَرُّجِ؛ لِأَنَّ إقَامَةَ الصَّلاةِ أَيْسَرُ مِنَ إيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَمَنْ أَدَّاهُمَا جَمِيعاً لَا يُوصَفُ بالإيمَانِ مَالَمْ يُؤْمِن بِجَمِيع رُسُلِ الله وَيُعَزِّزُهُم وَيَنْصُرْهُم، فَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْعَتَ بِالإيمَانِ مَنْ لَمْ

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج6/ص232.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج94/7.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج11/ص324.

[4] المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، مرجع سابق، ج2/ص197.

يَكُنْ ذَاكَ شَأْنُه، فَكَيْفَ بِمَنْ آذَى وَقتَّل الأنْبِيَاءَ، وَلَابُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ جَمِيع الشُّروطِ حتَّى يَحْصُلَ المَشْرُوطُ وَهُوَ مَعِيَّة الله.

الموضع السابع: تَقْدِيمُ اليَهُودِ عَلَى المُشْرِكينَ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ المائدة: 82.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ قَسَماً (لَتَجِدَنَّ) أيُّها الرَّسُول أَشدَّ النَّاسِ عَدَاوةً (لِلَّذِين) صَدَّقُوك واتبَعُوك وَصدَّقُوا بِمَا جِئْتَهُم بِه، (اليَهُود والمُشْرِكِين) مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَان الذِين اِتَّخَذُوها آلهَةً يَعْبَدُونَها مِنْ دُون الله، وَقَد كَانَ اليَهُود وَالمُشْرِكُون مُشْتَرِكِين فِي بَعْضِ الصِّفَات والأَخْلَاق التِي اِقْتَضَتْ عَدَاوَتَهُم الشَّدِيدَة لِلْمُؤْمِنِين كَالكِبَرِ، وَالعُتُوّ، وَالبَغْيِ، وغَلَبَةِ الحَيَاة المَادِّيَة. وَلَكِنَّ مُشْرِكِي العَرَبِ علَى جَاهِلِيَّتِهِم كانُوا أَرَقَّ مِنَ اليَهُود قُلُوباً، وَأَعْظَمَ سخاءً وإيثَاراً، وأكْثَرَ حُريَّةً فِي الفِكْرِ واِسْتِقْلَالاً فِي الرّأي[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وذلك لِقُوّة المُبَايَنَةِ؛ لأَنَّهُم محْجُوبُون عَنْ تَوْحِيد الصِّفَات وَتَوْحِيد الذَّات. وَلَمْ يَكُن لَهُم إلاَّ تَوْحِيد الأفْعَال، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا كَذِلك بَلْ هُمْ أَشَدُّ مُبَايَنَةً مِنْهُم لِلْمُؤْمِنِين وَأَقْوى لِأَنَّهُم مَحْجُوبُون مُطْلَقاً، وَإنَّما قَدَّم اليَهُود عَلَيْهِم لِأَنَّ البَحْثَ فيهِم"[2].

وَقَال الإمَامُ "الرَّازِي": "اِعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَا ذَكَرَهُ، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الآية أنّ اليهود في غاية العداوة مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَلِذَلِكَ

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج7/ص5.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج7/ص363.

جَعَلَهُمْ قُرَنَاءَ لِلْمُشْرِكِينَ فِي شدة العداوة، بل نبّه على أنّهم أشدُّ في العداوة مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ قَدَّمَ ذِكْرَهُمْ عَلَى ذِكْرِ الْمُشْرِكِينَ"[1].

وَمنْ هُنَا فَإِنَّ تَقْدِيم اليَهُود عَلَى المُشْرِكِين فِي هذه الآية جَاءَ لِغَرَضِ بَيَانِ درجة مراتب العداوة، وأن اليهود قد بلغوا الذروة فيها، لأنها عداوة من عرف نبيّ الإسلام بنعوته وصفاته: قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾ البقرة: 146. فَكَانَ كُفْرُهُم مُضَاعَفٌ وَعَدَاوَتُهُم مُضَاعَفَةٌ، فَقَدْ اِنْهَمَكُوا فِي إِتِّبَاعِ الهَوَى وَتَمَرَّنُوا عَلَى تَكْذِيبِ الأَنْبِيَاءِ وَقَتْلِهِم، فَتَبَيَّن مِنْ هَذا أَنَّ العَدَاوَة مِنْهُم عَنْ قَصْدٍ وَعِلْمٍ خِلَافاً لِأَهْلِ الجَاهِلِيَّة فَإِنَّها كَانَت عَنْ جَهْلٍ وَعَمىً، ولمْ يَسْبِقْ أَنْ جَاءَهُم الأَنْبِيَاءُ وَلَا نَزَلَتْ عَلَيْهِم كُتُبٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَبَانَ جَلِيّاً لِكُلِّ عَاقِلٍ فَارِقُ العَدَاوَةِ بَيْنَ العَدُوَّيْنِ.

الموضع الثامن: تَقْدِيمُ الظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾ الأنعام: 01.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ الحَمْدُ والشُّكْرُ للَّذي خَلَقَكُم وَخَلَق السَّمَاواتِ والأَرْضَ، فَهُوَ المُسْتَوْجِبُ لِلْحَمْدِ بِنِعَمِهِ عَلَيْكُم، لَا مَنْ تَعْبُدُون مِنْ دُونِه وَتَجْعَلُونَهُ لَهُ شَرِيكاً مِنَ خَلْقِهِ. والمُرَادُ بالسَّمَاواتِ والأَرْضِ: العَوالِمَ العُلْوِيَّة التِي يُرَى كَثِيرٌ مِنْهَا فَوْقَنَا، وهَذَا العَالَمُ الذِي نَعِيشُ فِيه، وَكذَلِك الذِي أَوْجَدَ الظُّلُمَات وَالنُّور[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "إنَّمَا قَدَّمَ الظُّلُمَاتِ عَلى النُّور؛ لأَنَّ عَدَمَ المُحْدَثاتِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِهَا"[3].

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج12/ص413.

[2] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج7/ص71.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج8/ص22.

وَيُفَسِّر ماَ قَالَهُ الإمَامُ مَا جَاءَ فِي "مَفَاتِيح الغَيْبِ" فِي سِرِّ تَقْدِيم الظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ: "إِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الظُّلُمَاتِ عَلَى ذِكْرِ النُّورِ لِأَجْلِ أَنَّ الظُّلْمَةَ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ النُّورِ عَنِ الْجِسْمِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ قَبُولُ النُّورِ، وَلَيْسَتْ عِبَارَةً عَنْ كَيْفِيَّةٍ وُجُودِيَّةٍ مُضَادَّةٍ لِلنُّورِ، وإذا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: عَدَمُ الْمُحْدَثَاتِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِهَا، فَالظُّلْمَةُ مُتَقَدِّمَةٌ فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّحَقُّقِ عَلَى النُّورِ فَوَجَبَ تَقْدِيمُهَا فِي اللَّفْظِ، وَمِمَّا يُقَوِّي ذَلِكَ مَا يُرْوَى فِي الْأَخْبَارِ الْإِلَهِيَّةِ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ"[1].

فَثَبَتَ أَنَّ تَقْدِيمَ الظُّلُماتِ عَلَى النُّورِ فِي هَذِه الآية إِنَّما جَاءَ مُرَاعاةً لِلتَّرَتيبِ فِي الوُجُودِ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَة سَابِقَةٌ لِلنُّورِ، فَإِنّ النُّور قَدْ حَصَلَ بَعْدَ ما كانت الأَجْرَامِ مظلمة، وَكَانَت الظُّلْمَةُ عَامَّةً فِي الكَوْنِ. كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيث "عَبْدِ الله بن عَمْرِو بن العَاصِ" رَضِي الله عَنْهُمَا عَنْ –النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–أَنَّهُ قَال: "إِنَّ الله خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِم مِنْ نُورِهِ"[2]. فَهُوَ مُتَأَخِّرٌ فِي الخَلْقِ، وَقُدِّمَت الظُّلُمَاتُ لِأَنَّهَا أَسْبَقُ فِي الوُجُودِ مِنْهُ.

الموضع التاسع: تَقْدِيمُ اللَّعِبِ عَلَى اللَّهْوِ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنعام: 32.

المعنى الإجمالي للآية:

وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَالَ الْكُفَّارُ: إِنَّهُ لَا حَيَاةَ غَيْرُهَا، لَيْسَتْ إِلَّا لَعِبًا وَلَهْوًا أَوْ كَاللَّعِبِ وَاللهْوِ فِي عَدَمِ اسْتِتْبَاعِهَا لِشَيْءٍ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَنَافِعِ يَكُونُ فِي حَيَاةٍ بَعْدَهَا، أَوْ هِيَ دَائِرَةٌ بَيْنَ عَمَلٍ لَا يُفِيدُ فِي الْعَاقِبَةِ؛ فَهُوَ كَلَعِبِ الْأَطْفَالِ وَبَيْنَ عَمَلٍ لَهُ فَائِدَةٌ عَاجِلَةٌ سَلْبِيَّةٌ كَفَائِدَةِ اللهْوِ هُوَ دَفْعُ الْهُمُومِ وَالْآلَامِ[3].

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج12/ص479.

[2] ذكر الحديث في نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تح: عبد الرحمان عميرة، دار الجيل –بيروت –1992م، الأصل:267، فضل العلم بالله، ج4/ص72. وقال هذا حديث حسن.

[3] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج7/ص303.

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "إنَّ سِرَّ تَقْدِيمَ اللَّعِب علَى اللَّهْوِ بِأنّه لَمّا كَانَ هَذا الكَلَامُ مَسُوقاً لِلرَّدّ عَلى الكَفَرَةِ فِيما يَزْعُمُونَهُ مِنْ إنْكَار الآخِرَة، وَلَيْسَ فِي اِعْتِقَادِهِمْ لِجَهْلِهِم إلاّ مَا عَجَّلَ مِنَ المَسَرَّةِ بِزُخْرِف الدُّنْيَا الفَانِيَة، قَدَّمَ اللَّعِبَ الدَّالَ عَلى ذلك وَتَمَّمَ بِاللَّهْوِ، أَوْ لمَّا أَقْبَلُوا عَلى البَاطِل في أَكْثَر أَقْوَالِهِم وَأَفْعَالِهِم قَدَّم مَا يَدُلُّ عَلى ذلك، أو لَمَّا كَان التَّقْدِيمُ مُقَدَّماً على التَّرْكِ والنِّسْيَان قَدَّم اللَّعِبَ علَى اللَّهْوِ رِعَايَةً لِلتَّرْتِيب الخَارِجِي"[1].

وَيقُول "الفَيْرُوز آبَادِي" فِي سِرّ تَقْدِيم اللَّعبِ على اللّهْو فِي هَذِهِ الآيَةَ: "... وإنَّما قَدَّمَ اللَّعِبَ فِي هذه الآية؛ لأَنَّ اللَّعِب زَمَانُه الصِّبَا، واللَّهْوَ زَمَانُه الشَّبابُ، وزمَانُ الصِّبَا مُقَدَّمٌ عَلى زمَانِ الشَّبَابِ. يُبَيِّنه ما ذُكِرَ فِي الحَدِيدِ: قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ ﴾ الحديد: 20 كَلَعِب الصّبْيَانِ ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلَهْوِ الشُّبَّانِ"[2].

فَتَقرَّرَ مِنْ هَذا أنَّ تَقْدِيم اللَّعِبِ عَلى اللَّهْوِ في هذه الآية، جَاءِ لِغَرَضِ بَيَان مَا كَانَ يَفْعَلُه الكَفَرَةُ فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَوِيَّة مِنْ تَعْجِيلٍ لِمَسَرَّاتِهِم فِي الحَيَاة الدُّنْيا، وَعَطَفَ عَلَيْه اللَّهْوَ إشارةً إلى نِسْيَانِهِم وَتَرْكِهِم لِلْحَيَاة الآخرَة، أَوْ كَما قَالَه صَاحِبُ "البَصَائِر": "فاللَّعِبُ مُقَدَّمٌ عَلى اللَّهْوِ لِأَنَّ اللَّعِبَ وَقْتَ الصِّبَا واللَّهْوَ وَقْتَ الشَّبَاب".

الموضع العاشر: تَقْدِيمُ مُوسَى عَلَى هَارُونَ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: 121–122.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ قَالُوا صَدَّقْنَا بِمَا جَاءَنَا بِه مُوسَى، وَأنَّ الذِي عَلَيْنا أنَّ نَعْبُدَهُ هُوَ رَبُّ الإنْسِ والجِنّ

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج8/ص126.

[2] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، تح: محمد علي النجار، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة/ 1416هـ–1996م ج1/ص193.

وَجَمِيع الأَشْيَاء المُدَبّر لَهَا، رَبُّ مُوسَى وَهَارُون[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَإنَّما قُدِّم هَارُونُ فِي مَحَلٍّ آخَر لِأَنَّهُ أُدْخِل فِي دَفْعِ التَّوَهُّم، أَوْ لِأَجْلِ الفَاصِلَة، أوْ لأَنَّهُ أَكْبَرُ سِنّاً مِنْهُ، وقُدِّم مُوسَى هُنَا لِشَرَفِه، أَوْ لِلْفَاصِلَة"[2].

وَيَقُول صَاحِبُ "البَحْرِ": "... وبدأ بِمُوسَى قَبْلَ هَارُونَ وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ سِنًّا مِنْه –قِيلَ بِثَلَاثِ سِنِينَ–لِأَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي نَاظَرَ فِرْعَوْنَ، وَظَهَرَتِ الْمُعْجِزَتَانِ فِي يَدِهِ وَعَصَاهُ، وَلِأَنَّ قَوْلَهُ (وَهارُونَ) فَاصِلَةٌ"[3].

وَبِالتَّالِي فَإِنَّ سِرَّ تَقْدِيم (مُوسَى) عَلى (هَارُون) فِي هَذِه الآيَةِ لِشَرَفِه، وَعُلُوِّ رُتْبَتِه، ولأنّه المَخْصُوصِ أوّلاً بِالوَحْيِ، وَهُوَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ الذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْه التَّوْرَاةُ، وَخُصَّ بالتَّكْلِيم، أمَّا سَيِّدُنا هَارُون عَلَيْهِ السَّلَام فَهُوَ بِمَثَابَةِ الوَزِير، وَقَدْ نَفَعَهُ أَخُوهُ بِمَا لَمْ يَنْفَعْ أَخٌ أَخَاهُ، إذْ قَالَ لِرَبِّهِ: قَالَ تَعَالَى:﴿ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢ ﴾ طه: ٣٠ – ٣٢. وأَيْضاً لِأَنَّهُ هُوَ مَنْ قَامَ بِمُنَاظَرَةِ فِرْعَوْنَ، وَكَانت لَهُ مُعْجِزَتَا اليَد البَيْضَاء، والعَصَا المُتَلَقِّفَة وَأَيْضاً مُرَاعَاةً لِلْفَوَاصِلِ التِي هِيَ فِي كَلَام الله تَعَالى لَهَا دَلَائِلٌ وَأَسْرَارٌ لَطِيفَةٌ، وإنْ كَانَ سَيِّدُنا هَارُون قَدْ يُقَدَّمُ لِأَنَّهُ المُحَبَّبُ الأفْصَحُ، وَفِيه زِيَادَةُ لَطَافَةٍ وَظَرَافةٍ، وَكانَ فِيه جَمَالٌ يُكَمِّلُ الجَلَال الذِي فِي سَيِّدِنَا مُوسَى.

الموضع الحادي عشر: تَقْدِيمُ النَّفْعِ عَلَى الضُرِّ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨ ﴾ الأعراف: 188.

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج9/ص33.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج5/ص27.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج5/ص140.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ قُلْ يَا أيُّها الرَّسُول لِلنَّاس فِيما تُبَلِّغُه لَهُم مِنْ أَمْرِ دينِهِم: إنّي (لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي) وَلَا لِغَيْرِي جَلْبَ نَفْعٍ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ مُسْتَقِلًّا بِقُدْرَتِي عَلى ذلك، وإنَّمَا أَمْلِكُهُمَا بِقُدْرَة الله، فَإذا أَقْدَرَنِي علَى جَلْبِ النَّفْعِ جَلَبْتُهُ بفِعْلِ أَسْبَابِه، وإذا أَقْدَرَنِي عَلى مَنْعِ الضُّرِّ مَنَعْتُه بِتَسْخِير الأَسْبَاب كذلك، وَلَوْ (كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ منَ الخَيْرِ) كالمَالِ ونَحْوِه، وَلَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ الذِي يُمْكِنُ الاِحْتِيَاطُ لِدَفْعِهِ بِعِلْمِ الغَيْبِ، وإنَّهُ لَا اِمْتِيَازَ لِي عَنْ جَمِيع البَشَر إلاَّ بالتَّبْلِيغ عَن الله عز وَجَلَّ بِالإنْذار والتَّبْشِير[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَقَدَّم ذِكْرَ الخَيْرِ عَلى ذِكْرِ السُّوء لِمُنَاسَبَة مَا قَبْلَ حَيْثُ قَدَّمَ فِيه ذِكْرَ النَّفْعِ عَلى ذِكْرِ الضُّرِّ، وسَلَكَ فِي ذِكْرِهمَا هُناك كذلك مَسْلَكَ التَّرَقِّي عَلى مَا قِيل: فَإنَّ دَفْعَ المَضَارّ أَهَمُّ مِنْ جَلْبِ المَنَافِع"[2].

وَيَقُول صَاحِبُ "البَحْرِ" فِي سِرِّ تَقْدِيم النَّفْعِ علَى الضُّرّ: "وَقَدَّمَ هُنَا النَّفْعَ عَلَى الضَّرّ لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: 178. فَقَدَّمَ الهِدَايَةَ على الإضْلَالِ، وبعدَهُ ﴿ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ فقدّم ذكر الخير على ذكر السوء، فَنَاسَبَ تَقْدِيمُ النَّفْعِ، فَإذَا تَقَدَّمَ النَّفْعُ فَلِسَابِقَةِ لَفْظٍ تَضَمَّنَهُ"[3].

إنَّ الآيَةَ الكَرِيمَة لَهَا سَبَبُ نُزُولٍ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَلَا يُخْبِرُكَ رَبُّكَ بِالسِّعْرِ الرَّخِيص، قَبْلَ أَنْ يَغْلُوا، فَنَشْتَرِيَ بِهِ فَنَرْبَحَ عِنْدَ الغَلَاء، وَبِالأَرْضِ التِي يُرِيدُ أَنْ تَجْدِبَ فَنَرْحَل عَنْهَا إلَّا مَا قَدْ أُخْصِبَتْ، فَأَنْزَل الله الآيَةَ الكَرِيمَة"[4]. فَظَهَر مِنْ سَبَبِ النُّزُولِ اِهْتِمَامَهُم بِالنَّفْعِ ظَنّاً مِنْهُم بِأَنَّ النَّبِيَ يَمْلِكُ ذَلِك بِنَفْسِه

[1] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج8/ص136.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج89/ص526.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج5/ص240.

[4] ذكره الخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت 741هـ) تص: محمد علي شاهين، 1415 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3/ص142.

وَطَمَعاً فِي الأغْرَاضِ الفَانِيَة عِنْدَ صُحْبَةِ الأنْبِيَاءِ، فَبَيَّنَتْ لَهُم الآيَةُ العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ بِأَنَّ النَّبِيَ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِه جَلْبَ النَّفْعِ وَلَا دَفْعَ الضُّرِّ، وفِيها إظْهَارٌ لِلْعُبُودِيَّة وَالتَّبَرِّي مِنْ اِدِّعَاءِ عِلْمِ الغَيْبِ، وَأَنَّهُ كَمَا قَالَ "بْنُ عَطَاءِ الله السَّكَنْدَرِي" (ت709هـ)[1]:

(مَنْ لَا يَستَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَ حَاجَةً عَنْ نَفْسِه، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَنْ غَيْرِهِ رَافِعاً)[2].

وَمَنْ يَئِسَ عَنْ نَفْعِ نَفْسِه لِنَفْسِه، فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَنْفَعَ غَيْرَهُ، وإنَّمَا الأمْرُ كُلَّه لله، فَهُوَ النَّافِعُ والضَّارُّ وإنَّمَا النَّبِيُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِك لِبَيَانِ أَسْبَابِ النَّفْعِ والسَّعَادَةِ، والتَّحْذِير مِنْ أَسْبَابِ الضُّرِّ والشَّقَاوَةِ فِي العَاجِل والآجِلِ. وَقَدْ مَسَّ الأنْبِيَاءَ المَرَضُ والجُوعُ والخَوْفُ والغُرْبَة والسِّجْن بَلْ وَقُتِّلَ بَعْضُهُم، وَذَلِكَ كُلُّه بِتَقْدِيرِ الله تَعَالى، فَمَنْ عَجَزَ عَنْ دَفْعِ الضُّرِّ القَاهِرِ لَهُ فَهُوَ عَنْ جَلْبِ النَّفْعِ أَعْجَزُ.

الموضع الثاني عشر: تَقْدِيمُ الدَّرَجَاتِ عَلَى المَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ الأنفال: 04.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ أُولَئِك الذِين اِتَّصَفُوا بِتِلْكَ الصِّفَات –التِي ذُكِرَت فِي صَدْرِ السُّورَة–هُمْ دُون مَنْ سِوَاهُم هُمُ المُؤْمِنُون حَقَّ الإيمَانِ، لَهُمْ (دَرَجَاتٌ) مِنَ الكَرَامَةِ والنَّعِيم لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهَا عِنْدَ رَبِّهِم الذِي خَلَقَهُم وَسَوَّاهُم، وَهُو القَادِرُ عَلى جَزَائِهِم عَلى جَمِيل أَعْمَالِهِم فِي دَار الجَزَاءِ والثَّوابِ والله تَعَالى فَضَّل بَعْضَ النَّاسِ وَرَفَعَهُم عَلى بَعْضٍ دَرَجَةً أَوْ دَرَجَاتٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ[3].

---

[1] الشيخ الفقيه تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة، ولد بالقاهرة وتوفي بها. نقلاً عن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، دط، ج8/ص225.

[2] شرح الحكم العطائية، محمد حياة السندي المدني (ت1136هـ)، تح: نزار حمادي، ط1/1430هـ–2009م، مكتبة بن عرفة، تونس، ص38.

[3] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج9/ص166.

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسي –رَحِمَهُ الله–: "قَدَّمَ سُبْحَانَهُ الدَّرَجَاتِ لِأَنَّها بِمَحْضِ الفَضْلِ، وَذَكرَ بَعْدَها المَغْفِرَة لأَنَّها أَهَمُّ عِنْدَهُم مِنَ الرِّزْقِ، مَعَ اِشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِهِمَا فِي مُقَابَلَة شَيْءٍ"[1].

وَقَالَ "ابْنُ عَطِيَّة: "أَنَّ المُرادَ بِدَرَجَاتٍ مَرَاتِب الجَنَّة وَمَنَازِلَهَا وَدَرَجَتِها عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِم فَقُدِّم ذِكْرَها عَلى الرِّزْقِ الذِي يَقْصِدُ بِه مَآكِلَ الجنَّة وَمَشَارِبَها، وأُخِّر عَلى المَغْفِرَة لِأَنَّها عِنْدَهُم أَهَمُّ لِتَجَاوُزِ سَيِّئَاتِهِم"[2].

إنَّ تَقْدِيم الدَّرَجَاتِ في هذه الآيَةِ تَنْبِيهٌ عَلى عَظَمَتِهَا وَشَرَفِهَا عِنْدَ الله تَعَالى، فَتَفْضِيلُ الحَقِّ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالى–بَيْنَ النَّاسِ، وَرَفْعِ بَعْضِهم عَلى بَعْضٍ درَجَاتٍ، وَاِضَافَةِ ذَلك لِاسْمِه –جَلَّ وَعَلا–أَضَافَ لهَا مَزِيد الاِخْتِصَاص، وَتَأْخِيرُ الرِّزْقِ عَلى المَغْفِرَة لِمَا عُلِمَ أَنَّ النَّاسَ يبْتَغُون مَغْفِرَة الله لِتَجَاوُزِ سَيِّئَاتِهِم، ثُمَّ يَطْلُبُون مِنْهُ رِزْقاً كَرِيماً، فَقَدَّم الأَهَمَّ.

الموضع الثالث عشر: تَقْدِيمُ الفُقَرَاءِ عَلَى الأَصْنَافِ الأُخْرَى مِنْ مُسْتَحِقِّي الصَّدَقَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ التوبة: 60.

المعنى الإجمالي للآية:

إنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراء؛ أيْ إنَّمَا تُعْطَى زَكَاةُ النَّقْدِ أو النَّعَم أو التِّجَارة أو الزَّرْعِ لِلْفُقَراء الذِين يَحْتَاجُون إلَى مُوَاسَاة الأَغْنِيَاء، لِعَدَم وُجُود مَا يَكْفِيهِم مِنَ المَالِ بِحَسَبِ حَالِهِم وَالْمَساكِينُ وهُمْ أَسْوَأُ حَالاً مِنَ الفُقَرَاء، أَلْصَقُوا جُلُودَهُم بِالتُّرَاب فِي حُفْرَةٍ اِسْتَتَرُوا بِهَا لِشِدَّةِ الجُوع وَذَلِك مُنْتَهى الضُّرِّ وَالشِّدَّة[3].

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج10/ص29.

[2] المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، مرجع سابق، ج573/2.

[3] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج10/ص143.

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وتَقْدِيمُ الفَقِير فِي الآيَة لَوْ لَمْ تَكُنْ حَاجَتُهُ أَشَدُّ لَمَا بَدَأَ بِهِ، وَأَنَّ الفَقِير بِمَعْنَى المَفْقُورِ: أيْ مَكْسُورُ الفِقَار؛ أَيْ عِظَام الصَّلْبِ، فَكَان أَسْوَأ"[1].

وَيقُول "الرَّازِي" عَنْ سِرِّ تَقْدِيم الفَقِير عَلى المسكين: " ... إذَا كَانَ الْمِسْكِينَ هُوَ السَّائِلُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَحْرُومُ هُوَ الْفَقِيرُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَحْرُومَ مُبَالَغَةٌ فِي تَقْرِيرِ أَمْرِ الْحِرْمَانِ فَثَبَتَ أَنَّ الْفَقِيرَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْمِسْكِينِ، وأَنَّ الْفَقْرَ أَشَدُّ حَالًا مِنَ الْمَسْكَنَةِ. وهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا مُتَوَافِقَةٌ عَلَى أَنَّ الْفَقِيرَ لَا يَسْأَلُ، وَالْمِسْكِينَ يَسْأَلُ، وَمَنْ سَأَلَ وَجَدَ، فَكَانَ الْمِسْكِينُ أَسْهَلَ وَأَقَلَّ حَاجَةً"[2].

إنَّ تَقْدِيم الفَقِير عَلى المسكين فِي هذِه الآيَة جَاءَ لِبَيَانِ الأَحَقّ بِأَخْذِ هَذِه الصَّدَقَات فَالفَقِير أَوْلَى مِنَ المِسْكِين، وَهُو أَشَدُّ حَاجَةً لَهَا مِنْهُ، وَدَلِيل ذَلِك أَنَّ النَّبِيَ –صلَّى الله علَيْهِ وَسَلَّمَ–كَان دَائِماً مَا يَتَعَوَّذُ بِالفَقْرِ فَيَقُول: (اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ)[3]، وَيَدْعُوا بِالمَسْكَنَةِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ "أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ" فَيَقُول: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِين يَوْمَ القِيَامَة)[4]. فَلَوْ كَانَ المِسْكِينُ أَسْوَأَ حَالاً مِنَ الفَقِير لَمَا تَعَوَّذَ النَّبِيُّ –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم–مِنَ الفَقْرِ وَسَأَلَ المَسْكَنَة.

---

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج10/ص380.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج16/ص85.

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، شعيب الأرناؤوط، ط2/ 1421 هـ –2001 م، مؤسسة الرسالة، مسند البصريين، حديث أبي بكر نفيع بن الحارث بن كلدة، رقم الحديث: 20381، ج34/ص17. وقال فيه: إسناده قوي على شرط مسلم.

[4] أخرجه الكسّي في مسنده، المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي (ت 249هـ)، تح: صبحي البدري السامرائي، ط1/1408 – 1988، مكتبة السنة، القاهرة، من مسند أبي سعيد الخدري، رقم الحديث: 1002، ج308/ص2001.

وإنْ كَان فِي المَسْأَلَةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ اللُّغَة وَأَهْلِ الفِقْهِ كَما ذَكَرَ "القُرْطُبِيُّ" (ت671هـ)[1] فِي تَفْسِيره لِهَذِه الآيَة تِسْعَةَ أَقْوَالٍ يُرْجَعُ إِلَيْهَا فِي مَحَلِّهَا (لَا يُنَاسِبُ ذِكْرُهَا فِي هَذَا المُقَام)[2].

الموضع الرابع عشر: تَقْدِيمُ العَزِيزِ عَلَى الحَمِيدِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ إبراهيم: ١.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ هَذَا (كِتَابٌ) أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُول، لِتُنْقِذَ النَّاس مِنَ ظُلُمَاتِ الضَّلالة وَالكُفْرِ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ وَضِيَائِهِ، وَتُبَصِّر بِهِ أَهْلَ الجَهْلِ والعَمَى، بِمَا اِشْتَمَل علَيْهِ مِنْ وَاضِحِ الآيَاتِ المُبَيِّنَاتِ المُرْشِدَة إِلَى النَّظَرِ فِي حَقَائِقِ الكَوْنِ، الدَّالَّةِ عَلَى وِحْدَانِيَّة الله تَعَالى، بِتَوْفِيقِه وَلُطْفِه بِهِمْ سُبْحَانه وَتَعَالى، بِإِرْسَال نُور الهُدى إلى قُلُوبِهِم، فَيَسْلُكُون طُرُقَ الفَلَاح والصَّلاحِ، إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم وَهُو الطَّرِيق الذِي اِرْتَضَاهُ الله لِخَلْقِه وَشَرَّعَهُ لَهُم، وَهُو العَزِيزُ الذِي لَا يُغَالِبُ المَحْمُود فِي جَمِيع أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ[3].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "إِنَّمَا قدَّم ذِكْرَ الْعَزِيزِ عَلى ذِكْرِ الْحَمِيدِ لأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ أَوّلَ العِلْمِ بالله تَعَالى العِلْمُ بِكَوْنِه تَعالى قَادِراً، ثُمَّ بَعْدَ ذلك العِلْمُ بِكَوْنِه عَالِماً، ثُمَّ بَعْد ذلك العِلْمُ بِكَوْنِه غَنِيّاً عَنْ الحَاجَاتِ، والعَزِيزُ هُوَ القَادِرُ والحَمِيدُ هُو العَالِمُ الغَنِيُّ، فَلَمَّا كَان العِلْمُ

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. (600 –671هـ، 1204 –1273م). فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه. ينظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت 842هـ)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط1/ 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج7/ص65.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2/1384هـ –1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة، ج7–8/ص152.

[3] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج13/ص123.

بكَوْنِه تَعَالى قَادِراً مُتَقَدِّماً عَلى العِلْمِ بِكَوْنِه عَالِماً بِالكُلِّ غَنِيّاً عَنْهُ لَا جَرَمَ، قُدِّمَ ذِكْرُ العَزِيزِ علَى ذِكْرِ الحَمِيدِ"[1].

هذَا وَقَدْ أَوْرَدَ "أَبُو حَيَّان" نُكْتَةً أُخْرَى فِي تَقْدِيم صِفَة العَزِيزِ عَلى الحَمِيدِ، فَيَقُولُ: "وَلَمَّا تَقَدَّمَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا إِسْنَادُ إِنْزَالِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ؛ نَاسَبَ ذِكْرُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ صِفَةَ الْعِزَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْقُدْرَةِ وَالْغَلَبَةِ وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنْزَالُ الْكِتَابِ وَصِفَةُ الْحَمْدِ الْمُتَضَمِّنَةُ اِسْتِحْقَاقِهِ الْحَمْدَ مِنْ حَيْثُ الْإِخْرَاجِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، إِذِ الْهِدَايَةُ إِلَى الْإِيمَانِ هِيَ النِّعْمَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْحَمْدُ عَلَيْهَا وَالشُّكْرُ. وَتَقَدَّمَتْ صِفَةُ الْعَزِيزِ، لِتَقَدُّمِ مَا دَلَّ عَلَيْهَا، وَتَلِيهَا صِفَةُ الْحَمِيدِ لِتُلُوِّ مَا دَلَّ عَلَيْهَا"[2].

إنَّ تَقْدِيم صِفَةِ العَزِيز علَى صِفَةِ الحَمِيدِ فِي هذه الآيَة جَاءَ لِبَيَانِ غَرَضِ تَبَايُنِ المُسْتَوَى بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ، فَالعَزِيزُ هُوَ البَالِغُ فِي القُدْرَةِ مُنْتَهَاهَا، وَهُوَ الغَالِبُ الذِي لَا يُغْلَبُ، فَبِهَذِهِ العِزَّةِ والقُوَّةِ والتَّمْكِين مِنْ حَيْثُ إِنْزَالِهِ لِلْكِتَابِ أَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّور، فَاسْتَوْجَبَ بِذَلك الحَمْدَ؛ لأَنَّ الحَمِيدَ هُوَ المَحْمُودُ بِكُلِّ لِسَانٍ، المُمَجَّدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلى كُلِّ حَالٍ والثَّنَاءُ بِالحَمْدِ يَأْتِي بَعْدَ النِّعْمَةِ المُتَجَلِّيَة لِإِنْزَالِ الكِتَاب وإِخْرَاجِ النَّاس مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ.

الموضع الخامس عشر: تَقْدِيمُ الزَّرْعِ عَلَى أَنْوَاعِ الثَّمَرِ الأُخْرَى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾ النحل: 11.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ يُنْبِتُ لَكُم بِالمَاءِ الذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ زَرْعَكُم وَزَيْتُونَكُم وَنَخِيلَكُم وَأَعْنَابَكُم، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ أَرْزَاقاً لَكُم وَأَقْوَاتاً نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيكُم، وحُجَّةً علَى مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَفِيمَا ذَكَر مِنْ إِنْزَال

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج13/ص208.

[2] البحر المحيط، أبو حيان، مرجع سابق، ج6/ص407.

المَاءِ وَغَيْرِهِ؛ لأَدِّلةً وحُجَجاً على أَنَّهُ لَا إِلَهَ إلاّ هُو لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُون بِمَوَاعِظ الله وَيَتَفَكَّرُون فِيها حتَّى تَطْمَئَنّ قُلُوبُهُم بِهَا، وَيِنْبَلِجَ نُورُ الإيمَانِ فِيها[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَتَقْدِيم الزَّرعِ علَى مَا عَدَاهُ قِيل: لأَنَّهُ أَصْلُ الأَغْذِيَة وَعَمُود المَعَاشِ، وَقُوتُ أَكْثَرِ العَالم، وَفِيه مُنَاسَبَةٌ لِلْكَلأ المَرْعَى، ثُمَّ الزَّيْتُون لِمَا فِيه مِن الشَّرَفِ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ إِدَامٌ مِنْ وَجْهٍ، وَفَاكِهَةٌ مِنْ وَجْهٍ، وَكان الظَّاهِرُ تَقْدِيمُ غِذَاءِ الإنْسَانِ لِشَرَفِهِ عَلى غِذَاء مَا يُسَام، لَكِن قُدِّم ذَاك لِلتَّنْبِيه علَى مَكَارِم الأَخْلَاق، وَأَنْ يَكُونَ اِهْتِمَامُ الإنْسَانِ بِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ أَقْوَى مِنْ اِهْتِمَامِه بِنَفْسِه"[2].

وَيقُولُ صَاحِبُ "البَحْرِ" فِي تَقْدِيم الزَّرْعِ عَلى مَا عَدَاهُ: " وَبَدَأَ بِالزَّرْعِ لِأَنَّهُ قُوتُ أَكْثَرِ الْعَالَمِ ثُمَّ بِالزَّيْتُونِ لِمَا فِيهِ مِنْ فَائِدَةِ الِاسْتِصْبَاحِ بِدُهْنِهِ، وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ مَعَ مَنْفَعَةِ أَكْلِهِ وَالِائْتِدَامِ بِهِ ثُمَّ بِالنَّخْلِ لِأَنَّ ثَمَرَتَهُ مِنْ أَطْيَبِ الْفَوَاكِهِ وَقُوتٌ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ، ثُمَّ بِالْأَعْنَابِ لِأَنَّهَا فَاكِهَةٌ مَحْضَةٌ"[3].

إنَّ فِي تَقْدِيم الزَّرْعِ عَلَى سَائِر النِّعَم الأُخْرَى تقديماً اِقْتَضَتْهُ الأهَمِيَّةُ المُتَمَثِّلَةُ فِي الحَبِّ الذِي يُقْتَاتُ بِه كَالحِنْطَةِ والشَّعِير، وَهُو غِذَاءٌ لِلْإِنْسَانِ، وَمَا يَأْكُلُه مِنَ الأنْعَامِ، وَمَا يَرْكَبُه مِنَ الحَيَوانِ فِي غَالِبِ البُلْدَانِ، وَهَذا الزَّرْعُ بِأَنْوَاعِه لَا يَكَادُ يَسْتَغْنِي عَنْهُ الإنْسَانُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكانٍ، إذْ قِوَامُ الحَيَاة بِه، وَأَمَّا مَا بَعْدَهُ فَقَدْ يتيسَّرُ لِبَعْضٍ وَيَسْتَغْنِي عَنْهُ آخَرُون. وَثنَّى بِذِكْرِ الزَّيْتُون لِمَا فِيه مِنَ الأُدْنِ والدُّهْنِ، ولِأَنَّه مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، وَثلَّثَ بالنَّخِيل لِأَنَّ ثَمَرَتَهَا غِذَاءٌ وَفَاكِهَةٌ، وَهُوَ فِي دَرَجَةٍ دُون دَرَجَةِ الزَّيْتُون فِي الحَاجَةِ والاِسْتِعْمَال، وأَتَى بالأَعْنَابِ بَعْدَ النَّخِيل لِمُشَابَهَتِهَا النَّخْلَةَ فِي المَنْفَعَةِ والتَّفَكُّهِ والتَّغْذِيَة، ثُمَّ ذَكَرَ سَائِرَ الثِّمَارِ لِيُنَبِّهَ عَلَى عَظِيم قُدْرَتِه وَجَزِيلِ نِعْمَتِه عَلَى خَلْقِهِ.

---

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج14/ص59.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج14/ص24–25.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج6/ص512.

الموضع السادس عشر: تَقْدِيمُ الشِّفَاءِ عَلَى الرَّحْمَةِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: 82.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ ونُنَزِّلُ علَيْكَ أيُّها الرَّسُول (منَ القُرْآنِ) مَا بِهِ يُشْفَى الإنْسَانُ مِنَ الجَهْلِ والضَّلالَةِ وَتَزُولُ أمْرَاضُ الشِّدَّة والنِّفَاق، وَهُو أيْضاً (رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِين) الذِين يَعْمَلُون بِمَا فِيه مِنَ الفَرَائِضِ وَيُحِلُّونَ حَلاَلَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، فَيَدْخُلُون الجَنَّةَ، ويَنْجُونَ مِنَ العَذابِ، لأنَّهُم كُلَّما سَمِعُوا آيَةً مِنْهُ اِزْدَادُوا بُعْداً عَنِ الإيمَانِ، واِزدَادُوا كُفْراً باللهِ، لأنَّهُ قَدْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "القُرْآنُ شِفَاءٌ لِلْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّة، وَهِي نَوْعَان: اِعتقاداتٌ بَاطِلَةٌ وَأخْلَاقٌ مَذْمُومَةٌ، فَلِاشْتِمَاله عَلَى الدَّلائِلِ الحَقَّة الكَاشِفَةِ عَنِ المَذَاهِبِ البَاطِلَة فِي الإلَهِيَّات والنُّبُوَّاتِ وَالمَعَادِ والقَضَاءِ والقَدَرِ المُبَيِّنَة لِبُطْلَانِهَا يَشْفِي عَنِ النَّوْعِ الأَوَّل مِنَ الأَمْرَاضِ، ولِاشْتِمَالِه عَلَى تَفَاصِيلِ الأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ وَتَعْرِيف مَا فِيها مِنَ المَفَاسِدِ وَالإرْشَاد إلَى الأخْلَاق الفَاضِلَة وَالأعْمَالِ المَحْمُودَة يَشْفِي عَنِ النَّوْعِ الآخَرِ، والشِّفَاءُ إشَارَةٌ إلى التَّخْلِيَةِ والرَّحْمَةُ إشَارَةٌ إلَى التَّحْلِيَة، ولأنّ الأُولَى أَهَمُّ مِنَ الثَّانِية قُدِّم الشِّفَاءُ عَلَى الرَّحْمَةِ"[2].

وَيَقُول "الرَّازِي" فِي سِرِّ تَقْدِيم الشِّفَاءِ عَلَى الرَّحْمَةِ هُنَا: "وَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْمَذْمُومَةُ؛ فَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى تَفْصِيلِهَا وَتَعْرِيفِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْإِرْشَادِ إِلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الْكَامِلَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمَحْمُودَةِ فَكَانَ الْقُرْآنُ شِفَاءً مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْمَرَضِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فَاعْلَمْ أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ الْأَرْوَاحَ الْبَشَرِيَّةَ مَرِيضَةٌ بِسَبَبِ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَةِ، وَلَمَّا كَانَ

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج15/ص86.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج15/ص82.

إِزَالَةُ الْمَرَضِ مُقَدَّمَةً عَلَى السَّعْيِ فِي تَكْمِيلِ مُوجِبَاتِ الصِّحَّةِ لَا جَرَمَ؛ بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِذِكْرِ الشِّفَاءِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ الرَّحْمَةِ"[1].

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ تَقْدِيمَ الشِّفَاء عَلَى الرَّحْمَةِ إِقْتَضَاهُ التَّرْتِيب الذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ دَفْعِ الدَّاءِ الذِي هُوَ الشِّفَاءُ، وَبَيْنَ إِتْمَامِ العَافِيَة التِي هِيَ الرَّحْمَةُ، فَكَانَ الشِّفَاءُ كالتَّخْلِيَة، والرَّحْمَةُ كالتَّحْلِيَة. وَمِنَ المَعْلُومِ الوَاضِحِ أَنَّ التَّخْلِيَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيةِ. فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الشِّفَاءَ قُدِّمَ لِلْأَهَمِّيَة.

الموضع السَّابع عشر: تَقْدِيمُ الأَكْلِ عَلَى الشُّرْبِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: 27.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ فَكُلِي مِنْ ذَلِك الرُّطَبِ، واِشْرَبِي مِنْ عَصِيرِهِ، وَطِيبِي نَفْساً، وَأَبْعِدِي عَنْكِ الأَحْزَانَ فإنَّ الله قَدِيرٌ أَنْ يُنَزِّهَ سَاحَتَكِ، ويُبْعِدَ عَنْكِ تخرُّصَات المُبْطِلِينَ الذِين يَتَقَيَّدُون بالسُّنَنِ التِي جَعَلَهَا اللهُ الطَّرِيقَ لِلْوِلَادَةِ فِي البَشَرِ، ويُرْشِدَهُم إِلَى الوُقُوفِ عَلى سَرِيرَة أَمْرِكِ حَتَّى يُثْبِتُوا لَكِ القَدَاسَةَ والطُّهْرَ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "ومَا أَلْطَفَ مَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ النَّظْمُ الكَرِيمُ منْ إِحْضَارِ المَاء أَوّلاً والطَّعام ثَانِياً، ثُمَّ الأَكْلِ ثَالِثاً والشُّرْبِ رَابِعاً، فَإِنّ الاِهْتِمَام بالمَاءِ أَشَدُّ مِنَ الاِهْتِمَام بالأَكْلِ، لَا سِيَمَا مِمَّنْ يُرِيد أَنْ يَأْكُل مَا يَحْوِج إِلَى المَاءِ كالأَشْيَاءِ الحُلْوَةِ الحَارَّةِ، والعَادَةُ قَاضِيَةٌ بِأَنّ الأَكْلَ بَعْد الشُّرْبِ، وَلِذَا قُدِّم الأَكْلُ علَى الشُّرْبِ حَيْثُ وَقَعَ"[3].

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج21/ص390.

[2] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج16/ص45.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج16/ص70.

وَيَقُول صَاحِبُ "مَفَاتِيحُ الغَيْبِ" فِي سِرِّ تَقْدِيم الأَكْلِ على الشُّرْبِ: "قَدَّمَ الْأَكْلَ عَلَى الشُّرْبِ لِأَنَّ احْتِيَاجَ النُّفَسَاءِ إِلَى أَكْلِ الرُّطَبِ أَشَدُّ مِنَ اِحْتِيَاجِهَا إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ لِكَثْرَةِ مَا سَالَ مِنْهَا مِنَ الدِّمَاءِ"[1].

وإِذَنْ فَإِنَّ تَقْدِيمَ الأَكْلِ علَى الشُّرْبِ في هَذِه الآيَة جَاءَ لِبَيَانِ اِهْتِمَامِ النَّاسِ بِالطَّعامِ قَبْلَ المَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الغَالِبَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ أَنَّهُم يَبْدَؤُونَ بِالأَكْلِ قَبْلَ الشُّرْبِ، وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ النُّفَسَاءَ يَسِيلُ دَمٌ كَثِيرٌ مِنْهَا عِنْدَ الوِلَادَةِ فَتَضْعُفُ كالصَّائِمِ، فَيَكُونُ أَكْلُ الرُّطَبِ أَدْعَى فِي اِسْتِرْجَاعِ قِوَاهَا وَرَدِّ مَا زَاغَ مِنْ بَصَرِهَا. فَنَاسَبَتْ الإِرْشَادَاتُ الطِّبِّيَةَ والعَادَاتُ البَشَرِيَّةُ أَنْ يُقَدَّمَ الأَكْلُ عَلَى الشُّرْبِ، وَبَعْدَهُمَا تَقَرُّ العَيْنُ.

الموضع الثامن عشر: تَقْدِيمُ التَّسْبِيحِ عَلَى الذِّكْرِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ طه: 33-34.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ لِكَي نُنَزِّهَك عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ مِنَ الصِّفَات والأَفْعَال التِي مِنْ بَيْنِهَا مَا يَدَّعِيه فِرْعَوْن الطَّاغِيَة، وَفِئَتُه البَاغِيَة مِنَ الأُلُوهِيَّة لَهُ، ونَذْكُرَك وَحْدَكَ اِبْتِغَاء مَرْضَاتِكَ، دُونَ أَنْ نُشْرِك مَعَكَ غَيْرَكَ أَثْنَاءَ أَدَاءِ الرِّسَالة، وَدَعْوَةِ المَرَدَّةِ الطَّغَاةِ إِلَى الحَقِّ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي -رَحِمَهُ الله-: "وَتَقْدِيمُ التَّسْبِيح عَلَى الذِّكْرِ مِنْ بَابِ تَقْدِيم التَّخْلِيَة علَى التَّحْلِيَة، وَقِيل: إِنَّ المَعْنَى كَيْ نُصَلِّي لَك كَثِيراً وَنَحْمَدَك وَنُثْنِي علَيْكَ كَثِيراً بِمَا أَوْلَيْتَنَا مِنْ نِعَمِكَ وَمننْتَ بِه عَلَيْنَا مِنْ تَحْمِيل رِسَالَتِكَ، وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ لَا يُسَاعِدُهُ المَقَامُ"[3].

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج21/ص528.

[2] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج16/ص107.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج16/ص293.

وَيَقُولُ صَاحِبُ "البَحْرِ" فِي تَقْدِيم التَّسْبِيح عَلى الذِّكْرِ:" ... وَقُدِّمَ التَّسْبِيحُ لِأَنَّهُ تَنْزِيهُهُ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَبَرَاءَتُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، وَمَحَلُّ ذَلِكَ الْقَلْبُ، وَالذِّكْرُ وَالثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَحَلُّهُ اللِّسَانُ، فَلِذَلِكَ قُدِّمَ مَا مَحَلُّهُ الْقَلْبُ عَلَى مَا مَحَلُّهُ اللسان"[1].

إنَّ تَقْدِيم التَّسْبِيح الذِي يَعْنِي تَنْزِيه الله تَعَالى فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، الذي ينافي الشرك وعبادة غير الله تعالى هو الأهم في بيان الغاية، والهدف من دعوة سيدنا موسى، وطلب المعونة فيها لأنّه كالتخلية والتنقية من كل شوائب الشرك، وأُخِّرَ علَيْهِ الذِّكْرُ، لأنه كالتحلية. ومما لا يخفى على الجميع أن التخلية مقدمة على التحلية.

الموضع التاسع عشر: تَقْدِيمُ إِحْيَاءِ الأَرْضِ وَسَقْيِ الأَنْعَامِ عَلَى سَقْيِ الأنَاسِي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الفرقان: 49.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ وأَنْزَلْنَاهُ لِنُحْيِيَ بِهِ أَرْضاً طالَ اِنْتِظَارُهَا لِلْغَيْثِ، فَهِيَ هَامِدَةٌ لَا نَبَاتَ فِيها، وبِذَلِك المَاءِ تزْدَهِرُ بِالشَّجَرِ والنَّبَاتِ والأَزْهَار، وَذَلِك أَشْبَهُ بِالحَيَاةِ لِلْإنسَانِ والحَيَوَانِ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَمَسَاقُ الآيَاتِ الكَرِيمَة كَمَا هُو لِلدِّلَالَةِ عَلى عِظَمِ القُدْرَةِ، كذَلِك هُوَ لِتِعْدَاد أَنْوَاعِ النِّعْمَة؛ فالأَنْعَامُ حَيْثُ كَانت قِنْيَةٌ لِلْإِنْسَانِ، وَعَامَّةُ مَنَافِعِهِم وَمَعَايِشِهِم مَنُوطَةٌ بِهَا؛ قُدِّمَ سَقْيُها عَلَى سَقْيِهم، كَما قُدِّم عَلَيْها إِحْيَاءُ الأَرْضِ فإِنَّهُ سَبَبٌ لِحَيَاتِهَا فَالتَّقْدِيم مِنْ قَبِيل تَقْدِيم الأَسْبَابِ علَى المُسَبّبَات، وَحَاصِلُه أَنَّهُ مِنْ بَابِ تَقْدِيم مَا هُوَ الأَهَمُّ والأَصْلُ فِي بَابِ الِامْتِنَانِ"[3].

[1] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج7/ص329.

[2] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج19/ص24.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج19/ص80-81.

وَيَقُول "أَبُو حَيَّان" فِي سِرّ تَقْدِيم إحْيَاء الأَرْضِ وَسَقْيِ الأَنْعَامِ: "وَقَدَّمَ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ وَسَقْيَ الْأَنْعَامِ عَلَى سَقْيِ الْأَنَاسِيِّ؛ لِأَنَّ حَيَاتَهُمْ بِحَيَاةِ أَرْضِهِمْ وَحَيَاةِ أَنْعَامِهِمْ، فَقَدَّمَ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا مَا يَسْقِي أَرْضَهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ وَجَدُوا سُقْيَاهُمْ"[1].

إنَّ تَقْدِيمَ إحْيَاءِ الأَرْضِ عَلَى الأَنْعَامِ وعَلَى الأَنَاسِي؛ ذَلِكَ أنَّ المَاءَ الطَّهُورَ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ أَوَّلُ مُنْتَفِعٍ بِهِ هِيَ الأَرْضُ، وَفِي سُورَةِ الحَجِّ: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ الحج: 05. ثُمَّ يُصِيبُ الحَيَوانَ الذِي يَشْرَبُ مِنَ الغُدْرَانِ والأَوْدِيَة والسَّوَاقِي الجَارِيَةِ التِي اِسْتَقَرَّتْ فِي الأَرْضِ، وَآخِرُ مَنْ يَصِلُهُ الاِنْتِفَاعُ بِالمَاءِ هُوَ الاِنْسَانُ، لأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِهِ وَنَقْلِهِ وَفِي بَعْضِ الأَحْيَانِ إِلَى تَصْفِيَتِهِ فَيَتَأَخَّرُ اِنْتِفَاعُهُ بِهِ. ثُمَّ إنَّ الآيَةَ فِي مَعْرِضِ الاِمْتِنَان؛ ذَلِكَ أنَّ مَا يُصِيبُ الأَرْضَ أَوْ الحَيَوانَ فَيُحْيِي النَّبَاتَ والأَنْعَامَ هُوَ كُلُّهُ رَاجِعٌ خَيْرُهُ إِلَى الاِنْسَانِ، وَيَحْكِي دَوْرَةَ التَّسْخِيرِ والتَّرْتِيبِ الذِي قَضَاهُ الله فِي نِظَامِ مَمْلَكَتِهِ الكَوْنِيَّة.

الموضع العشرون: تَقْدِيمُ لَفْظِ القُرْآنِ عَلَى الكِتَابِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ ﴾ النمل: ١.

المعنى الإجمالي للآية:

﴿طسٓ﴾ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ جَاءَت لِلتَّنْبِيه، نَحْوَ (أَلَا وَيَا) التِي لِلنِّدَاء، وَيُنْطَقِ بِأَسْمَائِهَا فَيُقَال: (طَا–سِين). ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ ﴾ النمل: ١، إنَّ هَذِه الآيَات التِي أَنْزَلْتُها إِلَيْكَ أَيُّها الرَّسُول لآيَاتُ القُرْآن، وآيَاتُ كِتابٍ بَيِّنٍ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وفَكَّرَ فِيه أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله أَنْزَلَهُ إِلَيْك وَلَمْ تَتَقَوَّلْهُ أَنْتَ وَلَا أحدٌ مِنْ خَلْقِه، إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ ذلك مَخْلُوقٌ وَلَوْ تظَاهَر مَعَهُ الجِنُّ والإِنْسُ[2].

[1] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج8/ص116. ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج24/ص467.

[2] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج19/ص118.

الأغراض البلاغية للآية:

يقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَلمَّا كَان فِي التَّنْكِير نَوْعٌ مِنَ الفَخَامَةِ، وَفِي التَّعْرِيف نَوْعٌ آخَرَ، وَكَان الغَرَضُ الجَمْعُ لِلْاِسْتِيعَاب الكَامِلِ؛ عَرَّف القُرْآنَ ونَكَّر الكِتَاب، وَقُدِّم المُعَرَّفُ لِزِيَادَةِ التَّنْوِيه، وَلمَّا عَقَبَهُ سُبْحَانَهُ بِالحَدِيث عنِ الخُصُوص هَاهُنا؛ قُدِّمَ كَوْنُه قُرْآناً، لأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى خُصُوصِ المُنَزَّل عَلى مُحَمَّدٍ –صلَّى اللهُ تَعَالى عَلَيْهِ وَسَلَّم–لِلْإِعْجَازِ"[1].

وَيَقُولُ صَاحِبُ "التَّحْرِير" فِي بَيَانِ سِرّ تَقْدِيم القُرْآنِ علَى الكِتَاب: "وَإِنَّما قُدِّم فِي هَذِه الآيَةِ (القُرْآن) وَعُطِفَ عَلَيْهِ (كِتَابٍ مُبِينٍ)؛ لِأَنَّ المَقَامَ هُنَا مَقَامُ التَّنْوِيه بِالقُرْآن وَمُتَّبِعِيه المُؤْمِنِين فَلِذَلِك وُصِفَ بِأَنَّهُ (هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِين)؛ أيْ بِأَنّهُم علَى هُدىً فِي الحَالِ وَمُبَشِّرُون بِحُسْنِ الاِسْتِقْبَال، فَكَان الأَهَمُّ هُنَا هُو اِسْتِحْضَارُهُ بِاسْمِه العَلَمِ المَنْقُول مِنَ مَصْدَرِ القِرَاءَة، لِأَنَّ القِرَاءةَ تُنَاسِبُ حَالَ المُؤْمِنِينَ بِه والمُتَقَبِّلِينَ لآيَاتِه فَهُم يَدْرُسُونَها، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ (كِتَابٍ مُبِينٍ) لِيَكُون التَّنْوِيهُ بِهِ جَامِعاً وَمُسْتَكْمِلاً لِلدِّلَالَةِ بِالتَّعْرِيف عَلَى مَعْنَى الكَمَالِ فِي نَوْعِهِ مِنَ المَقْرُوءَاتِ"[2].

إنَّ تَقْدِيمَ (القُرْآنِ) عَلى (كِتَابٍ) فِي هَذَا المَوْضِع جَاءَ لأنّ المَقَامَ يَقْتَضِي زِيَادَةَ التَّنْوِيه بِالقُرْآنِ؛ لأَنَّهُ هُوَ المَنْهَجُ الذِي كَانَ سَبَباً فِي هِدَايَةِ وَبِشَارَةِ المُؤْمِنِين، فَالآيَةُ التِي بَعْدَهَا: قَالَ تَعَالَى:﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ النمل: 02، خِلافاً لِمَا جَاءَ فِي مَطْلَعِ سُورَةِ الحِجْرِ: قَالَ تَعَالَى:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ الحجر: 02، فَاللّحاقُ فِي بِدَايَةِ السُّورَتَيْنِ لَهُ أَثَرُهُ فِي التَّقْدِيم والتَّأْخِير. وَذُكِرَ القُرْآنُ بِاسْمِهِ العَلَمِ فِي خِطَابِ المُؤْمِنِينَ، وَذُكِرَ بِوَصْفِهِ المَكْتُوبِ فِي خِطَابِ الكُفَّار مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِم، وَقَدْ فُسِّر الكِتَابُ المُبِينُ بِاللَّوْحِ المَحْفُوظِ، فَقُدِّمَ بِاعْتِبَارِ الوُجُودِ، وفُسِّر بِالتَّرَادُفِ فَكَانَ كَعَطْفِ البَيَانِ، فَالأَوَّلُ تَنْوِيهاً لِاشْتِقَاقِهِ بِمَعْنَى القِرَاءَةِ، لِلْحَثِّ عَلَى قِرَاءَتِهِ، والثَّانِي تَنْوِيهاً بِكَمَالِهِ وَتَمَيُّزِهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ المَقْرُوءَاتِ وَالمَكْتُوبَاتِ. وَالحَاصِلُ أَنَّ الأَهَمِّيَةَ فِي التَّقْدِيمِ رَتَّبَتْها آيَةُ اللّحَاقِ.

---

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج19/ص123.

[2] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج19/ص218.

الموضع الواحد والعشرون: تَقْدِيمُ الإِمْسَاءِ عَلَى الإِصْبَاحِ وَتَقْدِيمُ العَشِيّ عَلَى الإِظْهَارِ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الروم: 17-18.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ نَزِّهُوا الله سُبْحَانَهُ فِي وَقْتِ المَسَاءِ حِين إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَظَلَامِه، وَحِينَ الصَّبَاحِ حِينَ إِسْفَارِ النَّهَارِ بِضِيَائِه، وَاللهُ هُوَ المَحْمُودُ مِنْ جَمِيع خَلْقِهِ فِي السَّمَاواتِ مِنْ سُكَّانِها مِنَ المَلَائِكَة، وَفِي الأَرْضِ مِنْ أَهْلِهَا مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِهِ فِيها، كَمَا نَزِّهُوهُ وَقْتَ العَشِيّ حِينَ اِشْتِدَادِ الظَّلامِ، وَوَقْتَ الظَّهِيرَة حِينَ اِشْتِدَاد الضِّيَاءِ، وَتَخْصِيصُ هَذِهِ الأَوْقَاتِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِهَا لِمَا فِيها مِنَ التَّبَدُّلِ الظَّاهِر فِي أَجْزَاءِ الزَّمَنِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإِمَامُ الأَلُوسِي -رَحِمَهُ الله-: "قُدِّم الإِمْسَاءُ عَلَى الإِصْبَاحِ لِتَقَدُّم اللَّيْلِ وَالظُّلْمَة وقُدِّمَ العَشِيُّ عَلى الإِظْهَارِ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَة إِلَى الإِظْهَار كَالإِمْسَاء بِالنِّسْبَة إِلَى الإِصْبَاح"[2].

وفي قول صَاحِبُ "البَحْرِ" ما يبين كَلَامَ الإِمَامِ بِقَوْلِهِ: "وَقَدَّمَ الْإِمْسَاءَ عَلَى الْإِصْبَاحِ، وَقَابَلَ بِالْعَشِيِّ الْإِمْسَاءَ وَبِالْإِظْهَارِ الْإِصْبَاحَ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يُعْقَبُ بِمَا يُقَابِلُهُ، فَالْعَشِيُّ يَعْقُبُهُ الْإِمْسَاءُ وَالْإِصْبَاحُ يَعْقُبُهُ الْإِظْهَارُ"[3].

فَتَقْدِيمُ الإِمْسَاء عَلَى الإِصْبَاح جَارٍ عَلى عَادَةِ العَرَبِ فِي اِسْتِعْمَالِهم؛ فَهُم يَعْتَبِرُون اللَّيَالِي مبْدَأ عَدَدِ الأَيَّامِ، وَقَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: 40، فَالاِنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى أُخْرَى يَبْدَأُ أَوّلاً مِنَ الاِنْتِقَال مِنَ الضِّياءِ إِلَى الظَّلَامِ في المَسَاء، ثُمَّ يَشْتَدُّ الظَّلامُ وَهُوَ العَشِيُّ، ثُمَّ يَطْلُعُ الفَجْرُ وهُوَ الإِصْبَاحُ، ثُمَّ يَشْتَدُّ الضِّيَاءُ وَهُوَ الإِظْهَارُ عَلَى هَذا التَّرْتِيب، فكَانَ فِي الآيَةِ لَفٌّ وَنَشْرٌ

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج21/ص35.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج20/ص429-430.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج8/ص381.

مُرَتَّبٌ وَقُدْرَةُ الله تَظْهَرُ فِي الإمْسَاءِ وَالإصْبَاحِ فِي آيَتَيْ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، فَنَاسَبَهَا التَّسْبِيحُ. وَنِعَمُ الله وَأَرْزَاقُهُ الحِسِّيَّةُ وَالمَعْنَوِيَةُ تَتَجَلَّى وَتُسَاقُ فِي الإظْهَارِ وَالعَشِيّ.

الموضع الثاني والعشرون: تَقْدِيمُ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ والشَّمْسِ عَلَى القَمَرِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ لقمان: 29.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ أَلَمْ تُشَاهِد أيُّها النَّاظِر بِعَيْنَيْكَ أنَّ الله يَزِيدُ مَا نَقُصَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَات النَّهَار، وَيَزِيدُ مَا نَقُصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَار في سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَهَذَا بَيْنَ فَصْلَيْ الصَّيْفِ والشِّتَاءِ وَسَخّر الشَّمْسَ وَالقَمَر لِمَصَالِح خَلْقِهِ وَمَنَافِعِهِم، وَ كلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي بِأَمْرِهِ إلَى وَقْتٍ معْلُومٍ وَأَجَلٍ مُحَدَّدٍ، وَأنَّ الله بِأَعْمَالِكُم مِنْ خيْرٍ وَشَرّ خَبِيرٌ بِهَا، لَا تَخْفَى عَلَيْه خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهَا، وَهُو مُجَازِيكُم بِهَا[1].

الأغراض البلاغية للآية:

قَالَ الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "قُدِّم اللَّيْلُ عَلى النَّهَار لِمُنَاسَبَتِه لِعَالَمِ الإمْكَان المُظْلِمِ مِنْ حَيْثُ إمْكَانِه الذَّاتِي، وَفِي بَعْضِ الآثَارِ كَان العَالَمُ فِي ظُلْمَةٍ فَرَشَّ اللهُ تَعَالى عَلَيْهِم مِنْ نُورِهِ. وَقَدَّم الشَّمْسَ عَلَى القَمَرِ مَعَ تَقْدِيم اللَّيْل الذِي فِيه سُلْطَانُ القَمَرِ عَلَى النَّهَارِ الذِي فِيه سُلْطَانُ الشَّمْسِ؛ لِأَنَّهَا كَالمَبْدَأ لِلْقَمَرِ، وَلِأَنَّ تَسْخِيرَهَا لِغَايَةِ عِظَمِها أعْظَمُ مِنْ تَسْخِير القَمَرِ وأيضاً آثَارُ ذَلِك التَّسْخِير أَعْظَمُ مِنْ آثارِ تَسْخِيرِه، وَكُلُّ ذَلِك لِأَنّ الأَنْفُسَ تَطْلُبُ سَبَبَ المُقَدَّم أَكْثَرَ مِمَّا تَطْلُبُ سَبَبَ المُؤَخّر، وبيَّنَ ذلك بِمَا بَيَّنَ"[2].

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج21/ص96.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج21/ص90.

وَيقُولُ "بن عَاشُور" فِي سرّ تَقْدِيم اللَّيْلِ عَلَى النَّهارِ: "وَالِابْتِدَاءُ باللَّيْل لِأَنَّ أَمْرَهُ أَعْجَبُ كَيْفَ تُغَشِّي ظُلْمَته تِلْكَ الأَنْوَار النَّهَارِيَّة، وَالجَمْعُ بَيْنَ إيلَاجِ اللَّيْلِ وَإيلاجِ النَّهَارِ لِتَشْخِيصِ تَمَام القُدْرَةِ بِحَيْثُ لَا تُلازِمُ عَمَلاً مُتَمَاثِلاً"[1].

أمَّا عَنْ سِرّ تَقْدِيم الشَّمْسِ عَلَى القَمَر، فَيَقُول صَاحِبُ "مَفَاتِيحِ الغَيْبِ": "قَدَّمَ الشَّمْسَ عَلَى الْقَمَرِ مَعَ تَقَدُّمِ اللَّيْلِ الَّذِي فِيهِ سُلْطَانُ الْقَمَرِ عَلَى النَّهَارِ الَّذِي فِيهِ سُلْطَانُ الشَّمْسِ؛ لِمَا بَيَّنَّا أَنَّ تَقْدِيمَ اللَّيْلِ كَانَ لِأَنَّ الْأَنْفُسَ تَطْلُبُ سَبَبَهُ أَكْثَرَ مِمَّا تَطْلُبُ سَبَبَ النَّهَارِ وَهَاهُنَا كَذَلِكَ، لِأَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا كَانَتْ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ كَانَتْ أَعْجَبَ، وَالنَّفْسُ تَطْلُبُ سَبَبَ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ أَكْثَرَ مِمَّا تَطْلُبُ سَبَبَ الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَكُونُ عَجِيبًا"[2].

إنَّ تَقْدِيمَ اللَّيْلِ عَلى النَّهَار جَاءَ لِلتَّعْجِيب، لأنَّ آيَة اللَّيْلِ سَابِقَةٌ لِآيَة النَّهَار كمَا جَاء فِي الأَثَرِ، ثُمَّ إنَّ العَجَائِبَ والتَّنَزُّلَات العُلْوِيَة وَالسُّفْلِيَة منَ الخَيْرِ والشَّر تَكُونُ فِي اللَّيْلِ أكثَر مِنْهُ في النَّهَارِ، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ القدر: 01، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ الفلق: 03، وَآيَةُ الشّمْسِ أعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ آيَةِ القَمَرِ، وُجُرْمُها أَكْبَرُ وَأَثَرُهَا فِي الوُجُودِ أعْظَمُ والنُّورَ الذِي فِي القَمَرِ مُسْتَمَدٌّ مِنْ نُور الشَّمْسِ، وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى ذَلِكَ أنَّ الشَّرْعَ شَرَّعَ لَنَا سُنَّةً مُؤَكَّدَةً بِهَيْئَةِ صَلَاةٍ مَخْصُوصَةٍ فِيهَا رُكُوعَان لِكُلِّ رَكْعَةٍ، هِيَ مِنْ أَطْوَلُ النَّوَافِلِ عِنْدَ ذَهَابِ نُورِ الشَّمْسِ، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ عِنْدَ ذَهَابِ نُور القَمَرِ. هَذَا مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى أنَّ آيَة الشَّمْسِ هِيَ أعْظَمُ مِنْ آيَةِ القَمَرِ، فَلِذَلِكَ تُقَدَّمُ.

الموضع الثالث والعشرون: تَقْدِيمُ الأَعْمَى عَلَى البَصِير، والظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ، والظِّلِّ عَلَى الحَرُورِ، والأَحْيَاءِ عَلَى الأَمْوَاتِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ ﴾ فاطر: 19-22.

---

[1] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج21/ص185.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج25/ص130.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى عَنْ دِين الله الذِي اِبْتُعِثَ بِه نَبِيُّه صَلّى الله علَيْهِ وَسَلَّم، وَالبَصِيرُ الذِي قَدْ أبْصَر فِيه رُشْدَهُ فاتَّبَع مُحَمَّداً –صلَّى الله عَلَيْه وَسَلّم– وَصَدَّقَهُ، وَقَبِل مِنَ الله مَا اِبْتَعَثَهُ بِهِ، وَمَا تَسْتَوِي ظُلُمَاتُ الكُفْرِ وَنُورُ الإيمَانِ، وَلَا الثَّوابُ وَالعِقَابُ، ومَا يَسْتَوِي أحْيَاءُ القُلُوبِ بالإيمَان بِالله وَرَسُولِهِ وَمَعْرِفَةِ كِتَابِه وتَنْزِيلِه، وَأَمْوَاتُ القُلُوب بِغَلَبَةِ الكُفْرِ عَلَيْهَا حَتّى صَارَت لَا تَعْقِل عَنْ الله أمْرَهُ ونَهْيَه، وَلَا تُفَرّق بَيْنَ الهُدَى والضَّلَالِ، وَكُلُّ هَذِه أمْثَالٌ ضَرَبَهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِ والإيمَانِ، وَالكَافِرِ وَالكُفْرِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وقُدِّم الأَعْمَى عَلى البَصِير مَعَ أنَّ البَصِيرَ أشْرَفُ لِأَنَّهُ إشَارةٌ إلَى الكَافِرُ، وَهُوَ مَوْجُود قَبْلَ البِعْثَة والدَّعْوَةِ إلَى الإيمَانِ، وَلِنَحْوِ هذا قَدَّمَ الظُّلمَاتِ على النُّورِ، فَإنّ البَاطِلَ كَانَ مَوْجُوداً فَدمَغَهُ الحَقُّ بِبِعْثَتِه عَليه الصّلَاةُ والسَّلامُ، وَلَمْ يُقَدَّم الحَرُورُ عَلى الظِّل لِيَكُون علَى طَرْزِ مَا سَبَقَ مِنَ تَقْدِيم غيْرِ الأَشْرَفِ؛ بَلْ قُدَّم الظِّلُّ رِعَايةً لِمُنَاسَبَتِه لِلْعَمَى والظُّلمة مِنْ وَجْهٍ، أَوْ لسِبْقِ الرَّحْمَة، مَع مَا فِي ذَلِك مِنْ رِعَايَةِ الفَاصِلَة، وَقَدَّم الأَحْيَاء عَلى الأَمْوَاتِ وَلَمْ يَعْكِس الأَمْرَ لِيُوَافِقَ الأَوَّلَيْن فِي تَقْدِيم غيْرِ الأشْرَفِ، لِأَنَّ الأَحْيَاءَ إشَارةٌ إلَى المُؤْمِنِين بَعْدَ الدَّعْوَة، والأمْوَاتَ إشارةٌ إلى المُصِرّين عَلى الكُفْرِ بَعْدَهَا، وَقِيل قُدِّمَ مَا قُدِّم فِيما عَدَا الأَخِير لِأَنَّهُ عَدَمٌ وَلَهُ مَرْتَبَةُ السّبْقِ"[2].

وَفِي كَلَام الإمَامِ مَا يَشْرَحُ قَوْلَ "الرّازي" حِين قَالَ: "وَقُدِّمَ الْأَشْرَفُ فِي مَثَلَيْنِ، وهو الظِّل والحرُّ وَأُخِّرَ فِي مَثَلَيْنِ، وَهُمَا الْبَصِيرُ وَالنُّورُ، وَكَان الناس قَبْلَ الْمَبْعَثِ فِي ضَلَالَةٍ فَكَانُوا كَالْعُمْيِ، وَطَرِيقُهُمُ الظُّلْمَةُ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ وَاهْتَدَى بِهِ قَوْمٌ صَارُوا بَصِيرِينَ وَطَرِيقُهُمُ النُّورُ وَقَدَّمَ مَا كَانَ مُتَقَدِّمًا مِنَ الْمُتَّصِفِ بِالْكُفْرِ وَطَرِيقَتهُ عَلَى مَا كَانَ مُتَأَخِّرًا مِنَ الْمُتَّصِفِ بِالْإِيمَانِ وَطَرِيقَتِهِ، ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ الْمَآلَ وَالْمَرْجِعَ؛ قَدَّمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْغَضَبِ، فَقَدَّمَ

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج22/ص122.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج22/ص209.

الظِّلَّ عَلَى الْحَرُورِ وَقَدَّمَ الْأَعْمَى عَلَى الْبَصِيرِ لِوُجُودِ الْكُفَّارِ الضَّالِّينَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُهْتَدِينَ بَعْدَهَا"[1].

إنَّ تَقْدِيمُ الأعمى عَلى البَصير والظُّلْمَة عَلى النُّور هُوَ مِنْ قَبِيل تَقْدِيم الأَسْبَقِ فِي الوُجُود أَوْ لِكَثْرَتِهِم وأَغْلَبِيَّتِهِم، إذِ الكَافِرُ فِي الأَرْضِ أَكْثَرُ مِنَ المُؤْمِنِ، والجُهَلاءُ أَكْثَرُ مِنَ العُلَمَاء وَأَهْلُ البَاطِلِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ، لَكِنَّ عَوَاقِبَ ونَتَائِجَ الأعْمَالِ شَتَّانَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ فَقُدِّمَ مَالَهُ الشَّرَفُ وَمَالَهُ الفَضْلُ، وَهُوَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ فِي الجَنَّةِ والثَّوَابِ الجَزِيلِ جزَاءَ المُؤْمِنِينَ والحَيَاة الحَقِيقِيَّة التِي حَيَوْهَا عِنْدَ الإسْتِجَابَة لله وَرَسُولِه، وَبَيْنَ عَاقِبَة الكُفَّار الوَخِيمَة التِي هِيَ الحَرُورُ فِي حَرِّ نَارِ جَهَنَّم، وَمَوْتِ القُلُوبِ الذِي رَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِم، فَأُخِّرَ ذِكْرُ نَتَائِج أَعْمَالِهِم لِأَنَّهَا ذُنُوبٌ صَيَّرتِ الوَاحِدَ مِنْهُم ذَنَباً مُؤَخّراً.

الموضع الرابع والعشرون: تَقْدِيمُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ عَلى المُقْتَصِدِ وَتَأْخِير السَّابِقِ بِالخَيْرَاتِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ فاطر: 32.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ أَوْحَيْنَا إلَيْك القُرْآنَ ثُمَّ أَوْرَثْنَاهُ مَنْ اِصْطَفَيْنَا مِنْ عبَادِنَا، وَهُم هَذِه الأُمَّةُ التِي هيَ خَيْرُ الأُمَمِ بِشَهَادَةِ الكِتَاب، وَجَعَلْنَاهُم أَقْسَاماً ثَلَاثَةً: ظَالِمٌ لِنَفْسِه؛ مُفَرِّطٌ فِي فِعْلِ بَعْضِ الوَاجِبَات مُرْتَكِبٌ لِبَعْضِ المُحَرَّمَات. مُقْتَصِدٌ مُؤَدٍّ لِلْوَاجِبَات؛ تَارِكٌ لِلْمُحرَّمَات، تَقَعُ منْهُ تَارةً بَعْضُ الهَفَوَاتِ وَحِيناً يَتْرُكُ بَعْضَ المُسْتَحْسَنَاتِ. سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله؛ يَقُومُ بِأَدَاءِ الوَاجِبَاتِ والمُسْتَحَبَّات وَيَتْرُكُ المُحَرَّمَاتِ وَالمَكْرُوهَاتِ وَبَعْض المُبَاحَاتِ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "رَتَّبَ هَذِه الثَّلاثَةَ هَذا التَّرْتِيبَ لِيُوافِقَ حَالُهُم فِي الذِّكْرِ بِالنِّسْبَةِ إلَى مَا وُعِدُوا بِه مِنَ الجَنَّاتِ فِي قَوْلِه سُبْحَانَهُ (جَنَّاتُ عَدْنٍ) حَالَهُم فِي الحَشْرِ عِنْدَ

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج26/ص233. ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9/ص26.

[2] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج22/ص130.

تحَقَّقُ الوَعْدِ، فَأُخِّر السَّابِقُ الدَّاخِلُ فِي الجِنَان أوّلاً لِيَتَّصِل ذِكْرُه بِذِكْرِ الجَنَّات المَوْعُود بِهَا وذَكَرَ قَبْلَهُ المُقْتَصِد وَجَعَل السَّابِقَ فَاصِلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنَّات، لِأَنَّهُ إنَّمَا يَدْخُلُها بَعْدَهُ، فيَكُونُ فَاصِلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَها فِي الدُّخُول، وَذَكَر قَبْلَهُمَا الظَّالِم لِنَفْسِه لِأَنَّهُ إنَّمَا يَدْخُلُها وَيَتَّصِلُ بِهَا بَعْدَ دُخُولِهِمَا فَتَأْخِير السَّابِقِ فِي المَعْنَى تَقْدِيمٌ، وَتَقْدِيم الظَّالِم فِي المَعْنَى تَأْخِيرٌ"[1].

وقَالَ صَاحِبُ "الكَشَّافِ" فِي بَيَانِ غَرَضِ تقْدِيم الظَّالِم علَى المُقْتَصْد وتأْخِيرِ السَّابِقِ بالخَيْرَاتِ عَنْهُما: "فإنْ قُلْتَ لِمَ قدَّم الظَّالِم؟ ثمَّ المُقْتَصِدَ؟ ثُمَّ السَّابِق؟ قُلْتُ: لِلْإِيذَانِ بِكَثْرَةِ الفَاسِقِينَ وَغَلَبَتِهِم، وَأَنَّ المُقْتَصِدِين قَلِيلٌ بِالإِضَافَة إلَيْهِم وَالسَّابِقُون أَقَلُّ مِنَ القَلِيل"[2].

إنَّ تقْدِيمَ الظَّالِم عَلى المُقْتَصِد جَاءَ لِغَرَضِ تَعْجِيل المَسَرَّة فِي نفْسِهِ، وَأنْ لَا يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَأَنَّهُ إنَّمَا أخَّرَ السَّابِقَ بِالخَيْرَات لكَيْلا يُعْجَبَ بِحَالِهِ وَكَثْرَةِ أَعْمَالِه، أَوْ هُوَ مِنْ بَابِ تَقْدِيم الأَكْثَر عَلى الأقَلّ، فالظَّالِمُونَ أكْثَرُ عَدَداً مِنَ المُقْتَصِدِين، وَمِنْ بَعْدِهِم السَّابِقُونَ بالخَيْرَاتِ بِدَرَجَةٍ أَقَلّ، أو –عَلى حَدِّ قَوْلِ الإمَامِ– فَإِنَّ تأخِيرَ السَّابِقِ لِكَيْ يَتَّصِلَ ذِكْرُهُ بِذِكْرِ الجِنَانِ فِي الآيَةِ التِي بَعْدَهَا، وَجَعَل بَيْنَ المُقْتَصِد والجِنَانِ فَاصِلاً هُوَ السَّابِقُ، وَقدَّم الظَّالِمَ لأَنَّهُ يَدْخُلُهَا بَعْدَ دُخُول المُقْتَصِد والسَّابِق، فَكِلَاهُمَا أسبق إلى الجِنَانِ مِنْهُ، لِأَنَّ قُرْبَهُمَا فِي اللَّفْظِ دَلَّ عَلَى سَبْقِ دُخُولِهِمَا إلَيْهَا، وَتَأَخُّرُ الظَّالِمِ عَنْهَا لأَنَّهُ سَيَدْخُلُهَا بَعْدَهُم. فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى المِنْبَرِ بَعْدَ قِرَاءتِه لِهَذِهِ الآيَة قَالَ: قَال رَسُول الله صَلَّى الله عليه وسَلَّم: "سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ"[3]. وَرُوِيَ عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ: "أَنَّ السَّابِقَ يَدْخُلُ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ، والمُقْتَصِدُ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ثُمَّ

[1] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج22/ص234.

[2] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج3/ص613.

[3] سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت 227هـ)، ط2/ 1403هـ – 1982م، الدار السلفية – الهند، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الجهاد في سبيل الله عز وجل، رقم الحديث: 2308، ج2/ص151.

يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وأمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِه فَيُحْبَسُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ لَا يَنْجُو، ثُمَّ تَنَالُهُ الرَّحْمَةُ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ"[1].

الموضع الخامس والعشرون: تَقْدِيمُ الإِنَاثِ عَلَى الذُّكُورِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الشورى: 49.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ إنَّهُ خَالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَالِكُهما والمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، فَمَا شَاءَ كَان وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَهُو يُعْطِي مَنْ يَشاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ، يَخْلُقُ مَا يَشاءُ فَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاء البَنَاتِ فحَسْب وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ البَنِين فَحَسْب، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكر والأُنْثَى، وَفِي هَذا إيمَاءٌ إلَى أنَّ المُلْكَ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ وَلَا مُشَارِكٍ، يتَصَرَّفُ فِيه كَيْفَ يَشَاءُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ أوْ يُدَبِّر بِحَسَبِ هَوَاهُ، وَتَصَرُّفُه لَا يَكُون إلاَّ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وأتمّ نظامٍ[2].

الأغراض البلاغية للآية:

قَالَ الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "قَدَّمَ الإنَاثَ تَوْصِيَةً بِرِعَايَتِهنّ لِضُعْفِهِنَّ، لَا سِيَمَا وَكانُوا قَرِيبي العَهْدِ بالوَأْدِ، أَوْ قُدِّمت لِأَنَّها أَكْثَرُ لِتَكْثِير النَّسْلِ، فَهِيَ منْ هَذا الوَجْهِ أَنْسَبُ بِالخَلْقِ المُرَاد بَيَانُه، أوْ لِتَطْيِيبِ قُلُوب آبَائِهِنَّ لِمَا فِي تَقْدِيمِهِنَّ مِنَ التَّشْرِيف، لأَنَّهُنَّ سَبَبٌ لِتَكْثِير مَخْلُوقَاتِه تَعَالى، أو قُدِّمت وَأَخَّرَ الذُّكُور مُعَرَّفًا لِلْمُحَافَظةِ عَلى الفَوَاصِل"[3].

وقال "أبو حيّان" عن سِرِّ تَقْدِيم الأُنْثَى عَلَى الذَّكَرِ فِي هَذِه الآيَةِ: "وَقَدَّمَ تَعَالَى هِبَةَ الْبَنَاتِ تَأْنِيسًا لَهُنَّ وَتَشْرِيفًا لَهُنَّ، لِيُهْتَمَّ بِصَوْنِهِنَّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ"[4].

---

[1] ذكره القرطبي في تفسيره، ج14/ص351، ورواه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث:3592، ج2/ص426.

[2] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج25/ص62.

[3] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج13/ص53.

[4] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ج9/ص348.

وَذَكَرَ "الزَّمَخْشَرِيُّ" غَرَضاً آخرَ لِتَقْدِيم الإِنَاثِ عَلى الذُّكُور، فَنَجِدُه يَقُول: "فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَدَّمَ الإِنَاث أوّلاً علَى الذُّكورِ مَعَ تَقَدُّمِهِم عَلَيْهِنّ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُ ذَكَرَ البَلاءَ فِي آخِرِ الآيَة وَكُفْران الإِنْسَانِ بِنِسْيَانِه الرَّحْمَة السَّابِقَة عِنْدَهُ، ثُمَّ عَقَبَهُ بِذِكْرِ مُلْكِهِ ومَشِيئَتِه وذَكَر قِسْمَة الأَوْلاد فَقَدَّم الإِنَاث، لِأَنَّ سِيَاق الكَلامِ أَنَّهُ فَاعِلٌ مَا يَشَاؤُهُ لَا مَا يَشَاؤُهُ الإِنْسَان، فَكَان ذِكْرُ الإِنَاثِ اللَّاتِي مِنْ جُمْلَة مَا لَا يَشَاؤُهُ الإِنْسَان أَهَمُّ، والأَهَمُّ وَاجِبُ التَّقْدِيم"[1].

وَعَلَيْهِ فَإِنّ تَقْدِيم الإِنَاثِ عَلى الذُّكُور جَاءَ لِبَيَانِ غَرَضِ الاِهْتِمَام بِهِنَّ، وتَشْرِيفِهِنَّ، وكَذَا تَأْنِيسًا لَهُنَّ، أوْ لِأَنَّه أكْثَرُ عَدَداً مِنَ الذُّكُور فِي الخَلْقِ لتكثير النَّسْلِ، أَوْ قُدِّمُوا لِلْمُحافَظَة عَلَى الفَوَاصِل كَمَا أَشَار الإِمَامُ –رَحِمَهُ اللهُ–. والخُلاصَة أنَّ التّقديم للاِهْتِمَام والتشريف من عدَّة وجوهٍ، وقد ذُكِرَ الذكور معرَّفاً جَبْراً للتَّأْخِير، والذي قدَّم الإناث في الذِّكر سبحانه وتعالى هو الذي يفعلُ ما يشاءُ، ولا يقع في الوجود إلَّا ما كان موافقاً لمرادهِ، لا لمراد المخلوق الذي هو للذكور في غالب الأميل.

الموضع السادس والعشرون: تَقْدِيمُ تَعْلِيم القُرْآنِ عَلَى خَلْقِ الإِنْسَانِ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: 1-4.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ أنَّ الله سُبْحَانُه وَتَعَالى عَلَّمَ مُحَمَّداً –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– القُرْآنَ، وَلَمَّا كَانت هَذِه السُّورَة لِتَعْدِيد نِعَمِهِ التِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عِبَادِه، ذَكَر النِّعْمَة التِي هِيَ أَجَلُّهَا قَدْراً وَأَكْثَرُهَا نَفْعاً وَأتمُّها فَائِدَةً، وَهِيَ نِعْمَةُ تَعْلِيم القُرْآنِ الكَرِيم، فَبِإِتّبَاعِهِ تَكُونُ سَعَادَةُ الدَّارَيْن، وقَدْ نَزَلَ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّة، ثُمَّ اِمْتَنَّ بَعْدَ هَذِهِ النِّعَم بِنِعْمَةِ الخَلْقِ التِي هِيَ مَنَاطُ كُلِّ الأُمُور وَمَرْجِعُ جَمِيع الأَشْيَاء فَخَلقَ هَذَا الجِنْس وَعَلَّمَهُ التَّعبِير عَمَّا يَخْتَلِجُ بِخَاطِرِه وَيَدُورُ بِخَلَدِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا عَلَّمَ مُحَمّدٌ القُرْآنَ لِأُمَّتِهِ، وَلمّا كَانَ الإِنْسَانُ مَدَنِياً بِطَبْعِه لَا يَعِيشُ إلاّ مُجْتَمِعاً بِسَوَاهُ؛ كَان لَا بُدَّ لَهُ

[1] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج4/ص232.

مِنْ لُغَةٍ يَتَفَاهَمُ بِهَا مَعَ سِوَاهُ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَيَكْتُبُ إِلَيْهِ فِي الأَقْطَارِ النَّائِيَة، وَالبِلَادِ النَّازحة وَيَحْفَظُ عُلومَ السَّلَفِ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الخَلَفُ، وَيَزِيدُ فِيها اللَّاحِقُ، عَلَى ما فَعَلَ السَّابِقُ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "ثُمَّ أَتْبَعَ سُبْحَانَهُ نِعْمَة تَعْلِيمِ القُرْآن بِخَلْقِ الإنْسَانِ فَقَال تَعَالى: (خَلَقَ الْإِنْسانَ) لأنَّ أَصْلَ النِّعَمِ عَلَيْهِ، وإنَّمَا قُدِّمَ مَا قُدِّم مِنْهَا لِأَنَّهُ أَعْظَمُها، وَقِيلَ لِأَنَّهُ مُشِيرٌ إلَى الغَايَةِ مِنْ خَلْقِ الإنْسَانِ وَهُوَ كَمَالُهُ فِي قُوَّةِ العِلْمِ، والغَايَةُ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى ذِي الغَايَة هُنَا، وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ بِالعَكْسِ خَارِجاً، ثُمَّ أَتْبَع عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ بِنِعْمَةِ تَعْلِيم الْبَيانَ"[2].

وَذَكَرَ "الرَّازِي" غَرَضاً آخَرَ لِتَقْدِيم التَّعْلِيم عَلَى الخَلْقِ، فَقَالَ: "فِي وَجْهِ التَّرْتِيبِ وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ (عَلَّمَ)؛ أَيْ عَلَّمَ الْمَلَائِكَةَ، وَتَعْلِيمُهُ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَعَلَّمَ تَعَالَى مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ الْقُرْآنَ حَقِيقَةً، وَعَلَى هَذَا فَفِي النَّظْمِ حُسْنٌ زَائِدٌ وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أُمُورًا عُلْوِيَّةً وَأُمُورًا سُفْلِيَّةً، وَكُلُّ عُلْوِيٍّ قَابَلَهُ بِسُفْلِيٍّ، وَقَدَّمَ الْعُلْوِيَّاتِ عَلَى السُّفْلِيَّاتِ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ، فَقَالَ: (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) إِشَارَةً إِلَى تَعْلِيمِ الْعُلْوِيِّينَ، وَقَالَ: (عَلَّمَهُ الْبَيانَ) إِشَارَةً إِلَى تَعْلِيمِ السُّفْلِيِّينَ، وَثَانِيهِمَا: أَنَّ تَقْدِيمَ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِ أَتَمَّ نِعْمَةٍ وَأَعْظَمَ إِنْعَامًا"[3].

إنَّ تَقْدِيم تَعْلِيم القُرْآنِ عَلَى خَلْقِ الإنْسَانِ وإتْبَاعِهِ بِتَعْلِيمِه البَيَان لَهُ أَغْراضٌ عَدِيدَةٌ، وَمِنْهَا أَنَّهُ تَعَالى عَدَّدَ نِعَمَهُ؛ فأَرَادَ أَنْ يُقدِّم أَوَّلَ شَيْءٍ مَا هُوَ الأَسْبَقُ الأَقْدَمُ مِنْ أَصْنَافِ نَعْمَائِهِ فَرَتَّبَهَا عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهَا: فَقَدَّم إنْعَامَهُ بِالقُرْآنِ وَتَنْزِيلِهِ وَتَعْلِيمِه، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ وَحْيِ الله رُتْبَةً، وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً، وَأَخَّر ذِكْرَ خَلْقِ الإنْسَانِ عنْ ذِكْرِه، لِيَعْلَم أَنَّهُ إنَّمَا خَلَقَهُ مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَلَا تَتِمُّ هَذِهِ العِبَادَةُ إلاَّ بِكِتَابٍ يَهْدِي إلَيْهَا، فَكَان تَقْدِيمُ تَعْلِيم القُرْآنِ لِأَنَّهُ الوَسِيلَةُ التِي تُوصِلُ إلَى

---

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج27/ص106.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج26/ص243.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج29/ص337. ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج4/ص443. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج10/ص54.

العِبَادَةِ وكأنَّ الغَرَضَ فِي إنْشَائِهِ كَان مُقدّماً علَيْهِ وَسَابِقاً لَهُ، ثُمَّ ذكَرَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ عنْ سَائِر الحَيَوانِ مِنَ البَيَانِ، وَتَأْخِيرِه عَنْ خَلْقِ الإنْسَان لأنّ النُّطقَ بالفَصِيح يأتي بعد الخَلْقِ والوِلَادَةِ.

الموضع السابع والعشرون: تَقْدِيمُ التِّجَارَةِ عَلَى اللَّهْوِ:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الجمعة: 11.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ وإذَا رَأَى المُؤْمِنُونَ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَسْرَعُوا وَتَرَكُوك قَائِماً وَأَنْتَ تَخْطُب النَّاسَ، قُلْ لَهُمْ مُبيّنًا خَطَأَ مَا عَمِلُوا: مَا عِنْدَ الله مِمَّا يَنْفَعُكُم فِي الآخِرَة خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا يُفِيدُكُم فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّمَتُّعِ بِخَيْرَاتِها، وَكَسْبٍ لِذَاتِهَا، فَتِلْكَ بَاقِيَةٌ، وَهَذِهِ فَانِيَةٌ، فَإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فاسْعَوا، وَمِنْهُ فَأَطْلُبُوا الرِّزْقَ، وَلَنْ يُفَوِّتَكُم ذَلِكَ بِسَمَاعِ عِظَاتِهِ، فاللهُ كَفِيلٌ بِرِزْقِكُم، ولَنْ يَنْقُصَ بِتَرْكِكُم البَيْعَ والشِّرَاءَ حِين الصَّلاة، وَحِين سَمَاعِ العِظَاتِ والنَّصَائِح[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الأَلُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وَتَقْدِيمُ اللَّهْوِ لَيْسَ مِنْ تَقْدِيم العَدَمِ عَلى المَلَكَةِ كَمَا تُوُهِّمَ، بَلْ لِأَنَّهُ أَقْوَى مَذَمَّةً، فَنَاسَبَ تَقْدِيمُه فِي مَقَامِ الذَّمِّ"[2].

وَقَال "ابْنُ عَطِيَّة" فِي سَبَبِ تَقْدِيم التِّجَارَة عَلى اللهو: "قُدِّمَت التِّجَارَةُ مَعَ الرُّؤْيَة لِأَنَّهَا أَهمُّ وأُخِّرَت مَع التَّفْضِيل لِتَقَعَ النَّفْسُ أوَّلاً عَلى الأبْيَنِ"[3].

إنّ سِرَّ تَقْدِيم التِّجَارة علَى اللَّهْوِ هُنَا جَاءَ لِبَيَانِ أنَّها كَانَت عِنْدَهُم أَهمُّ، فَوَجَبَ تَقْدِيمُها، ثُمَّ تَأَخَّرَتْ عَنْهُ لِأَنَّهُ نَاسَبَ مَقَام الذَّمِّ –كمَا قَال الإمَامُ–لِأنَّ الخَسَارة فِيمَا لَا نَفْعَ فِيه أَعْظَمُ فَكَأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى قَدَّم الأَهَمَّ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ.

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج28/ص104.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج14/ص300.

[3] المحرر الوجيز، إبن عطية الأندلسي، مرجع سابق، ج5/ص284.

الموضع الثامن والعشرون: تَقْدِيمُ الفُجُورِ عَلَى التَّقْوَى:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾ الشمس: 7-8.

المعنى الإجمالي للآية:

أيْ قَسَماً بِالنَّفْسِ وَمَنْ سَوَّاهَا، وَرَكَّبَ فِيها قِوَاها البَاطِنَة والظَّاهِرَة، وحَدَّدَ لِكُلٍ مِنْهَا وَظِيفَةً تُؤَدِّيهَا، وَأَلَّفَ لَهَا الجِسْمَ الذِي تَسْتَخْدِمُه مِنْ أعْضَاءٍ قَابِلَةٍ لِاسْتِعْمَالِ تِلْكَ القِوَى، فَأَلْهَمَ لَهَا الفُجُورَ والتَّقْوَى وَعَرَّفَها حَالَهُمَا، بِحَيْثُ تُمَيِّزُ الرُّشْدَ مِنَ الغَيِّ، وَيَتَبيّنُ لَهَا الهُدَى مِنَ الضَّلالِ وَجَعَل ذَلِكَ مَعْرُوفاً لأُولِي البَصَائِرِ[1].

الأغراض البلاغية للآية:

يَقُول الإمَامُ الألُوسِي –رَحِمَهُ الله–: "وقدَّم الفُجُور عَلى التَّقْوَى لأنّ إلْهَامَهُ بِهَذا المَعْنَى مِنْ مَبَادِئ تجَنُّبِه وَهُوَ تَخْلِيةٌ، والتَّخْلِيَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلى التَّحْلِيَةِ، أَوْ قُدِّم مُرَاعَاةً لِلْفَوَاصِل"[2].

يَقُول صَاحِبُ "التَّحْرِير" فِي سِرِّ تَقْدِيم الفُجُورِ عَلى التَّقْوَى: "وتَقْدِيمُ الفُجُورِ عَلى التَّقْوَى مُرَاعَى فِيه أَحْوَال المُخَاطَبِين بِهَذِه السُّورَةِ وَهُمْ المُشْرِكُون، وأَكْثَرُ أَعْمَالِهِم فُجُورٌ وَلَا تَقْوَى لَهُمْ والتَّقْوَى صِفَةُ أَعْمَالِ المُسْلِمِينَ وَهُمْ قَلِيلٌ يَوْمَئِذٍ"[3].

إنّ تَقْدِيمَ الفُجُورِ علَى التَّقْوَى جَاء لِبَيَانِ كثرته، وسبقه إلى النّفس، فقد أُلْهِمَتْهُ قبل التقوى إذِ الفجور إطلاق العنان لها في تحقيق رغباتها ونزواتها دون قيدٍ ولا ضابطٍ، ذلك اِستعجالا منها للذات والمتع الفانية، وأمّا التقوى فلا تأتي إلّا بالمجاهدة والمعالجة للنفس، وكفّها وحَبْسِها، وهي أشقُّ وأثقلُ عليها، فقُدِّم الأخفُّ والأكثر على الأثقل والأقل. (اللَّهُم آتِي نُفُوسَنا تَقْوَاها، وَزَكِّها أنتَ خَيْرُ من زَكَّاها، أنتَ وَلِيُّها وَمَوْلَاهَا).

[1] تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج30/ص168.

[2] روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ج15/ص360.

[3] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج30/ص370.

وفي ختام هذا المبحث وبعد اِستقراء مواطن التقديم والتأخير التي ذكرت آنفاً، اِستنتجنا بأنّ الألوسي –رحمه الله تعالى–وافق من تقدّمه في الغالب فيما ذكروه من أغراض بلاغية للتقديم والتأخير، وهي لا تعدوا أن تكون إمّا للاِهتمام أو العناية والتخصيص غالباً، وقد تكون في بعض الأحايين للكثرة، أو السبق في الوجود، أو إدخال المسرة أو التشاؤم، أو لغرض التشريف. ولم يزد عليها بما رأيناه في بعض البحوث الاكاديمية الحديثة، والتي أوصلت الأغراض إلى نيّفٍ وثلاثين غرضاً.

خَـاتِـمَة

خَـــــاتِـمَـــــةُ

الحَمْدُ لله الذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجاً، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الذِي اِصْطَفَاهُ رَبُّهُ فَأَنْزَلَ عَلَيْه آخِرَ كُتُبِهِ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّين، أمَّا بَعْدُ: فِي خِتَام هَذا البَحْثِ اِسْتَطَعْنَا أنْ نَتَوَصَّلَ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ النَّتَائِجِ وَهِيَ كالآتِي:

أوّلاً: النَّتَائِج:

1) يُعْتَبَرُ الإِمَام الأَلُوسِي منْ أَجَلِّ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَةِ ورِجَالِها الذِينَ تَمَسَّكُوا واِعْتَنُوا بِخِدْمَةِ الكِتَابِ العَزِيز، كَمَا يُعَدُّ وَاحِداً مِنْ أَبْرَزِ المُفَسِّرِينَ الذِين ذَاعَ صَيْتُهم فِي شَتَّى العُلُومِ.
2) عُلُوُّ كَعْبِ الإِمَام الأَلُوسِي فِي الإِلْمَامِ بِجَمِيع العُلُوم المُخْتَلِفَة، فَنَرَاهُ فِي تَفْسِيرِه لِلْآيَاتِ القُرْآنِيَّة يَتَحَدَّثُ عَنْ جَمِيع الجَوَانِب المُتَعَلِّقَة بِهَا، فَيَذْكُر أَسْبَاب نُزُولِهَا وَيَخُوضُ فِي تَوْجِيهِهَا نَحْوِيّاً وَلُغَوِيّاً وَحَتَّى بَلَاغيّاً، كَمَا نَجِدُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَان يَتَجَاوَزُ الصَّفْحَتَيْنِ والثَّلاثَةِ في تَفْسِيرِه لِبَعْضِ الآيَاتِ التِي ذَكَرَتْ القَصَصَ القُرآنِي، وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى رُسُوخِ قَدَمِهِ وَقُوَّةِ عَارِضَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ وتَبَحُّرِهِ فِي شَتَّى فُنُونِ العِلْمِ.
3) كَمَا يَتَبَيّنُ لَنَا مَكَانَة الإِمَام الأَلُوسِي العِلْمِيَّة، مِنْ خِلَالِ تلْكَ المُؤَلَّفاتِ النَّفِيسَة التِي خَلَّفَهَا فِي جَمِيع المَجَالَات، وَأَهَمُّها كِتَابُهُ "رُوحُ المَعَانِي" والذِي اِخْتَرْنَاهُ كَمُدَوَّنَةٍ عَمَلِنَا عَلَيْها مَوْضُوعَ أُطْرُوحَتِنَا.
4) يُعْتَبَر تَفْسِيرُ الإِمَام الأَلُوسِي المُسَمَّى بِـ: "رُوحِ المَعَانِي" مِنْ أَهَمّ الكُتُبِ التَّفْسِيرِيَّة التِي جَمَعَتْ بَيْنَ أَهَمّ مَدْرَسَتَيْنِ فِي عِلْمِ التَّفْسِير؛ هُمَا مَدْرَسَةُ "الزَّمَخْشَرِي" التِي تَعْتَمِدُ عَلَى إِبْرَازِ الإِعْجَازِ البَلَاغِي، وَكَذَا مَدْرَسَةُ "أَبِي حَيَّان" التِي تَعْتَمِدُ عَلَى التَّوْجِيهَات النَّحْوِيَّة والقِرَاءَاتِ القُرْءَانِيَّة.

5) يُعَدُّ رُوحُ المَعَانِي مِنَ التَّفَاسِير الضَّخْمَةِ التِي شَمِلَتْ العُلُوم الشَّرْعِيَة مِنْ عَقِيدَةٍ وَفِقْهٍ وَتَوْجِيهَاتٍ لِلْقِرَاءَاتِ القُرْآنِيَة، مَعَ إبْرَازِهِ لِدَقَائِقِ وَخَفَايَا مَعَانِي الآيَات، وَإِظْهَار مَا فِيهَا مِنْ بَيَانٍ وَإِعْجَازٍ وَدَلَالَاتٍ وإشَارَاتٍ، واِهْتَمَّ اِهْتِمَاماً وَاسِعاً بِالعَرَبِيَّة لُغَةً وَنَحْواً وَصَرْفاً وَبَلَاغَةً مَعَ تَخْرِيجِ الأَقْوَالِ والاِخْتِلَافَاتِ، وَلَمَّا كَانَ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ –وَقَدْ قَالُوا المُتَأَخِّرُ أَدَقُّ نَظَراً– كَانَ تَفْسِيره بِدُونِ مُبَالَغَةٍ خُلَاصَةُ التَّفَاسِير التِي سَبَقَتْهُ مَعَ حَوَاشِيهَا. فَقَدْ اِجْتَمَعَ فِيه مَا تَشَتَّتَ فِي غَيْرِهِ.

6) تعْتَبَرُ البَلاغةُ عِلْماً قائِماً بأُصُولِهِ وقَوَاعِدِهِ وأَدَوَاتِهِ، كما لِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ، وَتَعَنِي الاِنْتِهَاءَ وَالوُصُول؛ أَيْ بَلَغَ الشَّيْءُ وَصَل النهاية، فَسُمِّيت البلاغةُ بلاغةً لأَنَّها تُنْهِي المَعْنَى إلى قَلْبِ السَّامع فَيَفْهَمُهُ، وتَنْقسم إلى ثَلاثَةِ أقسامٍ هي: عِلْمُ الَمعَاني، وَعِلْمُ البَدِيع وَعِلْمُ البَيَانِ.

7) إنَّ أَهَمَّ أَغْرَاضِ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ التِي جَاءَ بِهَا الأُسْلُوب القُرْآنِي كَانَت إمَّا للاِخْتِصَاصِ أَوْ الاِهْتِمَام، وَقَدْ يؤتى به لِلَمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَتَعْجِيل المَسَرَّة، كَمَا يُفِيدُ في بَعْضِ الحَالَات التَّعْمِيمَ والتَّشْوِيق، إلَّا أَنَّ أَكْثَر مَا اِتَّسَمَ بِهِ القُرْآنُ هُوَ جَانِبُ التَّخْصِيصِ والاِهْتِمَامِ.

8) اِعْتَنَى الإِمَامُ الأَلُوسِي بِظَاهِرَةِ التَّقْدِيم والتَّأْخِير فِي تَفْسِيرِه كمَا فَعَلَ مَعَ كُلِّ الظَّوَاهِر البَلَاغِيَّة وَغَيْرِهَا مِنْ عُلُوم اللُّغَةِ المُخْتَلِفَة، فَنَرَاهُ يَذْكُرُ التَّوْجِيهَاتِ النَّحْوِيَّة والدَّقَائِقِ اللُّغُوِيَة واللَّطَائِفِ والأَسْرَارِ البَيَانِيَة فِي هَذِهِ الظَّاهِرَة، وَيَسْتَخْرِجُ مِنْهَا الأَغْرَاضِ البَّلاَغِيَة، وَمِنْ خِلَال دِرَاسَتِنَا تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ كَثِيراً مَا كَانَ يَمِيلُ إلى الأغْرَاضِ التَّالِيَة: الاِخْتِصَاص الاِهْتِمَام. وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَمْ يُهْمِل الأغْرَاضَ الأُخْرَى كَالسِّبْقِ فِي الوُجُودِ، وَعُلُوّ الرُّتْبَةِ وَكَذَا التَّشْرِيفِ، وَتَعْجِيلِ المَسَرَّةِ وَالتَّشَاؤُم.

ثانياً: التوصيات:

1) ضَرُورَةُ الاِعْتِنَاء بِالكِتَابِ العَزِيزِ، وَدِرَاسَتِهِ مِنْ مُخْتَلَفِ جَوَانِبِه التَّفْسِيريَّة واللُّغَوِيَة، وَحَتَّى الجَوَانِبِ العِلْمِيَّة المُتَنَوِّعَةِ، فَهُوَ لَا شَكَّ بَحْرٌ هَائِلُ مِنَ الأَسْرَارِ وَالعُلُوم، يَنَالُ حَظاً مِنْهَا

المُتَأَمِّلِ المُتَدَبِّرِ، وَيَجِدُ كُلَّ طَالِبٍ ضَالَّتهُ، كَيْفَ لَا وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: 38.

2) كِتَابُ "رُوحِ المَعَانِي" مِنَ المَوسُوعَاتِ الثَّقَافِيَة الضَّخْمَة التِي يَنْبَغِي عَلى طَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَتَتَبَّعَ ثَنَايَاهُ مُحَاوِلاً فَهْمَ بَعْضِ مَعَانِيه، وَدِرَاسَتِهِ مِنْ كُلَّ الجَوَانِبِ العِلْمِيَّة، وَتَذَوُّقِ الأغْرَاضِ البَلاغِيَّة والفِقْهِيَّة والعَقَدِيَّة والتَّفْسِيرِيَّة مِنْهُ، وذَلِكَ لِفَهْمِ القُرْآن الكَرِيم الذِي يَصْنَعُ عُقُولَنَا وَيُزَكِّي نُفُوسَنَا وَيُحْيِي قُلُوبَنَا، وَيُهَذِّبُ أَخْلَاقَنَا، وَبِالجُمْلَة يَصْنَعُ شَخْصِيَّة المُؤْمِنِ الحَقّ وَبِهِ يِصْلُحُ الإنْسَانُ الذِي هُوَ سِرُّ صَلاحِ الزَّمَانِ والمَكَانِ.

3) الإِمَامُ الأَلُوسِي شَخْصِيَّةٌ عَالِمَةٌ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الكَلِمَةُ مِنْ دِلَالَةٍ، وَمَنْ سَرّهُ مِنْ طُلَّاب العِلْمِ أَنْ يَنْتَظِمَ فِي عَقْدِ العُلَمَاءِ فَلْيَحْذُوَ حَذْوَ هؤُلَاء الأَكَابِرِ، وَلْيَسْتَفِدْ مِنْ أَحْوَالِهِم وَأَقْوَالِهِم لِتَكُونَ عِنْدَهُ الهِمَّةُ التِي تُوصِلُه إِلَى القِمَّةِ، فَيَكُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّة، الوَارِثِينَ لِسَيِّدِ المُرْسَلِين مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

4) نُوصِي أَنْفُسَنا أَوَّلاً، وَمَنْ يَسْمَعُنَا وَيَبْلُغُه مَرْقُومُنا، بِأَنَّ إعجَازَ القُرْآنِ أَكْثَرُ مَا تَجَلَّى فِي عَرَبِيَّتِهِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَمِنْ ثَمَّ بَاتَ لِزَاماً عَلَى كلِّ دَارِسٍ لِعُلُومِ القُرْآنِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مُشَارَكَةٌ حَسَنَةٌ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا المُخْتَلِفَةِ، لِيَتَأَهَّل إِلَى دِلَالَةِ هَذَا الإعْجَازِ.

الفَهَارِسُ الْعَامَّةُ

قَـــائِـمَـةُ الْمَـــصَـادِرِ

وَالْمَـــرَاجِـــعِ

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أوّلاً: كتب الأحاديث والسنة:

1) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط2/1395هـ -1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -مصر.
2) أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران بن محمد بن بشْران بن مهران البغدادي (ت 430هـ)، ض: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، ط1/1418 هـ-1997 م، دار الوطن، الرياض.
3) شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2/1403هـ - 1983م، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.
4) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
5) المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2/1406 - 1986، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.
6) المستدرك على الصحيحين، أبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت405هـ)، ط1/1427هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
7) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، شعيب الأرناؤوط، ط2/ 1421 هـ -2001 م، مؤسسة الرسالة.

8) المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي (ت 249هـ)، تح: صبحي البدري السامرائي، ط1/1408 – 1988، مكتبة السنة القاهرة.
9) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي تح: عبد الرحمان عميرة، دار الجيل –بيروت –1992م.

ثانياً: كتب التفاسير:

1) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت دط/1420 هـ.
2) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الدار التونسية للنشر –تونس، دط/1984 هـ.
3) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب دط، 1990م.
4) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1/ 1365 هـ –1946 م.
5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي(ت1217–127هـ)، تح: ماهر حبوش، ساهم في تحقيقه: نجم الدين السبعاوي، ط1/1431هـ–2010م مؤسسة الرسالة، بيروت.
6) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت817هـ)، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط8/1426هـ–2005م، بيروت، لبنان.
7) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي –بيروت، ط3/1407 هـ.

8) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تح: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية، لبنان، ط1/ 1413هـ 1993م.

9) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3/1420 هـ.

10) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2/1384هـ -1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة.

11) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت 741هـ) تص: محمد علي شاهين، 1415 هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

12) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2/1384هـ -1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة.

ثالثاً: كتب علوم القرآن:

1) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ -1974م.

2) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، دط، دار الحديث، مصر 2006.

3) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، تح: محمد علي النجار، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة/ 1416هـ-1996م.

4) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

5) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة بيروت.
6) المناسبة في القرآن، مصطفى شعبان عبد الحميد، ط2007/1م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
7) القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، محمد محمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط/1412هـ.

رابعاً: كتب اللغة والنحو:

1) الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تح: غازي مختار طليمات، مجمع اللغة العربية، دمشق.
2) التراكيب الإسنادية، علي أبو المكارم، ط2007/1م، مؤسسة المختار، القاهرة.
3) الجملة الاِسمية، علي أبو المكارم، ط2007/1م، مؤسسة المختار بالقاهرة.
4) الجملة الفعلية، علي أبو المكارم، ط2007/1م، مؤسسة المختار، القاهرة.
5) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت395هـ) تح: محمد علي بيضون، ط1418/1هـ-1997م.
6) قصة الإعراب، إبراهيم قلاتي، دط/2006م، دار الهدى، عين مليلة بالجزائر.
7) قضايا المفعول به عند النحاة، محمد أحمد خيضر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2003م.
8) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين اِبن منظور الأنصاري(ت711هـ)، ط1414/3هـ، دار صادر، بيروت.
9) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، ط1429/1هـ-2008م، عالم الكتب.
10) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف علي السَّكَّاكِي، ضبطه: نعيم زرزور، ط1983/1م دار الكتب العلمية، لبنان.

11) الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، القاهرة، دط، دت.
12) النحو الوافي، عباس حسن، ط3/دار المعارف، مصر، دت.
13) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: 769هـ) ط1400/20 هـ -1980 م، دار التراث -القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.
14) ألفية بن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، دار التعاون دط، دت.

خامساً: كتب البلاغة:

1) التقديم والتأخير في المثل العربي، غادة أحمد البواب، دط/2011، وزارة الثقافة بعمان.
2) جواهر البلاغة في البيان والبديع والمعاني، أحمد الهاشمي، ضبطه: يوسف الصميلي المكتبة العصرية، بيروت.
3) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ضبطه: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
4) دروس في البلاغة العربية، الأزهر الزناد، ط1992/1م، المركز الثقافي، بيروت.
5) دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، علي أبو القاسم عون، ط2006/1م، دار المدار الإسلامي، بيروت.
6) دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود الميسري، تقديم: عبد العظيم المطعني، ط2005/1م، مكتبة وهبة، مصر.
7) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود أحمد شاكر، ط2004/5م مكتبة الخانجي، القاهرة.
8) زهرة الربيع في البيان والمعاني والبديع، أحمد الحملاوي، تعليق: مجدي فتحي السيد المكتبة التوقيفية بالقاهرة.
9) علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ط1993/3م، دار الكتب العلمية، لبنان.
10) المباحث البلاغية في تفسير الزمخشري، الشارف لطرش، دار أم الكتاب، دط، دت.

11) المعجم المفصل في علوم البلاغة، أنعام فوال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين ط2/1996م، دار الكتب العلمية بيروت.

12) المؤجر في دلائل الإعجاز في علم المعاني، جعفر دك الباب، ط1/ مطبعة الجليل دمشق.

سادساً: كتب الأعلام والتراجم والأنساب:

1) أعلام العراق، محمد بهجت الأثري، دار الكتب المصرية، 1345هـ.

2) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار القلم للملايين، بيروت، ط/2000.

3) بغية الملتمس في معرفة رجال الأندلس، أحمد بن يحي بن عميرة أبو جعفر الضبي دار الكتاب العربي بالقاهرة/1967م.

4) طبقات المفسرين، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، مراجعة مجموعة من العلماء بإشراف الناشر.

5) معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1/1414هـ-1993م.

6) معجم المؤلفين، رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

7) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى،1415هـ/1995م.

8) هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين، البغدادي، ط1/1951م، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

9) غرائب الاغتراب ونزهة الالباب، محمود شكري الألوسي، مطبعة الشابندر، بغداد، 1327هـ.

10) الألوسي مفسراً، للدكتور محسن عبد الحميد، مطبعة المعارف، بغداد، 1388هـ . 1968م.

11) المسك الأذفر في نشر مزايا القرن12-13، أبي المعالي الألوسي، تح: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض، 1402هـ-1982م.

12) تكملة معجم المؤلفين محمد خير بن رمضان بن يوسف، ط1/1998م-1418هـ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

13) تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد (بك)، تح: إحسان حقي، ط1/ 1401 - 1981، دار النفائس، بيروت، لبنان.

14) تهذيب الكمال، يوسف بن عبد الرحمان أبو الحجاج الكلبي، تح: بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة، بيروت ط1/1400هـ.

15) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، تح: إحسان عباس، ط1/1971، دار صادر، بيروت.

16) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، دط.

17) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت 842هـ)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط1/ 1993م، مؤسسة الرسالة بيروت.

18) تاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر بن مهدي الخطيب البغدادي(ت463هـ)، ط1/1418هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثامناً: كتب البلدان:

1) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط1995/2م.

2) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ).

تاسعاً: متون علمية:

1) الهمزية في مدح أحسن البرية، الامام شرف الدين بن محمد البصيري.

2) شرح الحكم العطائية، محمد حياة السندي المدني (ت1136هـ)، تح: نزار حمادي، ط1430/1هـ-2009م، مكتبة بن عرفة، تونس.

فَـــــــهْـــرَسُ

الآيَـــــاتِ القُـــرْآنِيَّـــةِ

فهرس الآيات القرآنية: وهي مرتبة حسب ترتيب المصحف:

الآية القرآنية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾	الفاتحة	01	79
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾	الفاتحة	02	81
﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ﴾	البقرة	14	52
﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥ ﴾	البقرة	15	55
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ﴾	البقرة	43	36
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٤٦ ﴾	البقرة	146	89
﴿ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ ۝٢٢١ ﴾	البقرة	221	26
﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ۝٢٢٨ ﴾	البقرة	228	45
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ ﴾	البقرة	255	36
﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝١٥ ﴾	آل عمران	15	69
﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا	النساء	37	83

			لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾
82	39	النساء	﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾
36	69	النساء	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾
84	95	النساء	﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾
85	147	النساء	﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾
36	06	المائدة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ ﴿٦﴾ ﴾
87	12	المائدة	﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾
36	44	المائدة	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾	المائدة	82	88
﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ١١٦ ﴾	المائدة	166	48
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾	الأنعام	01	90
﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢ ﴾	الأنعام	32	91
﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ﴾	الأنعام	164	63
﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ٣٠ ﴾	الأعراف	30	64
﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ ﴾	الأعراف	121-122	92
﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾	الأعراف	188	93
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾	الأنفال	04	95
﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ ﴾	الأنفال	11	25
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾	الأنفال	60	54
﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣ ﴾	التوبة	43	35

إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠	التوبة	60	96
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾	التوبة	111	84
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾	يونس	02	70
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ ﴾	يونس	48	56
﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾	يونس	58	73
﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾	هود	38	53
﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ ﴾	هود	91	34
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ﴾	الحجر	02	105
﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ ﴾	النحل	01	75
﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾	النحل	11	99
﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ ﴾	النحل	61	25

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾	الإسراء	82	100
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾	الكهف	105	67
﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾	مريم	26	101
﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾	طه	30-29	67
﴿ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾	طه	32-30	68
﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾	طه	34-33	102
﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾	الأنبياء	01	76
﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	الأنبياء	30	55
﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾	الحج	05	104
﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾	الحج	72	34
﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾	الفرقان	23	83
﴿ لِّنُحْىِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾	الفرقان	49	103
﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾	النمل	01	104
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴿١٦﴾ ﴾	النمل	16	31
﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ	الروم	18-17	106

			فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾
35	18	لقمان	﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾
107	29	لقمان	﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ﴾
65	27	الأحزاب	﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ ﴾
80	43	الأحزاب	﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾
66	40	سبأ	﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾
108	22-19	فاطر	﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ فاطر: ١٩ -٢٢.
110	32	فاطر	﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾
75	20	يس	﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾
106	40	يس	﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾
77	112	الصافات	﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ ﴾	الصافات	153	30
﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ١٧٦ ﴾	الصافات	176	74
﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١ ﴾	ص	51	78
﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ ﴾	الشورى	49	112
﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾	الجاثية	23	68
﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ ﴾	الأحقاف	12	72
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾	الرحمان	4-1	113
﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ ﴾	الحديد	20	91
﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١ ﴾	الجمعة	11	115
﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ ﴾	القيامة	11	68
﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ ﴾	القيامة	13	25
﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ ﴾	النبأ	19	54
﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ ﴾	الشمس	8-7	116
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾	القدر	01	108

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾	الفلق	03	108

فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّة

فهرس الأحاديث:

الحديث	رقم الصفحة
-"روى عُقْبَة بنُ عَامِرٍ الجهني" قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم–وهو على المِنْبَرِ يقولُ: "ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيَ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيَ". والظَّاهِرُ والعُمُوم أنَّه عليه الصّلاة والسّلام خَصَّ الرَّمْيَ بالذِّكر لأنَّه أَقْوَى ما يَتَقَوَّى به المَرْءُ في الحرب).	54
2–روى "أبِي أُمَامَة" رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم يقُولُ: "مَا عَبُدَ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَهٌ أَبْغَضُ إِلَى الله مِنَ الهَوَى".	61
3–روي عَنْ "أَنَسٍ بنِ مَالِكٍ" –رَضِيَ الله عَنْهُ–عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله علَيْهِ وَسَلَّم: (مَنْ هَدَاهُ الله لِلإِسْلَام، وَعَلَّمَهُ القُرْآن، ثُمَّ شَكا الفَاقَةَ، كَتَبَ الله عَلَيْهِ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ).	74
4–رَوَى "التِّرْمِذِيُّ" عَنْ سَيِّدِنَا جَابِرٍ بن عَبْدِ الله –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–عن رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قَال: " أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لله".	83
5–روى النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله، وَدُخَّانُ جَهَنَّم فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَداً، وَلا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قلب عبد أبداً".	67
6–روي عن "عَبْدِ الله بن عَمْرِو بن العَاصِ" رَضِي الله عَنْهُمَا عَنْ –النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–أَنَّهُ قَال: "إِنَّ الله خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِم مِنْ نُورِهِ".	91

7–عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَلَا يُخْبِرُكَ رَبُّكَ بِالسِّعْرِ الرَّخِيص، قَبْلَ أَنْ يَغْلُوا، فَتَشْتَرِيَ بِهِ فَتَرْبَحَ عِنْدَ الغَلَاء، وَبِالأَرْضِ التِي يُرِيدُ أَنْ تَجْدِبَ فَتَرْحَل عَنْهَا إِلَّا مَا قَدْ أُخْصِبَتْ، فَأَنْزَل الله الآيَةَ الكَرِيمَة".	**94**
8–روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان دائماً ما يتعوذ من الفقر فيقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ).	**96**
9–عن "أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ" فَيَقُول: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِين يَوْمَ القِيَامَة).	**82**
10–رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: قَال رَسُول الله صَلَّى الله عليه وسَلَّم: "سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ".	**111**
11–رُوِيَ عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ: "أَنَّ السَّابِقَ يَدْخُلُ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ والمُقْتَصِدُ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِه فَيُحْبَسُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ لَا يَنْجُو، ثُمَّ تَنَالُهُ الرَّحْمَةُ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ".	**111**

فَـــــــهْـــرَسُ

الأَبْـيَـــاتِ الشِّعْـرِيَّـة

فهرس الأبيات الشعرية:

النظم	رقم الصفحة
قال "اِبْنُ مَالِكٍ" (ت672هـ) فِي الخُلَاصَةِ: وَالأَصْلُ فِي الأَخْبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَا *** وَجَوَّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَا فامْنَعْهُ حِينَ يَسْتَوِي الجُزْءَانِ *** عُرِّفَا وَنُكِّرَا عَادِمِي بَيَانِ كَذَا إِذَا مَا الفِعْلُ كَان الخَبَرَا *** أَوْ قَصُدَ اِسْتِعْمَالُهُ مُنْحَصِرَا أَوْ كَانَ مُسْنَداً لِذِي لَامِ اِبْتِدآ *** أَوْ لَازِمَ الصَّدْرِ كَمَنْ لِي مُنْجِدَا وَنَحْوَ عِنْدِي دِرْهَمٌ وَلِي وَطَر *** مُلْتَزِمٌ فِيه تَقَدُّمُ الخَبَر كذَا إِذَا عَادَ عَلَيْهِ مُضْمَرٌ *** مِمَّا بِهِ عَنْهُ مُبيَّناً يُخْبَرُ كذَا إِذَا يَسْتَوْجِبِ التَّصْدِيرَا *** كَأَيْنَ مَنْ عَلَّمْتَهُ نَصِيرَا وَخَبَرُ المَحْصُورِ قَدِّمْ أَبَداً *** كَمَا لَنَا إِلَّا اِتِّبَاعُ أَحْمَداً	**29**
قال أحدهم: بَنُونَ بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا *** بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ.	**29**
قَالَ "اِبْنُ مَالِكٍ" فِي الخُلَاصَة: وَالأَصْلُ فِي الفَاعِلِ أَنْ يَتَّصِلَا *** وَالأَصْلُ فِي المَفْعُول أَنْ يَنْفَصِلَا وَقَدْ يُجَاءُ بِخِلَافِ الأَصْلِ *** وَقَدْ يجي المَفْعُولُ قَبْلَ الفِعْلِ وأَخِّرِ المَفْعُولَ إِنْ لَبْسٌ حُذِرْ *** أَوْ أَضْمِرِ الفَاعِلَ غَيْرَ مُنْحَصِر وَمَا بِإِلاَّ أَوْ بِإِنَّمَا اِنْحَصَرْ *** أُخِّر وَقَدْ يُسْبَقُ إِنْ قَصْدٌ ظَهَرْ وَشَاعَ نَحْوَ خَافَ رَبَّهُ عُمَرْ *** وَشُذَّ نَحْوَ زَانَ نَوْرَهُ الشَّجَرْ	**31**
أَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ مَوْتُ الأعَادِي *** وَرُكُوبٌ عَلى مُتُونِ الجِيَادِ	**66**
قال الامام "البصيري": وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ *** وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ	**76**
قَال "اِبْنُ مَالِكٍ" فِي الخُلاصَةِ: فَأَعْطِفْ بِوَاوٍ لَاحِقاً أَوْ سَابِقاً *** فِي الحُكْمِ أَوْ مُصَاحِباً مُوَافِقاَ	**86**

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ	
إِهْـــدَاءٌ	
مُلَخَّصُ البَحْثِ	
نَظْمُ المُلَخَّص	
مُـــقَـــدَّمَـــــة	
أوّلاً: أهمية البحث	ب
ثانياً: أسباب اِختيار البحث	ب
ثالثاً: أهداف البحث	ج
رابعاً: طرح الإشكالية	ج
خامساً: المصادر والمراجع	د
سادساً: الدراسات السابقة	د
سابعاً: المنهج المتبع في الدراسة	و
ثامناً: المنهجية المتبعة في الدراسة	و
تاسعاً: خطة الدراسة	ح
عاشراً: العقبات والصعوبات	ط
المَبْحَثُ التَّمْهِيدِي: مَفْهُومُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ	
المَطْلَبُ الأَوَّل: تَعْرِيفُ عِلْمِ المَعَاني وَمَوْضُوعَاتُه	24
الفرعُ الأَوَّل: تعْرِيف عِلْمِ المَعَاني	24
الفَرْعُ الثَّانِي: مَوْضُوع عِلْمِ المَعَاني	25
المَطْلَبُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ	25
الفرعُ الأَوَّل: تَعْرِيفُ التَّقديمِ	25

فهرس الموضوعات

لُغَةً	25
الفرعُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ التَّأْخِير	26
لُغَةً	26
الفَرْعُ الثَّالِثُ: تَعْرِيفُ التَّقْدِيم والتَّأْخير اِصْطِلاَحاً	26
المَطْلَبُ الثَّالِثُ: أَنْوَاعُ التَّقدِيمِ والتَّأْخِيرِ	27
الفرعُ الأَوَّلُ: تَقْديمٌ على نِيَّةِ التَّأْخِيرِ	27
الفرعُ الثَّانِي: تَقْدِيمٌ لاَ عَلَى نِيَّة التَّأْخِير	27
المَطْلَبُ الرَّابِعُ: حَالَاتُ التَّقْدِيم والتَّأْخِيرِ	27
الفرعُ الأَوَّلُ: التَّقديمُ والتَّأْخِيرُ فِي المُبْتَدأ والخَبَرِ	28
الفرعُ الثَّانِي: التَّقديمُ والتَّأْخِيرُ فِي الخَبَرِ المُثْبَتِ	29
الفرعُ الثَّالِثُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ بَيْنَ الاِسْمِ والفِعْلِ في الاِسْتِفْهَام الإنْكَارِي	30
الفرعُ الرَّابِعُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِير بَيْنَ الفِعْلِ والفَاعِلِ	30
الفرعُ الخَامِسُ: تَقْدِيمُ المَفْعُول بِهِ	31
الفَرْعُ السَّادِسُ: تقْدِيمُ وتَأْخِيرُ الحَالِ	32
الفرعُ السَّابِعُ: تَقْدِيمُ وَتَأْخِيرُ التَّمْيِيزِ عَنْ عَامِلِهِ	32
الفرعُ الثَّامِنُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ فِي الجُمْلَةِ الظَّرْفِيَّةِ	33
الفرعُ التَّاسِعُ: تَقْدِيمُ شِبْهِ الجُمْلَةِ	33
المَطْلَبُ الخَامِسُ: أَغْرَاضُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ	33
الفرعُ الأَوَّلُ: التَّشْوِيقُ	34
الفرعُ الثَّانِي: إفادَةُ التَّخْصِيصِ	34
الفرعُ الثَّالِثُ: إفَادَةُ التَّعْمِيمِ	35
الفرعُ الرَّابِعُ: تَعْجِيلُ المَسَرَّةِ	35
الفرعُ الخَامِسُ: تَعْجِيلُ المَسَاءَةِ وَالتَّشَاؤُمِ	35
الفرْعُ السَّادِسُ: الاِهْتِمَامُ بِالمَمْدُوحِ	36

الفرعُ السَّابِعُ: التَّشْرِيفُ	36
الفَرْعُ الثَّامِنُ: السِّبْقُ فِي الوُجُودِ	37
المَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بالإِمَام الأَلُوسِي وَكِتَابِهِ رُوحُ المَعَانِي	
مَدْخَلٌ	
المَطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّعرِيفُ بالإِمَامِ الألوسي	41
الفرْعُ الأَوَّلُ: كُنْيَتُهُ واِسْمُهُ وَنِسْبَتُهُ	41
الفَرْعُ الثَّانِي: مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُه	42
أوّلاً: مَوْلِدُهُ	42
ثانياً: نَشْأَتُهُ	42
الفَرْعُ الثَّالِثُ: شُيوخُهُ وَتَلَامِيذُهُ	42
أوّلاً: شُيُوخُهُ	42
ثانياً: تَلَامِيذُهُ	43
الفَرْعُ الرَّابِعُ: عَقيدتُه ومذْهَبه الفِقْهي	44
أَوّلاً: عَقِيدَتُهُ	44
ثانياً: مذهبُه الفِقْهِيُّ	44
الفَرْعُ الخَامِسُ: آثَارُهُ العِلْمِيَّةُ	45
أولاً: التفاسير	45
ثانياً: الأدبُ والنّحو	45
ثالثاً: البحث والمناظرة والأجوبة	46
رابعاً: التّراجُم والسِّيَر	46
خامساً: الرَّحلات والأسفار	46
سادساً: في التزكية والتصوف	46
الفَرْعُ السَّادِسُ: وَفَاتُه وَثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ	47

أوَّلاً: وفَاتُه	47
ثانياً: ثناءُ العُلمَاء عليه	48
المطلبُ الثّاني: التَّعريفُ بكِتَاب رُوح المَعَانِي	49
الفرعُ الأوّل: سَبَبُ تسْمية الكِتَاب	49
الفرعُ الثَّاني: مَنْهجُه فِي كِتَابِهِ	50
أوَّلاً: ذكرُ أَسْبَابُ النُّزُول	51
ثانياً: اِعْتِنَائُهُ بِالنَّاسِخ وَالمَنْسُوخ	52
ثالثاً: الاِعْتِنَاءُ بِبَيَانِ الإِسْرَائِيلِيَّات	53
رابعاً: طريقته في التَّفسير	54
1-تفسيرُ القُرآن بِالقُرآن	54
2-تفسير القرآن بالسُّنة	54
3-تفسير القرآن بأقوال الصَّحابة والتَّابعين	55
4-تفسيرُ القرآنِ باللُّغة	55
4-تفسيرُ القرآنِ باللُّغة	55
الفرع الثالث: مصادره	56
الفرعُ الرَّابع: أَهَمُّ مُمَيّزاتِه والمَآخذِ عليه	59
أوَّلاً: أهم مُمَيّزاته	59
ثانياً: أهم المَآخِذِ عَلَيْهِ	61
المَبْحَثُ الثَّانِي: الأَغْرَاضُ البَلاغِيَّةُ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِير مِنْ خِلَال تَفْسِير رُوحِ المَعَانِي	
المَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم المَفْعُولِ بِهِ	63
الفَرْعُ الأَوَّلُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ عَلَى الفِعْلِ	63

الفرع الثاني: مواضع تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول	68
المَطْلَبُ الثَّانِي: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الخَبَر	70
المَطْلَبُ الثَّالِثُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيم الجَارِ وَالمَجْرُورِ	73
الفرع الأول: مواضع تقديم الجار والمجرور على الفعل	73
الفَرْعُ الثَّانِي: مَواضِعُ تَقْدِيم الجَارِ والمَجْرُورِ عَلى الفَاعِل	75
الفَرْعُ الثَّالِث: مَواضِعُ تَقْدِيم الجَارِ والمَجْرُور عَلى المَفْعُول	76
المَطْلَبُ الرَّابِعُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ الحَالِ	78
المَطْلَبُ الخَامِسُ: مَوَاضِعُ تَقْدِيمِ ألفاظٍ عَلَى ألفاظٍ أُخْرَى دُونَ عَامِلٍ	80
تَقْدِيمُ الرَّحْمَانِ على الرَّحِيم	80
تَقْدِيمُ الحَمْدِ عَلى لَفْظِ الجَلَالَة	81
تَقْدِيمُ الإِيمَانِ عَلى الإِنْفَاقِ	83
تَقْدِيمُ الأَمْوَالِ علَى الأَنْفُسِ	84
تَقْدِيمُ الشُّكْرِ عَلَى الإِيمَانِ	86
تَقْدِيمُ إِقَامَةِ الصَّلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ علَى الإِيمَانِ	87
تَقْدِيمُ اليَهُودِ عَلَى المُشْرِكِينَ	89
تَقْدِيمُ الظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ	90
تَقْدِيمُ اللَّعِبِ عَلَى اللَّهْوِ	91
تَقْدِيمُ مُوسَى عَلَى هَارُونَ	92
تَقْدِيمُ النَّفْعِ عَلَى الضُرّ	93
تَقْدِيمُ الدَّرَجَاتِ عَلَى المَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ	95
تَقْدِيمُ الفُقَرَاءِ عَلَى الأَصْنَافِ الأُخْرَى مِنْ مُسْتَحِقِّي الصَّدَقَاتِ	96
تَقْدِيمُ العَزِيزِ عَلَى الحَمِيدِ	98

تَقْدِيمُ الزَّرْعِ عَلَى أَنْوَاعِ الثَّمَرِ الأُخْرَى	99
تَقْدِيمُ الشِّفَاءِ عَلَى الرَّحْمَةِ	101
تَقْدِيمُ الأَكْلِ عَلَى الشُّرْبِ	102
تَقْدِيمُ التَّسْبِيحِ عَلَى الذِّكْرِ	103
تَقْدِيمُ إِحْيَاءِ الأَرْضِ وَسَقْيِ الأَنْعَامِ عَلَى سَقْيِ الأَنَاسِي	104
تَقْدِيمُ لَفْظِ القُرْآنِ عَلَى الكِتَابِ	105
تَقْدِيمُ الإِمْسَاءِ عَلَى الإِصْبَاحِ وَتَقْدِيمُ العَشِيِّ عَلَى الإِظْهَارِ	107
تَقْدِيمُ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ والشَّمْسِ عَلَى القَمَرِ	108
تَقْدِيمُ الأَعْمَى عَلَى البَصِير، والظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ، والظِّلِّ عَلَى الحَرُورِ والأَحْيَاءِ عَلَى الأَمْوَاتِ	109
تَقْدِيمُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ عَلى المُقْتَصِدِ وَتَأْخِير السَّابِقِ بِالخَيْرَاتِ	111
تَقْدِيمُ الإِنَاثِ عَلَى الذُّكُورِ	113
تَقْدِيمُ تَعْلِيم القُرْآنِ عَلَى خَلْقِ الإِنْسَانِ	114
تَقْدِيمُ التِّجَارَةِ عَلَى اللَّهْوِ	116
تَقْدِيمُ الفُجُورِ عَلَى التَّقْوَى	117
خاتمة	
النتائج	120
التوصيات	121
الفهارس العامة	
فهرس قائمة المصادر والمراجع	125
فهرس الآيات القرآنية	134
فهرس الأحاديث النبوية	143

فهرس الأبيات الشعرية	146
فهرس الموضوعات	148